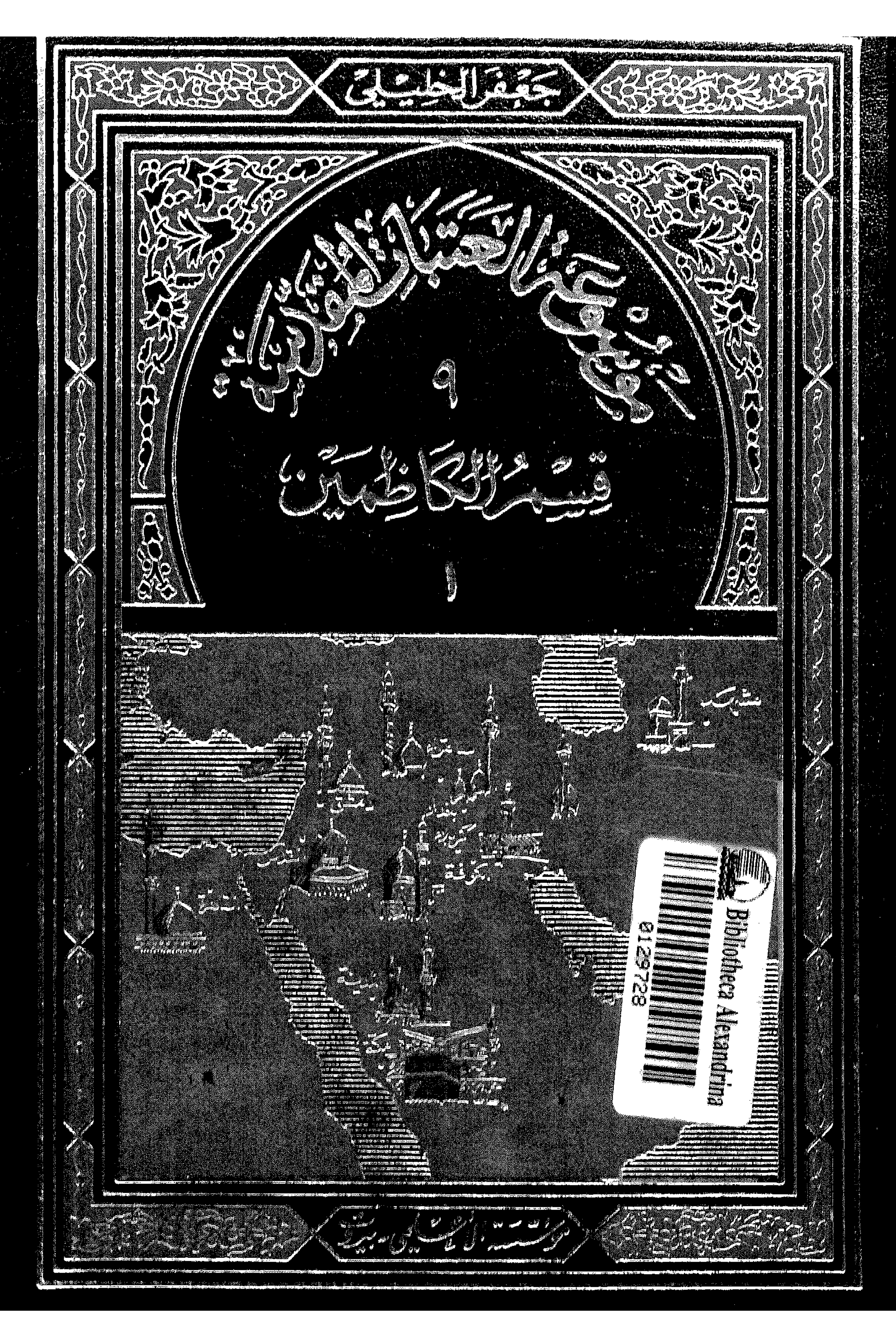

جعفر الخليلي
موسوعة العتبات المقدسة
٩
قسم الكاظمين
١
مؤسسة الأعلمي - بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0129728







موسوعة العتبات المقدسة

قسم الكاظمين ـ ٩



موسوعة العتبات المقدسة

٩

الجزء الأول من

قسم الكاظمين

تأليف

جعفر الخليلي

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

في هذا الجزء من قسم الكاظمين نكون قد اصدرنا ستة اجزاء من موسوعة العتبات المقدسة اختص جزء منها (بالمدخل) وجزء (بمكة المكرمة) وجزآن (بالنجف) وجزء (بكربلا) ونحن ماضون في نشر كل جزء يتم تأليفه حتى ينتهي العمل كله من تاريخ عتبة واحدة او ينتهي معظم العمل في بعض العتبات اذا شاء الله ذلك ، اما انتهاء العمل من تاريخ العتبات كلها فأمر يتجاوز حدود المعقول . ذلك لان مثل هذا العمل يتطلب عمراً طويلاً وجهوداً متواصلة ليس من السهل توفيرها بأقـل من ربع قرن على الأقل ، فالأمل كله معقود على من يجيء بعدنا ليواصل العمل على هذه الطريقة ، مستعيناً بعدد من الأساتذة المتخصصين حتى ينجز العمل كله . وحتى يضع لهذه العتبات تاريخاً صحيحاً مستخلصاً من الحوادث والوقائع الصحيحة المجردة من شوائب الروايات وهو التاريخ الذي ظلت المكتبة الاسلامية العربية في أمس الحاجة اليه منذ قيام هذه العتبات حتى اليوم .

وانه لمما يسرنا كل السرور ان نكون قد وفقنا في هذه المدة القصيرة الى ان نقطع مرحلة ربما كانت طويلة اذا ما قيست بوفرة الانتاج ، ووعورة الطريق ، حتى لقد أصبحت الأجزاء التي صدرت من هذه الموسوعة موضع اهتمام من لدن عدد غير قليل من الجامعات الغربية المحترمة اضافة الى الجامعات

الاسلامية ، وهي اليوم تحتل من مكتبات ٢٥ جامعة كبيرة مقاماً محترماً من قسم الاستشراق .

ومما زاد نشاطنا في تأليف هذه الموسوعة والمضي في تأليفها بجد مستمر هو انضمام عدد آخر من كبار اساتذة الجامعات وحملة الاقلام من ارباب الاختصاص الى حظيرتنا والمشاركة معنا في تأليف وتصنيف وترجمة البحوث التي يستلزمها تأليف هذه الاجزاء .

واننا لنتوقع ان يكون عدد اجزاء قسم الكاظمين عشرة اجزاء اي بما يقارب ان يكون عشرة امثال هذا الجزء ، وكل ما نرجوه هو ان يزيد الله من توفيقنا ، ويبارك عملنا الذي من ورائه لم نبتغ غير الخدمة الخالصة للعلم الخالص ، وللحقيقة التي كادت تضيع بسبب ما احاط بتاريخ هذه العتبات من غموض آناً ، ومبالغات آناً آخر ، وغمط للواقع بحيث اساء البعض منها الى التاريخ الاسلامي العام ، والتاريخ العربي الخاص اساءآت غير مغتفرة ، والله من وراء القصد .

بغداد　　　　　　　　　　　　دار التعارف

الكاظمية قديماً

بحث يتناول منطقة مدينة الكاظمين وما يحاذيها
ويجاورها من المدافن والمساجد قبل تمصيرها

كتبه

الدكتور مصطفى جواد

خريج جامعة السوربون بباريس في التاريخ العربي

والاستاذ بجامعة بغداد

وعضو المجمع العلمي العراقي ببغداد والمجمع العلمي العربي بدمشق



الكاظمية قديماً

الكاظمية منسوبة إلى لقب الامام موسى بن جعفر الصادق العلويّ الحسينيّ ، الملقب بالكاظم (ع) ، وقد عرفت بهذه التسمية في عصرنا هذا ، وكانت تعرف عند العامة بالكاظم على تقدير « بلدة الكاظم » وبالكاظمين [1] على تقدير « بلدة الكاظمين » وعرفت قديماً بالمشهد الكاظميّ وبمشهد موسى ابن جعفر –ع– وبمقبرة قريش ، ومن المؤرخين من يُريد الاعمام والابهام فيسميه « مشهد باب التبن » لقرب مقبرة قريش من مقبرة باب التبن الواقعة –كانت– في شرقي مقابر قريش وسنأتي على ذكرها مع المواضع الخاصة بها القريبة منها .

كانت أرض مقابر قريش أي دارة الكاظمية الحالية من الأرضين القديمة المسكونة التابعة لدولة الكشيين الذين جاؤوا في أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد من الجبال الشمالية الشرقية من منطقة لورستان في ايران يقودهم زعيم لهم اسمه «كندش» فاحتلوا مدينة بابل وقارضين دولة بابل الأولى المعروفة باسم « الأمورية » ، واتخذوها مركزاً لتنظيم أمورهم وتركيز سيطرتهم

---

(١) جرت تثنية التغليب عند العرب على تقديم أقلهاشهرة أو فضلا أو كبراً كالقمرين للشمس والقمر ولكن العامة لم يقولوا «الجوادين» الا نادراً، وذلك رعاية للأدب في تقدم الامام موسى الكاظم على حفيده محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم .

وسلطانهم وتثبيت اداراتهم لأواسط ما يسمى بعد ذلك « العراق » وجنوبيه وقد ذكرت الكتابات التاريخية المسمارية أن عدّة ملوكهم الذين حكموا في هذه البلاد « ٧٦ » ستة وسبعون ملكاً حكموا « ٥٧٦ » سنة قمرية. وقد تعلم الكشيون اللغة البابلية السامية مع انهم كانوا من الآريين ، وكتبوا بهـــا واستعملوا ايضاً اللغة السومرية الآرية فضلاً عن لغتهم الكشية في جملة من أخبارهم واقتبسوا الحضارة البابلية واعتـدوا بها ، وكانت لهم اتصالات دولية واسعة بالملوك المثيانيين والملوك الحثيين والفراعنة بمصر والشعوب المجاورة لهم فازدهرت التجارة في عصورهم وعم الرخاء البلاد في عهود العظماء من ملوكهم وكان منهم الملك «كاريكالزو» وهو الذي شيد للدولة عاصمة جديدة اطلق عليها اسمه المذكور وتعرف اطلالها وتلّها العظيم اليوم بعقرقوف ، وهذا التلّ هو بقية زقورة المدينة ، وقد استحاثت مديرية الآثار العامة في المدينة لقى أثرية نفيسة من مصوغات وأوان من الفخار وكتابات يشاهدها الزائر معروضة في القاعة البابليةمن المتحفة العراقية[١]،[٢] ولم نقف عـــلى اسم منطقة الكاظمية في عصر الكشيين ولا في عصور من حكمُوا قبلهم كالأكديين الساميين والبابليين ولا في عصر من حكمُوا بعدهم كالكلدانيين والاخمينيين الايرانيين ، وإنما نستطيع أن نذكر اسماً لها يشبه الأسماء اليونانية وهو « قُطرَبّل » وهذا يدل على أن الاسم كان معروفاً في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وهو القرن الذي أنشئت فيه دولة السلوقيين اليونانيين بعد وفاة الاسكندر المكدوني ، وقد دلت الاستحاثات القديمة على وجود نقود يونانية في تلك المنطقة مخلوطة مع نقود غيرها وذلك يدل على أن أحد سكان هذه المنطقة في العهود الاسلامية عثر عليها في أثناء

---

(١) دليل المتحف العراقي « ص ٣٢–٣٣ » نشرة مديرية الاثار العامة سنة ١٩٦٦

(٢) وفي (نزهة القلوب) لحمد الله مستوفي القزويني المطبوع بليدن ان الذي بنىعقرقوف هو كيكاووس الذي اطلق عليه اسم النمرود ونسبت له قصة ابراهيم ، والكتاب بالفارسيةص ٣٩ الخليلي

حفر أسس لداره أو لعمارة أخرى من العمارات ، ففي سنة «٦٤٧» ه أمر الخليفة المستعصم بالله أمر بعمارة مشهد الامام موسى بن جعفر –ع– في مقابر قريش المذكورة . فلما شرع الفعلة والبناة في ذلك وجدوا برنيّة أي بستوقة فيها ألف درهم قديمة منها يونانية عليها صور ومنها ضرب بغداد ومنها ما هو ضرب واسط ، فعرضت على الخليفة المذكور آنفاً فأمر أن تصرف في عمارة المشهد فاشتراها الناس بأوفر الأثمان وأهدي منها إلى الأكابر ، فنفّذوا إلى المشهد أضعاف ما كان حُمل اليهم منها [1] .

ووجدت دراهم يونانية أيضاً في مقبرة الشهداء الآتي ذكرها من بعد وكانت في الغرب الجنوبي من مقابر قريش ، وعلى صلة بمقابر باب حرب من الغرب فقد جاء في الكتاب الذي نقلنا منه خبر العثور على الدراهم اليونانية وغيرهـا في أخبار سنة ٦٤١ أن ميتاً حُمل الى مقـبرة الشهداء ليدفن فيها فلما حفر الحفار قبراً له فوجد في الحفر جرّة مملوءة دراهم يونانية ودراهم اسلامية مما ضرب بالمدينة المنورة فأحضرها الى المحتسب ببغداد فحملها المحتسب الى دار الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد وزير الخليفة المستعصم بالله فأمره بالمضي الى المقبرة واعتبار الحفر أي فتشه فحضر وحَضر حول القبر فوجدوا جرة أخرى كان بها نحو عشرة آلاف درهم [2] .

وكانت المنطقة التي فيها مقابر قريش تعرف في أيام الساسانيين بطسّوج قطربل أي كورة قطربل وكانت تروى من نهر يتفرع من الجانب الأيمن من دجلة ويعرف بنهر دجيل ولا يزال عقيقه ومجاري شعبه وشاخاته ظاهرة بين البلدة المعروفة باسم «بلد» وبغداد ، وكان نهر يفصل بين طسّوج قطربّل وطسّوج بادوريا في الجنوب يعرف بنهر الصراة يتخلج من نهر

---

(١) كتاب الحوادث الذي سمي الحوادث الجامعة وهي في أخبار سنة ٦٤٧

(٢) المرجع المذكور في حوادث سنة ٦٤١

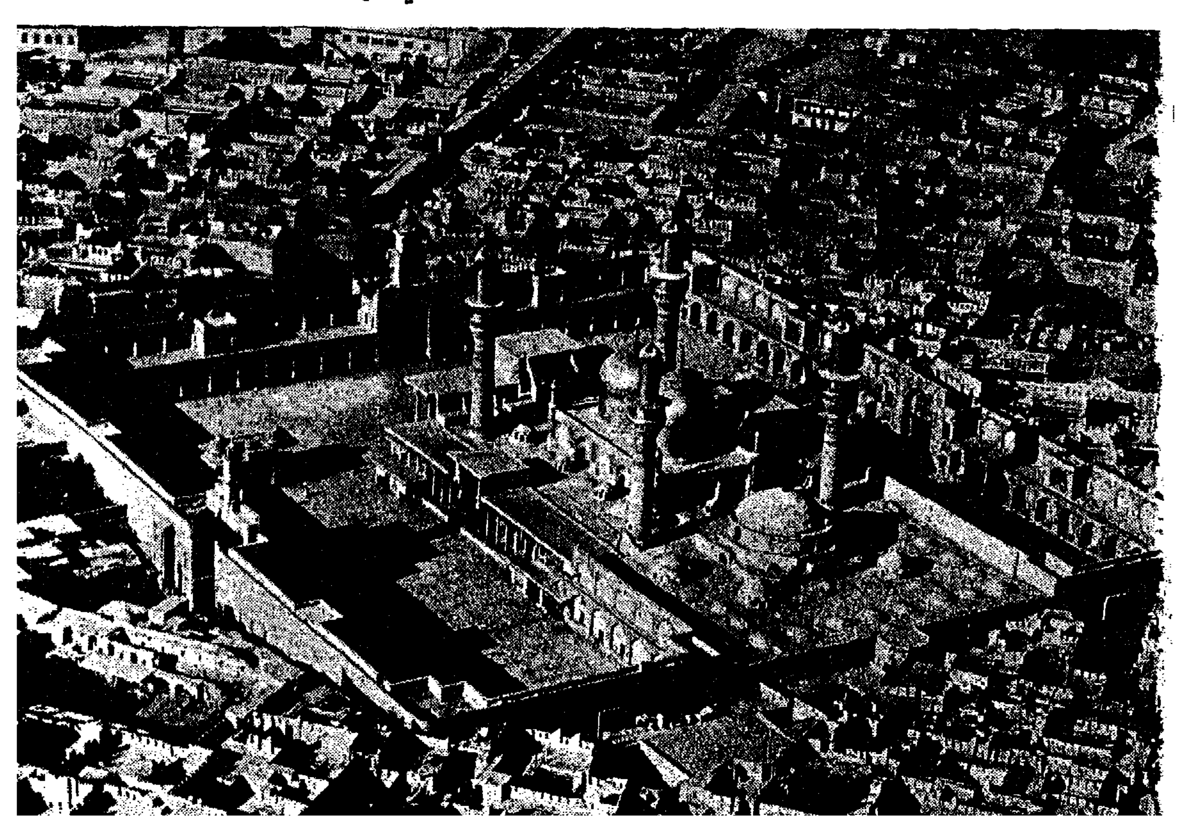
عتيق يأخذ ماءه من الفرات وعُرِف في أيام الساسانيين باسم نهر رفيل وفي أيام العباسيين وبعدهم باسم نهر عيسى بن علي عم أبي جعفر المنصور .

ومقبرة الشهداء التي ورد ذكرها آنفاً هي على المشهور مقبرة الشهداء المسلمين الذين حاربوا الخوارج قرب أرض الكاظمية فأثختهم الجراح وماتوا فدفنوا هناك أعني في غربي الكاظمية الجنوبيّ سنة ٣٧ هـ .

وقيل بل حملوا من ساحة الوغى في وقعة النهروان وهم مرتثّون فأدركهم الموت في ذلك الموضع ، قال الخطيب البغدادي :

« وبالقرب من القبر المنسوب الى هشام (بن عروة بن الزبير بن العوام) بالجانب الغربي قبور جماعة تعرف بقبور الشهداء لم أزل أسمع العامة تذكر أنها قبور قوم من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كانوا شهدوا معه قتال الخوارج بالنهروان وارتثّوا في الوقعة ثم لما رجعوا أدركهم الموت

مدينة الكاظمين من الطائرة



في ذلك الموضع فدفنهم علي هناك وقيل انّ فيهم من له صحبة وقد كان حمزة بن محمد بن طاهر ينكر أيضاً ما اشتهر عند العامة من ذلك وسمعته يزعم أن لا أصل له والله اعلم »[1] .

قلنا : إن اعتداد الخطيب البغدادي لحمزة بن محمد بن طاهر من المنكرين يشير الى غيره ممن يلقي الكلام على عواهنه ، فقد ذكر الخطيب في تاريخه قبل ذلك في الكلام مسجد العتيقة المعروف قديماً وحديثاً بمسجد المنطقة القائم المعمور اليوم بين بغداد والكاظمية ما هذا نصه : « قال الشيخ أبو بكر : وفي سوق[2] العتيقة مسجد تغشاه الشيعة وتزوره وتعظمه ، وتزعم أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى في ذلك الموضع ولم أر أحداً من أهل العلم يثبت أنّ علياً دخل بغداد ولا روي لنا شيء غير ما أخبرنا به القاضي ابو عبد الله الحسين بن علي الصيمريّ قال أنبأنا أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنبأنا القاضي محمد بن عمر الجعابي الحافظ —وذكر بغداد— فقال : يقال إن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب اجتاز بها إلى النهروان راجعاً منه وأنه صلىّ في مواضع منها فان صحّ ذلك فقد دخلها من كان معه من الصحابة . قال الشيخ أبو بكر والمحفوظ أن علياً سلك طريق المدائن في ذهاب النهروان وفي رجوعه والله أعلم . حدثني أبو الفضل عيسى بن أحمد بن عثمان الهمذاني قال سمعت أبا الحسن بن زرقويه يقول : كنت يوماً عند أبي بكر الجعابي فجاءه قوم من الشيعة فسلموا عليه ودفعوا إليه صُرّة فيها دراهم ثم قالوا له : أيها القاضي إنك قد جمعت أسماء محدثي بغداد وذكرت من قدم إليها وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد وردها فنسألك أن تذكره في كتابك . فقال : نعم يا غلام هات الكتاب. فجيء به ، فكتب فيه (وأمير

---

(١) تاريخ بغداد « ١ : ١٢٦ » .

(٢) جاء في الاصل المطبوع بمصر « وفي السوق العتيقة » بجعل العتيقة صفة للسوق وهوتحريف لا ندري مأتاه لأن العتيقة اسم من اسماء الأعلام لموضع ما يعرف اليوم بالمنطقة وما حولها واسمها الآرامي « سويانا » وسيأتي ذكرها في البحث فالتركيب إضافي لا وصفي .

المؤمنين علي بن أبي طالب يقال إنه قدمها) قال ابن زرقويه : فلما انصرف القوم قلت له : أيها القاضي هذا الذي ألحقته في الكتاب مَن ذكره ؟ فقال : هؤلاء الذين رأيتهم ، أو كما قال : [١]

قلنا : وزاد الخطيب وغيره توهين ما ذكره الشيعة من مرور الامام عليّ ابن أبي طالب بهذه المواضع ونفي دخوله بغداد في العصر الذي كانت فيه قرية من القرى المشهورة المسكونة ، وهؤلاء المنكرون كانوا من القرون المتأخرة بالنسبة الى وقعة النهروان ، فلا حق لهم في انكار ذلك من غير رجوع الى التواريخ المعتمدة والأخبار المسندة ، ومن يقرأ أخبار وقعة النهروان في تاريخ الطبري محمد بن جرير يعلم أن جيش الامام علي –ع– قد وطىء هذه الأرض القريبة من أرض الكاظمين ، وسنذكر من غير تاريخ الطبري أن الامام علياً –ع– مرّ بقرية تعرف بقطفتا باسمها الآرامي الدال على قطف الثمار وهي التي صارت محلّة من محال بغداد الغربية أيام بني العباس ووصفها ياقوت في معجم البلدان وذكرها غيره .

قال الطبري في حوادث سنة ٣٧ وهو يروي أخبار وقعة الخوارج : « وأرسل عديّ بن حاتم الطائي إلى سعد بن مسعود الثقفي عامل علي على المدائن يحذره أمرهم – يعني أمر الخوارج – فحذر وأخذ أبواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وسار في طلبهم ، فأخبر عبد الله بن وهب الراسبي خبرَه فرابأ طريقه وسار على بغداد ولحقهم سعد بن مسعود الثقفي بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء ، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القوم منهم ، وقال أصحاب سعد لسعد : ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك أمر ؟ خلّهم فليذهبوا واكتب الى أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعتهم وإن كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك . فأبى عليهم فلما جنّ الليل خرج عبد الله بن وهب

---

(١) تاريخ بغداد « ١ : ٩٠ »

الراسبي فعبر دجلة إلى أرض جوخا وسار إلى النهروان فوصل الى أصحابه وقد أيّسوا منه وقالوا : إن هلك ولينا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص ابن زهير ، وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردّهم أهلوهم كرهاً ... قال ابو مخنف حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله ابن عون قال : لما أراد علي المسير إلى أهل النهر من الأنبار قدّم قيس بن سعد بن عبادة وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره ، ثم جاء مقبلاً اليهم ووافا قيس سعد بن مسعود الثقفي بالنهر وبعث إلى أهل النار : ارفعوا إلينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ... قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أيمن عن زيد بن وهب أنّ علياً أتى أهل النهر فوقف عليهم فقال : أيتها العصابة التي أخرجها ـ عداوةُ ـ المرار واللجاجة ، وصدّها عن الحق الهوى ، وطمح بها النزق ، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذير لكم ان تصبحوا تلفكم الأمة غداً صَرعى بأثناء هذا النهر وباهضام هذا الغائط» [١] .

وإذا استخلصنا هذا الخبر نستطيع أن نقول إن الخوارج في هربهم من الكوفة أرادوا التوجه إلى المدائن أيام كانت من مدن العراق الكبيرة الحصينة ليتخذوها معقلاً ، فمنعوا من دخولها فارتفعوا نحو الشمال ومرّوا ببغداد حين كانت قرية من القرى المشهورة على دجلة في أرض الصالحية الحالية من غربي بغداد ، وتعقبهم قائدان من قواد الامام علي ـع ـ وعامل من عماله هو سعد بن مسعود الثقفي فلحق بهم في الكرخ أيام كانت قرية كبيرة محصنة كما يدل عليها اسمها ، وكانت بين أرض الشالحيّة والفلاحات من الجانب الغربيّ ، والشالحية مجاورة لأرض العتيقة المعروفة بقرية « سونايا » قديماً وفي عهد الامام علي ـع ـ وقبله وبعده حتى عصر العباسيين فقد سمّوها

---

(١) تاريخ الطبري « ٦ ، ٤٢ ، ٤٨ طبعة مصر الأولى »

« العتيقة » لأنها أقدم زمناً ووجوداً من مدينة السلام التي أنشأها أبو جعفر المنصور في شمالها الغربيّ ، وكان قريباً من الشالجية موضع مقبرة الشهداء المذكورة آنفاً ، ونستخلص أيضاً أن جيش سعد بن مسعود الثقفي وعصبة الخوارج اقتتلوا ساعة قرب الكرخ ، ولم يكن بد من أن تكون بين الفريقين جراحات مثخنة فيهم أدّت الى موت عدة فرسان من جنود الامام عليّ فدفنوا هناك ، وتسمّوا الشهداء ، ونستخلص بعد ذلك أن الخوارج قد هرب معظمهم من نواحي الكرخ متجهين إلى الشرق بعد عبورهم دجلة وبقي عبد الله بن وهب الراسبي مع الباقين من الثلاثين فارساً الذين حاربوا جنود الامام علي –ع– فلما أظلّ عليه الليل لحق بأصحابه عابراً دجلة أيضاً قرب أرض الكاظمية ، ثم اتجه نحو طريق بعقوبا والتقى القوم عند فم النهروان قرب الموضع المعروف باسمه الانكليزي الحالي «كاسل بوست » ، فهناك وقعت وقعة النهروان قبل عبور الخوارج النهروان . ونستخلص أخيراً أن الامام علياً –ع– في تعقيبه الخوارج سلك طريق الأنبار وأقام فيها وقدم عليه بها قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ثم انحدر الامام –ع– من الأنبار نحو الخوارج وهذا معناه أنه سلك طريق الفلوجة فبغداد ليعبر دجلة إلى نواحي النهروان من المعبر المشهور عند قصر سابور قرب موضع مدرسة الكرخ الثانوية الحالية وهو المعبر الذي عبرت منه سرية خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ ولكن من الشرق الى الغرب لا من الغرب الى الشرق كما فعل الامام علي –ع– . وفي أثناء قدوم علي بغداد ونواحيها ، وفراغه من حرب الخوارج مرّ بقرية « قطفتا » التي قدمنا ذكرها ومظنة خبرها ، قال مؤلف كتاب إثبات الوصية : « وروي أنه –ع– اجتاز في طريقه إلى الشام ببادوريا [1] فخرج أهل قرية منها يقال لها قطفتا فشكوا إليه ثقل الوضائع في الخراج وأنها مخالفة لسائر وضائع السّواد بالعراق ، فقال لهم وبالنبطية « وغرار وطاموغزريا » [2] ، يعني (رب جحش صغير خير من حمار

(١) هي منطقة الجانب الغربي من بغداد وكرادة مريم والدورة وما إليها .

(٢) يظهر ان الجملة فيها تصحيف لغموضها .

كبير) فكانوا كلموه بالنبطية فأجابهم بكلامهم ثم قال لهم : أنتم تبيعون ثماركم بضعف ما يبيعها غيركم من أهل السَّواد »[١] .

وبعد نقلنا هذه النصوص التاريخية الواضحة تتهادّى في درك الباطل والبطلان أقوال من أنكر قدوم الامام عليّ –ع– بغداد ونواحيها وصلى في براثا إحدى القرى المجاورة لها ودخل حماماً هناك فاستحم فيه ، وبطل أيضاً إنكار ياقوت الحموي في الكلام على براثا من معجم البلدان . وبقي

(١) كتاب اثبات الوصية « ص ١١٦ طبعة طهران » .

بقية من جامع براثا القديم قبل تجديد عمارته



الاختلاف في الموضع الذي استحم فيه وصلى أهو براثا على التحقيق أم سونايا المعروفة بعد ذلك المعروفة بعد ذلك باسم العتيقة ؟ وإنّا ذاكرون مختلف الأقوال فيما يلي السطر .

براثا ومسجدها

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان . « بَراثا بالثاء المثلّثة والقصر .. وكانت قبل بناء بغداد قرية يزعمون أنّ علياً مرّ بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان وصلى في موضع من الجامع ... وذكر انه دخل حماماً كان في هذه القرية وقيل : بل الحمام التي [٤] دخلها كانت بالعتيقة : محلة ببغداد خربت » وقال قبل ذلك « براثا ... محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محوّل وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة وقد خرب عن آخره وكذلك المحلّة ولم يبق لها أثر (أي سنة ٦٢٥ هـ) فأما الجامع فأدركت بقايا من حيطانه وقد خربت في عصرنا واستعملت في الأبنية ... »

وفي هذا الخبر تمييز من جامع براثا وموضعه ومن موضع العتيقة وسوقها اللذين قدمنا الكلام عليهما آنفاً نقلاً عن تاريخ الخطيب وتعيين الموضع الجامع بأنه كان في قِبَلِيّ الكرخ . وقد ذكرنا تعيين الكرخ سابقاً بأنه كان بين موضع الشالجية والفلاحات ، فجامع براثا كان في غربيّ هذه المواضع . وقال الخطيب البغدادي : « وكان في الموضع المعروف ببراثا مسجد يجتمع فيه قوم ممّن ينتسب إلى التشيع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه فرفع الى المقتدر بالله أن الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد لسبّ الصحابة والخروج

---

(٤) من الاغلاط القديمة تأنيث الحمام وقد التبس بالحمام الطيور المعروفة والحمام يجوز تأنيثه وتذكيره ومن هنا نشأ الغلط . وذكر ابن الجوزي في الكتاب الحمقى والمغفلين ان بعضهم أنث الحمام فقيل له كيف تؤنثه ؟ ! فقال : هذا حمام نساء .

عن الطاعة فأمر بكبسه يوم جمعة وقت الصلاة [١] فكُبس وأخذ من وجد فيه فعُوقبوا وحبسوا حبساً طويلاً وهُدم المسجد حتى سُوي بالأرض وعُفي رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خراباً إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة فأمر الأمير بجكم باعادة بنائه وتوسعته وإحكامه فبني بالجص والآجر وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه ببعض ما يليه اسماً مما ابتيع له من املاك الناس وكتب في صدره اسم (الخليفة) الراضي (بالله) وكان الناس ينتابونه للصلاة فيه والتبرك به ، ثم أمر المتقي لله بعدُ بنصب منبر فيه كان بمسجد مدينة المنصور معطلاً مخبوءاً في خزانة المسجد عليه اسم هارون الرشيد ، فنصب في قبلة المسجد وتقدم الى أحمد بن الفضل بن عبدالملك الهاشمي — وكان الامام في جامع الرصافة — بالخروج إليه والصلاة بالناس فيه الجمعة ، فخرج وخرج الناس من جانبي مدينة السلام حتى حضروا هذه في هذه المسجد وكثر الجمع هناك وحضر صاحب الشرطة فأقيمت صلاة الجمعة فيه يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وتوالت صلاة الجمعة فيه وصار من مساجد الحضرة (يعني بغداد) وأفرد أبو الحسن أحمد بن الفضل الهاشمي بامامته وأخرجت الصلاة بمسجد جامع الرصافة عن يده » وقال الخطيب بعد ذلك : « فأدركت صلاة الجمعة وهي تقام ببغداد في مسجد المدينة (يعني مدينة المنصور) ومسجد الرصافة ، ومسجد دار الخلافة (يعني مسجد سوق الغزل) ومسجد براثا ، ومسجد قطيعة أم جعفر وتعرف بقطيعة الرقيق ، ومسجد الحربية ، ولم تزل على هذا إلى أن خرجت بغداد سنة إحدى وخمسين واربعمائة ثم تعطلت في مسجد براثا فلم تكن تصلي فيه » [٢] . وجاء في أخبار سنة « ٤٢٠ هـ » ما يفيد أن الشيعة كانوا مسيطرين على جامع براثا في ذلك العصر [٣]

---

(١) كان الشيعة الامامية يصلون صلاة الجمعة ايامئذ كما دل عليه الخبر المذكور .

(٢) تاريخ بغداد « ١ : ١٠٩–١١١ » .

(٣) المنتظم « ٨ : ٤٤ » والكامل « ٧ : ٣٤٤ » .

وقد وهم ياقوت الحمويّ في خبر كبس جامع براثا في معجم البلدان وقال : « فكبسه الراضي بالله وأخذ من وجده فيه وحبسهم وهدمه حتى سوّي بالأرض وانهى الشيعة خبره الى بجكم الماكاني أمير الأمراء ببغداد فأمر بإعادة بنائه وتوسيعه وإحكامه وكتب في صدره اسم الراضي ، ولم تزل الصلاة تقام فيه الى بعد الخمسين وأربعمائة ثم تعطلت الى الآن » . إن ياقوتاً جعل الكبس باسم الراضي مع أنه كان بأمر المقتدر كما نقلنا من تاريخ الخطيب البغدادي . وقد ايّد ابن عبد الحق البغدادي قول الخطيب في كتابه مراصد الاطلاع .

مسجد العتيقة ومشهدها « المنطقة »

ذكرنا اختلاف المؤرخين والرواة في الموضع الذي صلى فيه الامام علي ـع ـ واستحم فيه ، وقد ذكرنا تاريخ أحد الموضعين ، وهو براثا ، أما الموضع الثاني فهو مشهد العتيقة ومسجدها وهو المعروف قديماً وحديثاً باسم « المنطقة » وكانت قرية تعرف قديماً باسم سونايا الارامي قال ابن عبد الحق البغدادي في مراصد الاطلاع : « سونايا ، بضمّ أوّله بعد الواو الساكنة وبعد الألف ياء مثناة من تحت وألف مقصورة ، قرية قديمة كانت ببغداد ينسب العنب الأسود اليها الذي يتقدم ويبكّر على سائر العنب مَجناه ، ولما عمرت بغداد صارت محلّة من محالها وهي (العتيقة) وبها مشهد لعلي بن أبي طالب ـع ـ يعرف بمشهد « المنطقة » ففي هذا النص تصريح باسم المنطقة المعروف المتعارف حتى في هذه الأيام ، وهو نصّ يدحض الى أبد الآبدين قول من يسمّي مسجد المنطقة « بجامع براثا » . ولاتمام ذكر النصوص المويدة لما قدمنا ننقل ما ذكره ابن عبد الحق وغيره قال ابن عبد الحق : في مراصده : « العتيقة بفتح أوله وكسر ثانيه : محلة ببغداد بالجانب الغربي ما بين طاق المراني الى باب الشعير وما اتصل به من شاطيء دجلة وإليها تنسب القنطرة العليا التي على الصّراة ، وسميت العتيقة لأنها

كانت قبل بناء بغداد قرية يقال لها سونايا وإليها ينسب العنب الأسود ، ومساكن هذه القرية مكان هذه المحلّة »[١] .

فتأمل توحيد ابن عبدالحق بين ما سمّاها سونايا وذكر فيها « مشهد المنطقة » القائم حتى اليوم وإن كان مجدّداً وبين العتيقة ، ولكنه حين ذكر جامع براثا ميّزه عن العتيقة وسونايا أوضح التمييز قال : « براثا بالثاء المثلثة والقصر : محلة كانت في طرف بغداد في قبليّ الكرخ وبني بها جامع كانت تجتمع به الشيعة ويسبون الصحابة فيه فأخذ الراضي من وجد فيه وهدمه ثم أعاده بجكم ووسعه وكتب اسم الراضي في صدره وأقيمت به الجمعة الى ما بعد الخمسين واربعمائة ثم قطعت منه وخرب . وآثاره باقية الى الآن » . بقي إلى ما بعد سنة سبعمائة الهجرية أي البرهة التي ألف ابن عبد الحميد الكتاب لأنه توفي سنة ٧٣٩ هـ . وقد اختصر ابن عبدالحميد كلام ياقوت على هذا المسجد وقد نقلناه آنفاً ووهم مثله في اسم الخليفة الذي هدمه وهو المقتدر بالله كما نقلنا من تاريخ البغدادي لا الراضي بالله . وأفاد ابن عبد الحق ان آثار الجامع كانت باقية في القرن الثاني للهجرة ولكنها آثار لا عمارة قائمة كاملة المرافق المسجدية .

---

(١) وقد جلى الشيخ محمد السماوي المنطقة (سونايا) وموقعها من جامع براثا في تخطيط بغداد وبنائها من قبل المنصور فيقول في ارجوزته من تخطيط المنصور وموقع (المنطقة) وموقع (براثا) .

وعين الغرب لنهر دجله	على ازورار نهرها في الحمله
وخطها دائرة منسقه	ومركز الخط بحيث (المنطقه)
وهي التي يدعونها (سونايا)	خلف (براثا) اذ تقاس نايا
حيث (براثا) للجنوب سمت	تبعد عما خطه نوبخت

الحليلي

مقابر قريش

قدمنا في أول هذا البحث أن دارة الكاظمية كانت تعرف بمقابر قريش ونذكر أن السبب في تسميتها بهذا الاسم هو أن أبا جعفر المنصور بعد أن أنشأ مدينته المعروفة بمدينة السلام تفاؤلاً بسلامة دولته من الخطر والضرر ، سنة ١٤٥ هـ أصابه الزمان بوفاة ابنه جعفر الأكبر الذي حقق باسمه كنيته وكانت الوفاة سنة « ١٥٠ » هـ فاتخذ مقبرة جديدة في أرض دارة الكاظمية الحالية وسمّاها « مقبرة قريش » أو « مقابر قريش » بالجمع ، وهذا الاسم يدل على أن الموتى الذين كانوا يدفنون فيها كانوا من قريش خاصة كالعباسيين والعلويين ، ولكن هذا الشرط لم يحافظ عليه بعد ذلك . وقد دفن أبو جعفر جعفراً المقدم ذكره فيها ثم دفن فيها أبو يوسف القاضي الأنصاري سنة ١٨٢ هـ . ولم يكن قرشياً كما هو معلوم ، ثم دفن فيها الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ـع ـ سنة ١٨٣ هـ وبعد ذلك بعدة سنين دفن إلى جنبه الامام محمد الجواد حفيده سنة ٢١٩ هـ ، قال الخطيب البغدادي : « بالجانب الغربي في أعلى المدينة مقابر قريش دفن فيها موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجماعة من الأفاضل معه ... سمعت الحسن بن ابراهيم أبا علي الخلال يقول : ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به الا سهّل الله تعالى لي ما أحب » ثم أسند الى محمد بن خلف وكيع قال : « وكان أول من دفن في مقابر قريش جعفر

الأكبر بن المنصور » ثم قال الخطيب : « سمعت بعض شيوخنا يقول : مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير ، والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشُونيزي الكبير ، وكان أخوان يقال لكل واحد منهما الشونيزي ، فدفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين [1] ونسبت المقبرة إليه » [2] . أما الشونيزية الحقيقية فهي المعروفة اليوم بمقبرة الشيخ جنيد البغدادي الصوفي غربي قبر معروف الكرخي [3] .

وأثر التخليط واضح على هذا الخبر ، فلم يرد ذكر الشونيزي الصغير إلا فيه ، ولو كانت مقابر قريش تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير لقيل إنها كانت مقبرة قبل اتخاذ المنصور لهـا ، بالتحقيق والتأكيد ، ولورد ذكرها في الأقل في خبر وفاة جعفر الأكبر وقيل إنه دفن في مقبرة الشونيزي الصغير التي عرفت بعد ذلك بمقبرة قريش أو مقابر قريش ، ثم يقال : كيف يدفن الأخوان متباعداً قبراهما هذا التباعد ؟ هذا وقد ذكر ياقوت الحموي ومؤلف المراصد أن المنصور هو الذي جعل أرض مقابر قريش مقبرة ، قال في المراصد : « مقابر قريش ببغداد مقبرة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور ، بين مقـبرة الامام أحمد والحريم الطاهري وبهـا مشهد قبر موسى بن جعفر وابن ابنه الجواد ، وكان أول من دفن فيها جعفر الأكبر ابن المنصور وجعلها المنصور مقبرة لما ابتنى مدينته » .

---

(١) هذا التعابير من التعابير القديمة الموهومة فيها ذلك انه لو دفن كل واحد منهما في أحدى هاتين المقبرتين لكان الشونيزي الكبير والشونيزي الصغير دفنا مرة في مقابر قريش ومرة ثانية في مقبرة الشونيزي الكبير وهذا هو المفهوم من قوله « كل واحد منهما بدلا من دفن احدهما ... ودفن الآخر .

(٢) تاريخ بغداد « ١ : ١٢٠ »

(٣) وقول الخطيب عن الشونيزي الصغير يتنافى وما اوردناه في (المدخل) من موسوعة العتبات المقدسة في الصفحة ١٢١ من تحقيق الدكتور حسين امين عن مدينة (الكاظمين) اعتماداً على البغدادي نفسه : ج ١ ص ١٢ ، وابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٢٩ والراجح هو ان الخطيب البغدادي ومن ذهب مذهبه في ان الشونيزية هي مقابر قريش مخطئون

الخليلي

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « مقابر قريش ببغداد وهي مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور ، بين الحربية ومقبرة أحمد ابن حنبل -رض- والحريم الطاهريّ وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد وهي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الامام الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان أول من دفن فيها جعفر الأكبر بن المنصور أمير المؤمنين في سنة (١٥٠ هـ) وكان المنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى مدينته سنة ١٤٩ » . وقال في قريش من معجم البلدان أيضاً : « وهي عدة مواضع سميت بأصحابها منها مقابر قريش ببغداد وهي مقابر باب التبن التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق وابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين الشهيد بكربلاء بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - فنسب إلى قريش القبيلة » .

قلنا : وفي تسمية ياقوت مقابر قريش بمقابر باب التبن تسامح بل تهاون . فالمقبرتان مختلفتان وإن كانتا متجاورتين ، فهو يقول في باب التبن : « باب التبن بلفظ التبن الذي تأكله الدواب - اسم محلة كانت ببغداد على الخندق بازاء قطيعة ام جعفر ، وهي الآن خراب صحراء يزرع فيها وبها قبر عبد الله ابن أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - دفن هناك ، بوصية منه وذاك أنه قال : قد صحّ عندي أنّ بالقطيعة نبيّاً مدفوناً ولأن أكون في جوار نبي أحب إليّ من أن أكون في جوار أبي . وبلصق هذا الموضع مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب - رضي الله عنهم - ويعرف قبره بمشهد باب التبن ، مضاف إلى هذا الموضع وهو الآن محلة عامرة وذات سور مفردة » .

فقوله ويعرف قبره بمشهد باب التبن جدير بأن يضاف اليه : « عند من يُريد أن يغمض اسمه من المغمضين . المدلّسين . فقبر عبد الله بن أحمد ابن حنبل أولى أن يسمى تلك التسمية لأنه كان في تلك المقبرة نفسها وأمّا

قبر الامام موسى فهو المعروف بمشهد الامام موسى بن جعفر وبالمشهد الكاظمي كما ذكرنا من قبل .

المواضع المجاورة لمقابر قريش قديماً

ذكرنا أن منطقة الكاظمية كانت قديماً من نواحي عقرقوف التي كانت تسمى في عصور الدولة الكشية « دوركاريكالزو » وقد سمّاها الآراميون « عقرقوف » قال ياقوت في معجم البلدان : « عقرقوف هو عقر أضيف اليه فصار مركباً مثل حضرموت وبعلبك ... وهي من نواحي دجيل [1] بينها وبين بغداد أربعة فراسخ وإلى جانبها تل عظيم من تراب يُرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة لا يدرى ما هو . إلا أن ابن الفقيه ذكر أنه مقبرة الملوك الكيانيين وهم ملوك كانوا قبل آل ساسان من النبط وإياه عنى أبو نواس بقوله :

إليك رمت بالقوم هُوج كأنما جماجمها تحت الرحال قبور
رحلن بنا من عَقَرْقوفَ وقد بدا من الصبح مفتون الأديم شهير
فما نجدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عيني أباغ ثغور

وقد ذكر أهل السير أن هذه القرية سميت بعقرقوف بن طهمورث الملك ... وكان زيد بن وديعة (الحبلي) قد قدم العراق في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فنزل بعقرقوف . سمعتُ [2] أن ابن أبي قطيفة يقول : ما أخذ ملك الروم أحداً من أهل بغداد إلا سأله عن تلّ عقرقوف فان قال له :

---

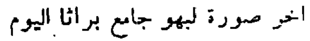
(١) عقب ابن عبد الحق البغدادي في المراصد عليه بان عقرقوف كانت من نواحي نهر عيسى لا من نهر دجيل ويؤيد قوله العقيق الجاف لنهر يأخذ من عقيق نهر عيسى ويمتد إلى منطقة عقرقوف حتى اليوم . ويؤكد قوله ما ورد في وقفية أمين الدين مرجان الاولاقايّي منشىء المدرسة المرجانية من ان بعض اوقافها في عقرقوف من نهر عيسى .

(٢) السامع مذكور في معجم البلدان وليس هو بياقوت صاحب المعجم .

اته بحاله قال : لا بد أن أطأه . فصار ولده (أي ولد زيد بن وديعة) بها يقال لهم بنو عبد الواحـــد بن بشير بن محمد بن موسى بن سعد بن زيد بن وديعة ، وليس بالمدينة منهم أحد . وشهد زيد بن وديعة بدراً واحداً » . ولم ننقل أخبار عقرقوف القديمة في معجم البلدان اعتماداً على صحتها ، فلا صلة لعقرقوف بالكيانيين ولا الملك المزعوم أنه عقرقوف بن طهمورث ؛ والصحيح ما ذكرناه من تاريخهـــا في أول هذا البحث وكرّرنا بعضه في صدر الكلام على هذا الموضع هنا .

أسلفنا من القول أن المنطقة القائمة في عصرنا بين الكاظمية وبغداد كان يعرف موضعه باسم « سونايا » الآرامي ، وسُمّي في أول قدوم المنصور منطقة بغداد « العتيقة » ونقلنا من مراصد الاطلاع أنّ في سونايا أي مشهداً منسوباً إلى الامام عليّ بن أبي طالب –ع– يعرف بمشهد المنطقة . ولا يزال هذا الاسم هو الغالب على هذا المسجد الشيعي المقدس . وأظهرنا خطأ من سماه « مسجد براثا » لأن ذلك المسجد كان في جهة قبلة الكرخ وقد زال منذ عصور . ومسجد المنطقة في شرقي الكرخ الشماليّ . وقد ذكر ياقوت الحموي سونايا والعتيقة في معجمه قال : « سونايا- بضمّ أوله وبعد الواو الساكنة نون وبعد الألف ياء مثناة من تحت وألف مقصورة : قرية قديمة كانت ببغداد ينسب إليها العنب الأسود الذي يتقدم ويبكّر على سائر العنب مجناه . ولما عمرت بغداد دخلت هذه القريةفي العمارة . وصارت محلّة تعرف بالعتيقة وبها مشهد لعليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – وقد درست الآن » . يعني المحلّة .

ثم قال : « العتيقة . بفتح أوله وكسر ثانيـــه بلفظ ضد الجديدة : محلّـــة ببغداد في


اخر صورة لبهو جامع براثا اليوم



الجانب الغربي ما بين طاق الحراني إلى باب الشعير وما اتصل بـه من شاطىء دجلة ، وسميت العتيقة ، لأنها كانت قبل عمارة بغداد قرية يقال لها سونايا وهي التي ينسب اليها العنب الأسود . وكانت منازل هذه القرية في مكان هذه المحلة وما حولها مزارع وبساتين » .

قطربل

قال ياقوت الحمويّ : « قطربل بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشدّدة مضمومة ولام ، وقد روي بفتح أوله وطائه ، وأما الباء فمشدّدة مضمومة في روايتين وهي كلمة أعجميّة : اسم قرية من بغداد وعكبرا ... وقيل هو اسم المسّوج طساسيج بغداد أي كورة ، فما كان شرقيّ (نهر) الصراة فهو بادوريا . وما كان غربيّها فهو قُطربل » وكان قبل ذلك قد قال إنها قرية كما نقلناه واتبعه قوله : « ينسب اليها الخمر ، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين وقد اكثر الشواء من ذكرها ... قال البّبغاء يذكر قطربّل وهي شماليّ بغداد وكلواذا وهي جنوبيّها :

كم للصبابة والصِّبا من مَنْزِل ما بين كلواذا إلى قطرَبَّل
جادَتْهُ من ديم المُدام سحابة أغنته عن صوب الحيا المتهلّل
غيث إذا ما الراح أو مض برقه فرعودُه حَثَّ الثقيل الأوّل
نطقت مواقع صوبـه بسحابة تهمي على كَرَّب الفؤاد فتنجلي
راضعت فيه الكأس أهيف ينثني نحوي بجيد رشا وعيني مُغزِل
فأتى وقـد نقش الشعاع بنانـه عموّج من نسجها ومُبَقَّلِ
وكسا الخضاب بهـا بناناً ياله لو أنه من وقته لم يَنْصلِ

وقال جحظة البرمكي :

قد أسرفت في العذل مشغولة بعذل مشغول عن الـعذل
تقول هل أقصرت عن باطل أعرضه عن دينـك الأوّلِ

فقلت ما أحسبني مُقصـراً ما أعصرت راح بقطـربّلِ
وما استدار الصدغ في ناعم مورّد كاللهب المُشْعَلِ
قالت فأين الملتقى بعـدذا فقلت : بين الدّنّ والمِبزَلِ »

وقال ياقوت في المشترك وضعاً المختلف صُقعاً : « قطربل موضعان ، كفتح القاف وسكون الطاء وفتح الراء وتشديد الباء الموحدة وضمّها ولام . قطربل : قرية مشهورة بين بغداد وعكرا ، كانت مجمعاً للخلفاء ومألفاً لأهل القصف والشعراء وقد أكثروا فيها الشعر » . ولقطربل ذكر حسن في كتاب الديارات للشابشتي .

وقد كرّر ياقوت كون « قطربل » بين بغداد وعكبرا . وهو عندي وهم من اعتماد على ما أنا ناقله من كتاب مراصد الاطلاع لأن عكبرا كانت في الجانب الشرقي من دجلة وقطربل في الجانب الغربيّ وبعد القرن السادس تحوّل مجرى دجلة نحو الشرق عدة كيلومترات فصارت عكبرا في الجانب الغربي ، فكان الصواب ان يقول إنها كانت بين بغداد والمزرفة . وقد ذكرنا وهم ياقوت في عقرقوف قال ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع : « قطربّل ... قال (ياقوت) : قرية بين بغداد وعكبرا . قلت : بين بغداد والمزرفة لأن عكبرا من الجانب الشرقي وهي في الغربيّ وبينها فراسخ واليها ينسب الطسّوج الذي هي فيه فيقـال : طسّوج قطربل وما فوق الصراة من أسافل سقي الدجيل فهو من طسّوج قطربل وهي شمالي بغداد ، يضاف اليها الخمـر والحانات وهي الآن سنه ٧٣٩ خراب .

المزرفة

قال ياقوت في معجم البلدان : « المزرفة بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة وفاء : قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ وإليها ينسب الرمان المزرفيّ ، كان فيها قديماً ، فأما اليوم فليس بها بستان البتـة ولا رمان ولا غيره وهي قرية قريبة من قطربّل ... »

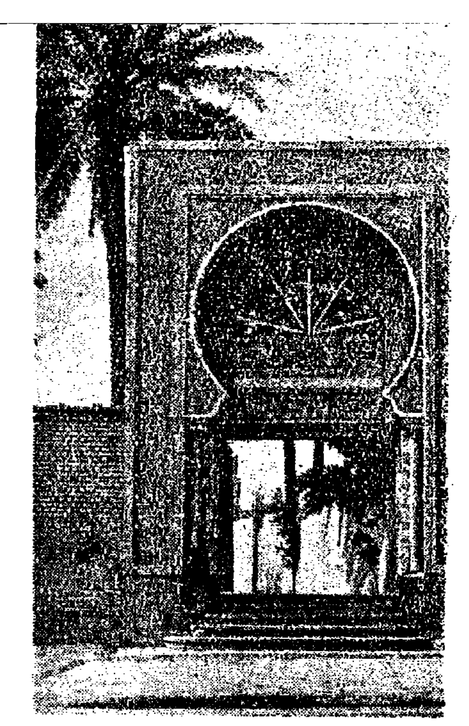
مقبرة الشهداء

بسطنا القول آنفاً في موضع مقبرة الشهداء والسبب في تسميتها بهذا الاسم وذكرها ياقوت في معجم الأدباء ولم يعرف سبب التسمية . قال : « مقابر الشهداء ببغداد . إذا خرجت من قنطرة باب حرب فهي نحو القبلة عن يسار الطريق . لا أدري لم سُمّيت قال أبو الفرج بن الجوري في ترجمة السمرقندي المتوفى سنة ٥٣٦ هـ انه دفن في مقبرة الشهداء » وذكر إنكار ابن الجوزي لحقيقتها وجاء في مختصر مناقب بغداد « وأما المقبرة التي يقال إنّها مقبرة الشهداء فوق قبر أحمد بن حنبل فان العوام يقولون : هؤلاء جماعة كانوا مع علي – عليه السلام – في قتال الخوارج بالنهروان وماتُوا هناك . وهذا شيء لا أصل له »[1] وقد نقلنا مثل ذلك من قبل عن تاريخ الخطيب وفندناه تفنيداً مُبيّناً ، إلا أن الراجح هو أن أولئك استشهُدوا قبل وقعة النهروان بقليل وكانت الوقعة بينهم وبين الخوارج قرب أرض الكاظمية وفي نواحيهـــا ومنها مقبرة الشهداء المذكورين ، غير أن مقبرتهم ومقبرة باب حرب وغيرهما قد زالت ولم يبق لها أثر .

قبر هشام بن عمرو بن الزبير

قال الخطيب البغدادي : «كان المشهو ر عندنا أن قبر هشام بن عروة في الجانب الغربيّ وراء الخندق أعلى مقابر باب حرب ، وهو ظاهر معروف هناك وعليه لوح منقوش فيه أنه قبر هشام مع ما أخبرنا به الحسن بن علي الجوهري (عن أبي الحسين بن المنادي) قال : أبو المنذر هشام بن عروة ابن الزبير بن العوام القرشيّ . مات أيام خلافـــة أبي جعفر في سنة ست وأربعين ومائة ودفن بالجانب الغربيّ خارج السّور نحو باب قطربّل » ثم

(١) مختصر مناقب بغداد المطبوع بمناقب بغداد « ص ٢٩ » .



المدخل الرئيسي لجامع براثا اليوم

روى عن بعض الشيوخ أنه « سمع أبا الحسين أحمد ابن عبد اللهبن الخضر ينكر أن يكون قبر هشام ابن عروة بن الزبير هو المشهور بالجانب الغربيّ قال : هذا قبر هشام بن عروة المروزي صاحب ابن المبارك وإنما قبر هشام بن عروة ابن الزبير بالخيزرانية [1] من الجانب الشرقي ... ونرى أن قول أحمد بن عبد الله بن الخضر هو الصواب . إلا أنّا لا نعرف في أصحاب ابن المبارك من يسمى هشام بن عروة ولا نعلم أيضاً روي العلم عن أحد سمي هشاماً واسم ابيه عروة سوى هشام بن عروة بن الزبير بن العوام والله أعلم » .

وقد نقلنا هذه الأخبار لأن فيها ذكراً لباب قطربّل خاصة ولقبر هشام الزبيريّ على أضعف الروايات . والمُراد بالسور المذكور فيها هو سور مدينة المنصور المعروفة بمدينة السلام . وفيها ميل ناس الى التزوير في تسمية القبور ، وميل ناس آخرين إلى التساهل في تحقيق التاريخ والتسامح في ذكر الاخبار .

قطفتا

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « قطفتا بالفتح ثمّ الضمّ والفاء ساكنة وتاء مثناة من فوق والقصر ، كلمة أعجمية لا أصل لها في العربية في علمي وهي محلّة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربيّ من بغداد مجاورة لمقبرة الدير [2] التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي –رض– وبينها وبين

---

(١) هي مقبرة الامام ابي حنيفة التي انشئت حولها محلة كانت اصل بلدة الأعظمية الحالية .

(٢) قلنا هو دير كليليشوع الخاص بالنصارى النساطرة منذ عصر الساسانيين

دجلة أقل من ميل وهي مشرفة على نهر عيسى إلا أن العمارة متصلة الى دجلة بينهما القُرَّية : محلّة معروفة ، ينسب اليها جماعة ... » وذكر ابن عبد الحق البغدادي موجز هذا القول في كتابه مراصد الاطلاع ، وكلاهما لم يذكر عن قدمها وكونها قرية عتيقة، كما نقلنا من كتاب ـ اثبات الوصية ـ شيئاً .

براثا ومسجدها

ذكرنا آنفاً أن براثا كانت قرية في جهة قبلة الكرخ وأن مسجدها هناك وأن لا صلة لمسجد براثا بمسجد المنطقة المعروف باسم هذا قديماً وحديثاً . ويسمى مسجد العتيقة ومشهد العتيقة ، وقد جاء في كشف الغمة في معرفة الأئمة لعلي ابن عيسى الكردي الأربلي ما هذا نصه خاصاً ببراثا « وعن علي ابن الحسين عن آبائه ـع ـ قال : لما رجع علي ـع ـ من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس : إنها الزوراء فسيروا وجنّبوا عنها ، فان الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة فلما أتى موضعاً من أرضها قال : ما هذه الأرض ؟ قيل أرض بخرا[1] فقال : أرض سباخ جنّبوا ويمّنوا ، فلما أتى يمنة السّواد إذا هو براهب في صومعة، فقال لــه يا راهب أأنزل هاهنا ؟ فقال له

مناراتا جامع براثا الحديثتان



---

(١) كذا ورد في المطبعة الحجرية ولعله « خبراء » جاء في اللسان « والخبرة : القاع ينبت السدر وجمعه خبر » وهي الخبراء ايضاً والجمع خبراوات وخبار ... والخبراء : منقع الماء وخص بعضهم به منقع الماء في اصوله السدر وقيل الخبراء : القاع ينبت السدر والجمع الخبارى والخباري ، يقال خبر الموضع بالكسر فهو خبر وارض خبرة ، والخبر شجر السدر والآراك وما حولها من العشب واحدته خبرة وخبراء الخبرة: شجرها ... والكلام بسيط .

الراهب : لا تنزل بجيشك هــذه الأرض . قال : ولِمَ :قال : لأنه لا ينزلهــا إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ بجيشه يقاتل في سبيل الله ــ عز وجل ــ هكذا نجد في كتبنا . فقال له أمير المؤمنين ــ ع ــ : فأنا وصي سيد الأنبياء وسيد الأوصياء . فقال له الراهب : فأنت إذن أصلع قريش وصيّ محمد . قال له أمير المؤمنين ــ ع ــ : أنا ذلك . فنزل الراهب إليه فقال : خذ عليّ شرائع الاسلام إني وجدت في الانجيل نعتك فانك تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسى . فقال له أمير المؤمنين : قف ولا تخبرنا بشيء . ثم. أتى موضعاً فقال : الكزوا هذا . فلكزه برجله فانبجست عين خرّارة فقال : هذه عين مريم التي أنبَعِثُ لها . ثم قال : اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً . فكشفوا فإذا بصخرة بيضاء . فقال علي : على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت هاهنا . فنصب أمير المؤمنين الصخرة وصلى عليها ، وأقام هناك أربعة أيام يتمّ الصلاة وجعل الحرم في خيمــة من الموضع (كذا) ثم قال : أرض براثا هذه بيت مريم ــ ع ــ هذا الموضع المقدّس صلى فيه الأنبياء . قال أبو جعفر محمد بن علي ــ ع ــ : ولقد وجدنا أنه صلىّ فيه ابراهيم قبل عيسى ــ ع ــ » [١] قال بهاء الدين الأربلي بعد ذلك : « قلت : أرض براثا هذه عند باب محوّل على قدر ميل أو أكثر من ذلك من بغداد وجامع براثا هناك وهو خراب وحيطانه باقية الا شيء منها (كذا)

---

(١) وقد أشار العلامة السماوي في ارجوزته التي تضمنت تاريخ الكاظمين باسم (صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد) إلى المؤرخين والرواة الذي ذكروا مرور الأمام علي ابن ابي طالب ببغداد في حرب الخوارج وصلاته في جامع براثا في قوله : .

قال اولو التاريخ والرواية	ممن له في الأثر العناية
مر امير المؤمنين عائجا	على (براثا) اذ دها الخوارجا
فانبط العين بها وصلى	وساق في فضل(براثا)فصلا..الخ

وانبط العين : اي اخرج ماءها

الخليلي

دخلته وصليت فيه وتبرّكت به »[1]. وهذا الخبر من أخبار الملاحم وأمرها معروف وربما أريد بموضع مريم وعيسى دير من الديارات التي يذكران فيها[2].

بناورا

بناورا قرية قديمة كانت من قرى الجانب الغربي من دجلة قال ياقوت في الكلام على قطيعة الربيع من معجم البلدان : « ... وكانت قطيعة الربيع بالكرخ مزارع الناس من قرية يقال لها بناورا من أعمال بادوريا » . قلت : وهي غير بنورا التي ذكر بعض المعلقين على معجم البلدان أنها من نواحي الكوفة من ناحية نهر قورا قرب بلدة سورا بينها نحو من فرسخ . وذكر ابن عبد الحق أنها تحت الحلة المزيدية . ولابنورا الأخرى .

ورثال

قال ياقوت : « ورثال بالفتح ثم السكون وثاء مثلّثة وآخره لام : اسم الموضع الذي بنيت فيه قطيعة الربيع وسويقة غالب قبل بناء بغداد » . وكان قال في الكلام على نهر القلائين جمع قلاّء للذي يقلي السمك وغيره وهي محلّة كبيرة ببغداد في شرقي الكرخ ... وكان مكانه (كذا) أي النهر قبل

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة « ج١ ص ١١٧ – ١١٨ » طبعة طهران سنة ١٢٩٤ هـ .

(٢) هذا الفصل الذي يورده الاربلي عن براثا ويذكر فيه بيت مريم وارض عيسى هو من المصول الملحقة بالاخبار والروايات التي تختلف منابعها وجذورها عن منابع التاريخ وجذوره ، وحين يلجأ الى أمثالها المؤرخ وهو يستعرض قضايا تاريخية ليس لها بالرواية اتصال او شبه اتصال فأنما يفعل ذلك لانتزاع شاهد تاريخي ورد في ضمن الرواية عفواً كما فعل الباحث هنا من ايراد هذا الفصل برمته لينتزع منه قول القائل بأنه دخل جامع براثا وصلى فيه وتبرك به والفاه خراباً لم يبق منه الا الحيطان وما عدا ذلك فقد اورده الكاتب بداعي السياق والافان للاخبار والملاحم والروايات شأناً آخر غير شأن التاريخ .
الخليلي

عمارة بغداد قرية يقال لها ورثال وفي غربيه الشونيزيه : مقبرة الصالحين ببغداد .. » .

الشونيزيه

قال ياقوت : « الشونيزيّة بالضمّ ثم نون مكسورة وياء مثناة من تحتُ ساكنة وزاي وآخره ياء النسبة : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي دفن فيها كثير من الصالحين منهم الجنيد وجعفر الخلدي ورويم وسمنون المحبّ وهناك خانقاه للصوفية » . وذكرها ابن عبد الحق في اختصاره لمعجم البلدان وزاد على قول ياقوت أن فيها مسجد الجنيد وذكر الخانقاه أيضاً يعني المتعبّد المتعبّد الصوفي المعروف عند العراقيين بالرباط وفي العصر الحديث بالتكية .

عرض جامع

لحياة الامامين الجوادين

كتبه

جعفر الخليلي

مؤلف موسوعة العتبات المقدسة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الامامان

موسى الكاظم و محمد الجواد

يقول الشاعر :

لُذ إن دهتك الرزايا والدهر عيشك نكّد
بكاظم الغيظ (موسى) وبالجواد (محمد)

والكاظمية هي مدفن الامام موسى الكاظم وحفيده الامام محمد الجواد وقد شملت صفة كظم الغيظ الحفيد فسميا بالكاظمين ، كما شملت صفة الجواد الجد فسميا بالجوادين ، ولذلك يقول الشاعر فيهما

ما خاب من أمّ جواداً فهل يخيب من أمّ جوادين؟

الامام موسى الكاظم

هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ، بن علي بن ابي طالب (ع) وهو الامام السابع عند الشيعة الامامية ولد بالابواء وهو منزل بين مكة والمدينة [١] في اليوم السابع من صفر سنة ١٢٨ هـ المصادف ٧٤٥ م فأولم ابوه الامام الصادق بعد ولادته واطعم الناس

(١) المدخل من موسوعة العتبات المقدسة ص ٢١٣ ، والاعلام للزركلي في اسم موسى بن جعفر

ثلاثاً [١] وقيل كانت ولادته يوم الثلاثاء وقبل طلوع الشمس من سنة ١٢٩ هـ [٢]

وامه أم ولد يقال لها (حميدة) بنت صاعد (المغربية) وقيل (الاندلسية) وكانت حميدة الصفات حتى وصفت باللؤلؤة . ووصفت (بالمصفاة) وقال عنها الامام الصادق : ان حميدة مصفاة من الادناس كسبيكة الذهب .

وكانت للامام موسى بن جعفر القاب متعددة يعرف بها كالصابر ، والعبد الصالح ، والامين ، والنفس الزكية . والزاهر . والوفي ، وزين المجتهدين . ولكن صفة (الكاظم) كانت اشهر صفاته حتى لقد التصقت باسمه كجزء متمم فعرف بموسى الكاظم . وكظم الرجل غيظه اذا اجترعه ، وفي التنزيل : « والكاظمين الغيظ » وقد فسره ثعلب فقال : يعني الحابسين الغيظ لا يجازون عليه ، وقال الزجاج : معناه : أعدت الجنة للذين جرى ذكرهم ، وللذين يكظمون الغيظ ، وروي عن النبي (ص) انه قال : ما من جرعة يتجرعها الانسان اعظم أجراً من جرعة غيظ في الله عز وجل ، وفي الحديث . من كظم غيظاً فله كذا وكذا ، وكظْم الغيظ : تجرُّعه ، واحتمال سببه ، والصبر عليه [٣] .

وقد سمي بالكاظم لكثرة كظمه الغيظ . وصبره على ما لقي من الظلم والاذى والحبوس .

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول عن مناقب الرسول) عن الكاظم : « ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً ، فكان يجازي المسيء باحسانه اليه ، ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه ، وكان اذا بلغه عن احد انه يؤذيه ارسل اليه بالذهب والتحف [٤] وقال ابن الاثير وكان يلقب بالكاظم لانه كان يحسن إلى من يسيء اليه وكان هذا عادته أبداً [٥]

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ ص ٣ ط ١ منقولا عن البرقي في المحاسن ،
(٢) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٥ ط مكتبة النهضة
(٣) لسان العرب لابن منظور مادة كظم
(٤) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٨٣ مط السعادة
(٥) الكامل في التاريخ ج ٦ ص ١٦٤ مط صادر ودار بيروت

مثل من حلمه

ورويت عن حلمه وعن مجازاته المسيئين اليه بالاحسان روايات كثيرة في بطون التاريخ ، ومن هذه الروايات ما اثبته ابو الفرج الاصفهاني قال :

ان رجلا من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن ابي طالب اذا رأى موسى بن جعفر ، ويؤذيه اذا لقيه . فقال له بعض مواليه وشيعته : دعنا نقتله . فقال : لا . ثم مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتواطأها بحماره متعمداً . فخرج اليه الرجل زاجراً ، ولكنه لم يصغ اليه بل قصده حتى بلغ منزله ، ونزل عنده ، وبدأ يلاطفه ويضاحكه ثم سأله بعد ذلك :

–كم تظن قد لحق بك من الخسارة بسبب تواطؤ حماري لمزرعتك ؟

قال – (وهو يريد المغالاة في الضرر) مائة درهم

قال – وكم ترجو ان تربح لو كانت قد سلمت مواطىء الحمار من الضرر؟

قال – لا ادري ...

قال – انما سألتك كم ترجو ؟

قال – مائة درهم اخرى

فأخرج له ثلثماية دينار (لا درهم) ووهبها له ، فقام الرجل وقبل رأسه ، ومنذ ذلك الحين صار الامام الكاظم لا يدخل المسجد حتى يثب ذلك العمري ويسلم عليه ويقول : « الله اعلم حيث يجعل رسالته »

وتقول الرواية : ولقد وثب اصحابه عليه لائمين – اي على العمري – ومعنفين على عمله هذا فكان يشاتمهم ويقف في وجوههم

وقال موسى لمن كان يريد ان يجزي الاساءة بالاساءة :

« ايما كان خيراً ما اردتم انتم او ما اريد انا ؟ » [1]

---

(١) مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني ص ٥٠٠ مط دار احياء الكتب العربية

صفات الامامة وصفات الكاظم العامة

وللامامة عند الشيعة صفات لا يمكن للامام ان يكون اماماً دونها ، وهي صفات الانسان الكامل التي ترفع قدره حتى تجعله فوق مستوى الناس من حيث التقوى . والعدل . والامانة ، وحب الخير . واسداء المعروف . والبعد عن كل خلق شائن . اضافة إلى غزارة العلم وسعة الاطلاع لكي يصلح ان يكون قدوة في دنيا الناس . ولقد اوتي الامام الكاظم كل الصفات التي اوتيها آباؤه الأئمة من قبله .

قال الشيخ المفيد في (الارشاد) وكان موسى بن جعفر عليه السلام أجل ولد ابي عبد الله (يعني الامام الصادق) قدراً ، وأعظمهم محلا . وأبعدهم في الناس صيتاً ، وكان اعبد أهل زمانه . واورعهم . وأجلّهم وأفقههم

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي : هو الامام الكبير القدر ، العظيم الشأن الكثير التهجّد ، الجاد في الاجتهاد ، المشهور بالعبادة ، المواظب على الطاعات المشهور بالكرامات يبيت الليل ساجداً وقائماً ، ويقطع النهار متقصداً وصائماً

وقال ابن شهر آشوب : كان افقه اهل زمانه ، واحفظهم لكتاب الله . وكان اجل الناس شأناً ، واعلاهم في الدين مكاناً ، وافصحهم لساناً . واشجعهم جناناً قد خصه الله بشرف الولاية ، وحاز إرث النبوة ، وبُوّء محل الخلافة . سليل النبوة وعقيد الخلافة .

وروي انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدة في اول الليل وسمع وهو يقول في سجوده :

« الهي عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك . يا اهل التقوى . ويا اهل المغفرة » وجعل يرددها حتى اصبح [1]

وقد بلغ من رقة الحاشية والتواضع حتى اصبح حديث اهل زمانه على الرغم

---

(١) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٣ مط النهضه

مما كان يحوطه من الوقار الذي يفرض احترامه على الناس عفواً ، هذا الوقار والتواضع الذي يعود اليه بعض تخوف هرون الرشيد من اقبال الناس عليه .

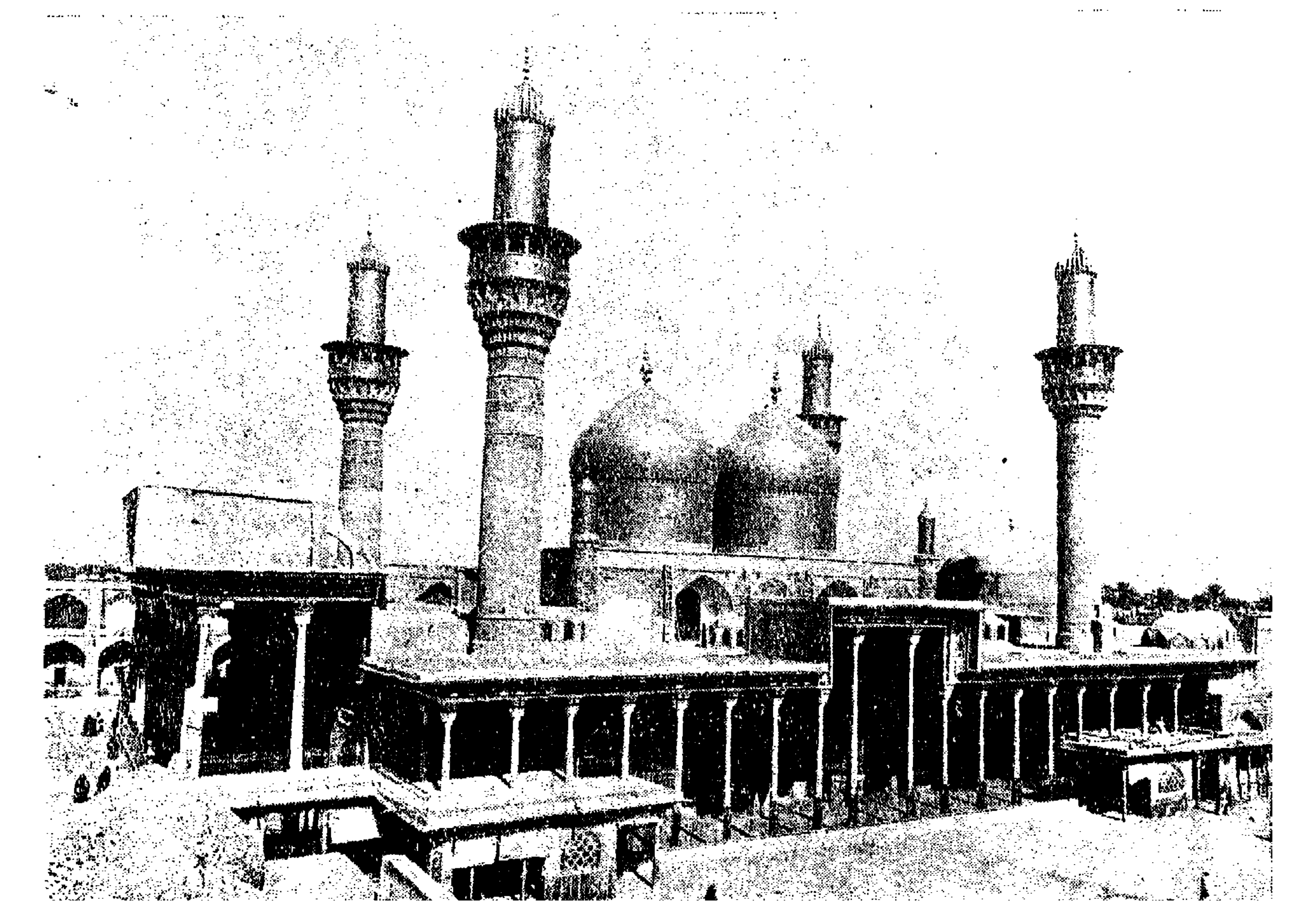
قيل ان الرشيد لما حج لقيه موسى بن جعفر على بغلة . فقال له الفضل بن الربيع : — ما هذه الدابة التي تلقيت عليها امير المؤمنين ؟ فأنت ان طلبت عليها لم تدرك . وان طلبت لم تفت ؟

قال — انها تطأطأت عن خيلاء الخيل . وارتفعت عن ذلة العير . وخير الامور اوسطها [١]

وروي انه مر برجل من اهل السواد . دميم المنظر ، فسلم عليه ونزل عنده

(١) مقاتل الطالبيين ص ٥٠٠ مط دار احياء الكتب

مرقد الامامين الكاظمين بالقبتين والمنائر الذهبية



وحادثه طويلا ، ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت .
فقيل له يا ابن رسول الله . اتنزل إلى هذا ثم تسأله عن حوائجه وهو اليك احوج ؟
(اي احوج ان ينزل اليك) فقال : عبد من عبيد الله ، واخ في كتاب الله ،
وجار في بلاد الله . يجمعنا واياه خير الاباء : آدم . وافضل الاديان الاسلام ،
ولعل الدهر يرد من حاجتنا اليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه ثم قال

نواصل من لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديق [1]

سجية الكرم

والكرم سجية ما عرف بها بيت في العرب كبيت هاشم وآل عبد المطلب وقد ورث الامام موسى بن جعفر فيما ورث الشيء الكثير من هذه السجية حتى روى التاريخ الاعاجيب عن كرمه . وقيل ما رد قاصداً خائباً . يقول ابن خلكان عنه : وكان سخياً كريماً . وكان يصر الصرر ثلثماية دينار واربعماية دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة [2] ويوجز الزركلي ما يستخلصه من كتب التاريخ فيقول كان من سادات بني هاشم ومن اعبد اهل زمانه . وأحد كبار العلماء الاجواد [3]

واهدى له مرة عبد (مملوك) عصيدة . فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار واعتقه ، ووهب المزرعة له [4]

ويقول الخطيب : وكانت صراره بين الثلثماية إلى المائتين دينار فكانت صرار موسى مثلا [5] وقال الشيخ المفيد في (الارشاد) : ولم ير في زمانه اسخى منه ولا اكرم نفساً وعشرة ، وكان اسخاهم كفاً . واكرمهم نفساً . وكان اوصل الناس لاهله ورحمه . وكان يتفقد فقراء المدينة بالليل فيحمل اليهم الزنبيل فيه العين

---

(١) اعيان الشيعة نقلا عن (تحف العقول) ج ٤ ص ٤١ ط ١
(٢) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٢ مط النهضة
(٣) الاعلام — موسى بن جعفر ط ٢
(٤) البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٨٣ مط السعادة
(٥) تاريخ بغداد ١٣ ٢٧ ط ١

(الذهب) والورق (الفضة) والادقة (الطحين) والتمر ، فيوصل اليهم ذلك ولا يعلمون من اي جهة هو .

وفي عمدة الطالب : كان موسى الكاظم عظيم الفضل رابط الجأش ، واسع العطاء . وكان يضرب المثل بصرار موسى ، وكان اهله يقولون : « عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة » [١]

وروى الخطيب في (تاريخ بغداد) والمفيد في (الارشاد) بسنديهما عن محمد بن عبد الله البكري قال : قدمت المدينة اطلب بها ديناً فأعياني ، فقلت ، لو ذهبت إلى ابي الحسن موسى بن جعفر فشكوت ذلك اليه ، فاتيته في صنيعته ثم سألني عن حاجتي فذكرت له قصتي ، فدخل فلم يقم الا يسيراً حتى خرج الي فقال لغلامه : اذهب ثم مدّ يده فدفع الي صرة فيها ثلثمائة دينار ثم قام فولى وقمت فركبت دابتي وانصرفت

ثم روى الخطيب في (تاريخ بغداد) عن عيسى بن محمد بن مغيث القرظي قال : زرعت بطيخاً وقثاء وقرعاً في موضع بالجوانية على بئر يقال لها (ام عظام) فلما قرب الخير واستوعب الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كله ، وكنت غرمت على الزرع وفي ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً . فبينما انا جالس إذ طلع موسى بن جعفر بن محمد فسلم ثم قال : أيش حالك ؟ فقلت : اصبحت كالصريم [٢] بغتني الجراد فاكل زرعي ، قال وكم غرمت فيه ، قلت مائة وعشرين ديناراً . مع ثمن الجملين ، فقال : يا عرفة ، زن لابي المغيث مائة وخمسين ديناراً فنربحك ثلاثين ديناراً والجملين [٣]

باب الحوائج

ولكثرة هباته وعطاياه وقضائه حاجات الناس وحل مشكلاتهم صار

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ ص ٩ ط ١

(٢) الصريم الارض المحصود زرعها

(٣) اعيان الشيعة ج ٤ ص ٤٤

يقصده المحتاجون من جميع الاطراف واستوى في ذلك شيعته وغير شيعته وبصفة الامام الذي يوجب مذهب الشيعة الامامية الرجوع اليه في امور دينهم والائتمام به ودفع الاخماس من الاموال التي تفيض حتى تبلغ حدود التخميس اليه فقد كان ما يصل اليه من هذه الاموال كثيراً ومن مختلف الاقطار فكان ينفقه كله بسخاء على الفقراء والمحتاجين ويحل به عقدة الهم لدى المهمومين ويفرج كرب المكروبين فضلا عما كان يستخدم من جاهه ومكانته من النفوذ لازالة الغمة عن البيوت والاسر المنكوبة ، ولذلك سمي (بباب الحوائج) وظلت هذه الصفة ترافقه حتى اليوم اذ يزور ضريحه المكروبون . والبرمون السائمون وهم يطوفون بضريحه ويدعون الله عند قبره وهم مفعمون بالايمان بانهم قد طرقوا (باب الحوائج) وان الله سيقضي حاجاتهم ويستجيب دعاءهم ويخرجون من ضريحه وقد اطمأنت نفوسهم ، وسكنت خواطرهم وازال ايمانهم كل قلق يساورهم .

مذهبه في الحياة

هذا الامام الذي عرف بالعبد الصالح لكثرة صلاته وطول عبادته وقضاء جانب كبير من ليله بذكر الله كان إلى جانب ذلك مثلا اعلى لما ينبغي ان تكون عليه حياة الانسان في دنيا ليس من حيث التواضع والرقة واللطف وانما من حيث المأكل والملبس والتمتع بما احل له من دنياه ، ويتبدى كل هذا في سيرته وفيما ترك من آثار ادبية ، فقد جاء في احد مواعظه وارشاداته قوله .

« اجعلوا لانفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال ، وما لا يثلم المروءة وما لا سرف فيه ، واستعينوا بذلك على امور الدين فأنه روي ليس منا من ترك دنياه لدينه ، او ترك دينه لدنياه » .

وفي قول الامام زبدة ما تتطلبه الحضارة والمدنية في القرن العشرين وليس من شك ان المقصود بالدين هو المعاملة . المعاملة مع الله ، ومع الناس ،

وكان الامام الكاظم انيقاً في ملبسه . جميل الثياب ، وقد روى عبد الله

بن جعفر الحميري عن والده الامام الثامن علي بن موسى الرضا قال : انه قال :

قال لي ابي (اي الكاظم) ما تقول في اللباس الحسن ؟
فقلت - (يقول الرضا) بلغني ان الحسن (ع) - الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) - كان يلبس (اي يلبس اللباس الجيد الحسن).
فقال لي - إلبس ، وتجمّل ، فأن علي بن الحسين كان يلبس الجبة الخز بخمسماية درهم . والمطرف الخز بخمسين ديناراً فيشتو فيه ، فاذا خرج الشتاء باعه وتصدق بثمنه .

وتلا هذه الاية :

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)

ومن فلسفته في الحياة : الواقعية والبعد عن التزمت والانكماش على النفس ووجوب استقبال ما تأتي به الظروف باطمئنان وسعة صدر وارتياح قوله :

كثرة الهم تورث الهرم .

وقوله : التدبير نصف العيش ، والتودد الى الناس نصف العقل

وسمع مرة رجلا يتمنى الموت فقال له :

- هل بينك وبين الله قرابة يحابيك بها ؟

قال - لا

قال - فهل لك حسنات قدمتها تزيد على سيئاتك ؟

قال - لا

قال - فأنت اذن تتمنى هلاك الابد[1]

واكثر ما يتجلى مذهبه الواقعي في الحياة فأنما يتجلى في قوله :

اجتهدوا في ان يكون زمانكم اربع ساعات : ساعة لمناجاة الله ، وساعة

---

(١) المدخل من موسوعة العتبات المقدسة ص ٢١٦ - ٢١٧ ط ١

لأمر المعاش . وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن . وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم .
وقوله اياك والضجر ، والكسل ، فأنهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة .
وقوله :
لا تحدثوا انفسكم بفقر . ولا بطول عمر . فانه من حدث نفسه بالفقر بخل . ومن حدثها بطول العمر حرص .
جعلوا لانفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال [١]

ومن وصيته التي يقول فيها : « ان قول الله هل جزاء الاحسان الا الاحسان . جرى في المؤمن والكافر والبر والفاجر » ومن وصيته هذه تعرف مدى افقه الواسع الذي يستوي عنده المؤمن والكافر في ميادين المعروف وهي فلسفة انسانية يتمثل فيه سمو الروح بابهى صوره

العلم والحكمة والأدب

وكان من بعض مظاهر العظمة عند الامام موسى بن جعفر انه كان عالماً وكان حكيماً وكان اديباً ، وقد نقل المؤرخون الشيء الكثير من آثاره الدالة على سعة علمه ، وعمق حكمته ، ورفعة ادبه ، وقد ترك من المواعظ والحكم ، والوصايا ما يضرب به المثل ، وقد توسم فيه الامام ابو حنيفة هذا النبوغ وعلو الكعب وهو لم يزل بعد غلاماً : فقد روى الحسن بن علي بن شعبة عن ابي حنيفة انه قال :
حججت في ايام ابي عبد الله الصادق (ابي الامام موسى الكاظم) فلما اتيت المدينة دخلت داره فجلست في (الدهليز) انتظر اذنه ، اذ خرج صبي فقلت :

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ ص ٥٩ (نقلا من تحف العقول)

– يا غلام .. اين يضع الغريب الغائط من بلدكم ؟ (وكان ابو حنيفة يسأل عن الخلاء طبعاً لقضاء حاجته)

فقال الغلام – على رسلك ... ثم جلس مستنداً إلى الحائط ثم قال :

– توق شطوط الانهار . ومساقط الثمار ، وافنية المساجد ، وقارعة الطريق وتوار خلف جدار . وشل ثوبك ، ولا تستقبل القبلة . ولا تستدبرها . وضع حيث شئت .

يقول ابو حنيفة – فاعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له :

– ما اسمك ؟

فقال – انا موسى بن جعفر [1]

ان صبياً مهما بلغ من النضج لا يمكنه ان يحدد الموضوع هذا التحديد الفقهي الجامع ما لم يكن فوق مستوى اقرانه من الفطنة والذكاء والاحاطة الكافية بالفقه والشريعة . وعلى ان الادلة على علم الامام الكاظم وحكمته وادبه كثيرة ومبثوثة في بطون امهات الكتب التاريخية والفقهية والتراجم فان وصيته لهشام بن الحكم كافية لضرب المثل عن مدى هذه الملكات في نشأة هذه الشخصية الفذة [2]

---

(١) المدخل لموسوعة العتبات المقدسة ص ٢١٥ – ٢١٦ ط ١

(٢) وهشام بن الحكم هذا كان من كبار شيعة الامام موسى الكاظم وهو شيباني كوفي معروف بالولاء لال البيت وهو من العلم والمعرفة بحيث يشار اليه بالبنان وقد ولد بالكوفة ونشأ بواسط ، وله مؤلفات واراء تعتبر حجة في مقام المناظرة والمحاججة منها كتاب (الامامة) و (القدر) و (الشيخ والغلام) و (الدلالات على حدوث الاشياء) و (الرد على المعتزله في طلحة والزبير) و (الرد على الزنادقة) و (الرد على من قال بامامة المفضول) و (الرد على هشام الجواليقي) وكتاب على (ارسطو طاليس) في التوحيد ، وهو من متكلمي الشيعة ، وممن فتق الكلام في الامامة ، وهذب المذهب والنظر – على حد تعبير ابن النديم – وكان حاضر الجواب ، وقد سئل عن معاوية : أشهد بدراً ؟ فقال : نعم من ذاك الجانب ، وعدد له ابن النديم اسماء كتب كثيرة في الفهرست ،

وقد بلغ من رفعة منزلة هشام ان الامام جعفر الصادق قد نوّه باسمه وقدمه على طائفة من المشايخ وهو لم يزل بعد في مقتبل العمر ، فقد روى ان هشام بن الحكم دخل على الامام ابي عبدالله جعفر=

فمن بعض وصية الامام الكاظم لهشام بن الحكم على ما جاء في كتاب (تحف العقول) للحسن بن علي بن شعبة قوله :

يا هشام لو كان في يدك جوزة وقـال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وانت تعلم انها جوزة ؟ ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس انها جوزة فما ضرك وانت تعلم انها لؤلؤة ؟

ما من عبد الا وملك آخذ بناصيته فـلا يتواضع الا رفعه الله . ولا يتعاظم الا وضعه الله .

ان لله على الناس حجتين ، حجة ظاهرة . وحجة باطنة . فاما الظاهرة فالرسل والانبياء والأئمة ، واما الباطنة ، فالعقول .

ان كان يغنيك ما يكفيك فادنى ما في الدنيا يغنيك ، وان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك .

لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها . ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم .

لادين لمن لا مروءة له . ولا مروءة لمن لا عقل له .

ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه . ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يعد ما لا يقدر عليه . ولا يرجو ما يعنف برجائه . ولا يتقدم على ما يخاف العجز عنه .

الغضب ، مفتاح الشر ، وأكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً ، وان خالطت الناس فان استطعت ان لا تخالط احداً منهم الا من كانت يدك عليه العليا فافعل .

عليك بالرفق ، فان الرفق يُمنٌ ، والخرق شؤم ، ان الرفق والبر ، وحسن الخلق يعمر الديار ، ويزيد في الرزق .

= الصادق بمنى وهو غلام اول ما اختط عارضاه وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن اعين ، وقيس الماصر ، ويونس بن يعقوب وابي جعفر الاحول وغيرهم فرفعه على جماعتهم وليس فيه الا من هو اكبر منه سناً كما جاء في (تنقيح المقال) للمقمقاني .

الخليلي

قول الله : هل جزاء الاحسان الا الاحسان جرى في المؤمن والكافر والبر والفاجر . فمن صنع اليه معروف فعليه ان يكافيء بـه ، وليست المكافأة ان تصنع كما صنع حتى تُريَ فضلك ، فان صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء .

ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسناً استزاد منه ، وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه .

اياك ومخالطة الناس والانس بهم الا ان تجد منهم عاقلاً ومأموناً فأنس به واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية .

من اكرمه الله بثلاثة فقد لطف به : عقل يكفيه مؤونة هواه ، وعلم يكفيه مؤونة جهله ، وغنى يكفيه مخافة الفقر ، الخ ..

قوة الحجة وسرعة البديهة

ومما اشتهر به الامام موسى بن جعفر هو قوة الحجة . وسرعة البديهة والجرأة في معرض المناظرة والمحاججة يفرغها في اسلوب بعيد كل البعد عن التبجح والمكابرة والاستظهار وقد روى الراوون والمؤرخون عنه مواقف تثير الاعجاب ، ولا سيما مع هرون الرشيد، فلقد سأله الرشيد مرة :

— كيف صرتم ذرية لرسول الله وأنتم بنو علي ، وانما ينتسب الرجل لجده لأبيه دون جده لأمه ، (وطلب الرشيد أن يأتيه بحجة من كتاب الله على ما ذكرت الرواية) .

فقال الكاظم — بسم الله الرحمن الرحيم (ومن ذُرّيته داود ، وسليمانُ ، وأيوبُ ، ويوسفُ ، وموسى ، وهارونُ ؛ وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى) وسأل الكاظم الرشيد :

— فمن هو ابو عيسى ؟

قال الرشيد : ليس لعيسى أب

قال الكاظم — وانما ألحق بذراري الأنبياء من قبل امه ، فلماذا لا نلحق بذرية النبي من قبل أمنا فاطمة ؟ ثم قال الكاظم : وقال الله عز وجل :

(فمنْ حاجّكَ فيه من بعد ما جاءكَ من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهلْ فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وهو يشير بذلك الى المباهلة التي ضمّت علياً وفاطمة في صف النبي كما تذكر الروايات عن يوم المباهلة .

ثم قال الكاظم للرشيد : لو نشر رسول الله ، وخطب اليك كريمتك ، أكنت تزوجه ؟

قال الرشيد ـ نعم ، وافتخر بذلك على العرب والعجم .

قال الامام : اما انا فان النبي لا يخطب مني ولا ازوجه لانه ولدنا ولم يلدكم.

وذكر ايضاً ان هرون الرشيد حين حج وأتى قبر النبي زائراً وحوله قريش وأفناء القبائل [1] ومعه موسى بن جعفر فوقف هرون مسلّماً على قبر النبي وقال :

ـ السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم

وفي هذا السلام ومعه موسى بن جعفر وهذه الكثرة من قريش وافناء القبائل لا يخلو من بعض التحدي لموسى بن جعفر أو المفاخرة ، فدنى موسى من قبر النبي وقال :

ـ السلام عليك يا أبت

وهنا تغير وجه هرون الرشيد وقال :

هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقاً [2]

يقول ابن الاثير وهو يستعرض شخصية الامام موسى بن جعفر وجرأته :

« ولما كان محبوساً ـ أي الامام الكاظم بسجن الرشيد ـ بعث الى الرشيد برسالة انه : لن ينقضي عني يوم من البلاء الا وينقضي عنك معه يوم من الرخاء ، حتى ينقضيا جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون » [3] .

---

(١) الافناء الذين لم يحدد ذكرهم المؤرخون

(٢) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٤ نقلا من تاريخ بغداد للخطيب

(٣) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٦٤ ط صادر ودار بيروت

حبسه وقتله

لم يقلّ خوف بني العباس من العلويين عن خوف بني امية ان لم يزده بمراتب فقد كانت للعلويين (شعبيّة) قلما حظي بها قوم كما حظي العلويون . وكان من ولاء الناس لهم ان عرّض الألوف انفسهم للقتل والسجن والتشرد بسبب محبتهم وولائهم لآل البيت ، وكان خوف الأمويين والعباسيين من العلويين هو ان ينتزع العلويون الملك والحكم منهم لذلك بالغوا في قتل النبغاء والنابهين منهم ، حتى لقد تناول ابو الفرج الأصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين) ترجمة اكثر من مائتي شخصية من الشخصيات العلوية النابهة التي جمعت بين عدد من الفضائل التي لم تستطع كل بني امية وكل بني العباس ان يجمعوا بعضها ، ممن قتلوا صابرين ، هذا عدا المئات الذين فات ابا الفرج ذكرهم ، وعدا الذين تم قتلهم والبطش بهم بعد ابي الفرج الأصفهاني .

والاجيال التي مرت لم يخل تاريخها من وجود شخصيات علوية تتجمع فيها الفضائل من جميع اطرافها لذلك كان الخوف يلازم الامويين والعباسيين دائماً من ظهور علوي جديد تتوفر فيه كل مقتضيات الزعامة ، اذا ما قضي على اي نابه منهم .

يقول عباس محمود العقاد « وانك لتنحدر مع اعقاب الذرية في الطالبيين ابناء علي والزهراء مائة سنة ومائتي سنة وأربعمائة سنة ثم يبرز لك رجل من رجالها فيخيل اليك ان هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع وأصله في الخصال والعادات كأنما هو بُعْدُ ايام معدودات لا بُعْدُ المئات وراء المئات من السنين ، ولا تلبث ان تهتف عجباً : ان هذه الصفات صفات علوية لا شك فيها .. » [1] .

واذا علمنا ان هذه الثورات القائمة في وجه بني أمية قد قام بها العلويون واشياعهم واتباعهم لكي يردوا الحق الى نصابه ويقضوا على حكم الفردية

(١) ابو الشهداء الحسين بن علي ص ٥١ — ٥٢

المشتعلة التي صيرت من الخلافة الشورية ملكية غير محدودة بحدود في البطش والقتل وسلب اموال الناس. ثم صارت النتيجة ان يتولى بنو العباس هذا الحكم هان علينا ان نعلم لم يتملك الخوف بني العباس كل هذا التملك؟ ولم يحاذر بنو العباس من العلويين؟ ولم يتعقبون النابه والنابغة منهم؟

يقول السيد احمد صقر في مقدمة شرحه وتحقيقه (لمقاتل الطالبين):

« ولا يعرف التاريخ اسرة كأسرة أبي طالب بلغت الغاية من شرف الارومة، وطيب النجاد ضلّ عنها حقها (الى ان يقول) وقد اسرف خصوم هذه الاسرة الطاهرة في محاربتها، وأذاقوها ضروب النكال، وصبوا عليها صنوف العذاب، ولم يرقبوا فيها إلاً ولاذمّة، ولم يرعوا لها حقاً ولا حُرمة .. الخ »[1].

فمن الطبيعي – وقد كان هذا شأن موسى بن جعفر – ان يتخوف منه العباسيون على خلافتهم ويحسبون لمقامه ومكانته و (شعبيته) ألف حساب، لذلك ارسل عليه المهدي في ايام خلافته فجيء به من المدينة وزجّه في السجن دون أن يكون هنالك ما يستدعي ذلك غير الخوف المجرد. ومكث في السجن مدة طويلة الى ان اطمأن منه المهدي واطلقه. وحكى الربيع[2] قال رأيت المهدي يصلي في بهو له في ليلة مقمرة فما أدري أهو أحسن، أم البهو ام القمر ام ثيابه؟ قال فقرأ (في صلاته) هذه الآية:

(فَهَلْ عسيتُم إن تولّيتُم أن تفسدوا في الأرض وتُقطّعوا أرحامَكم).

قال فأتم صلاته والتفت الي وقال يا ربيع قلت لبيك يا أمير المؤمنين. قال عليّ بموسى وقام الى صلاته فقلت في نفسي من موسى اهو ابنه او موسى بن جعفر وكان محبوساً عندي، قال الربيع: وجعلت افكر وقلت ما هو الا موسى بن جعفر، فاحضرته. قال: فقطع صلاته وقال: يا موسى اني قرأت هذه الآية (فهل عسيتم إن تولّيتُم ان تفسدوا في الارض

---

(١) مقدمة الامام علي نبراس ومتراس بقلم جعفر الخليلي ص ٣٨ ط ١

(٢) الربيع: ابو الفضل، وزير اشتهر بالحزم والمقدرة استوزره المنصور والمهدي، واليه تنسب (قطيعة الربيع) ببغداد وهي محلة كبيرة اقطعه اياها المنصور على ما نص في (الاعلام)

وتقطعوا ارحامكم) . فخفت ان اكون قد قطعت رحمك فوثّق لي انك لا تخرج علي . قال فقال : نعم فوثق له وخلاه [١] .

ويروي بعض المؤرخين هذه الحكاية عن الرشيد ويزعمون ان الرشيد قد رأى في الحلم الامام علي بن ابي طالب وقرأ عليه هذه الآية فحين استيقظ أمر باطلاق سراحه واعادته الى المدينة ، وليس هنالك ما يؤيد موثقاً حبس الرشيد للامام موسى بن جعفر غير الحبس الذي سنورده هنا وهو الحبس الذي قتل فيه الامام الكاظم مسموماً .

ولما آل الحكم الى هرون الرشيد وبلغه عن مكانة الامام موسى بن جعفر واحتفاف شيعته به ، وجلال مقامه من حيث العلم والادب وسمو الخلق والكرم خشيه وتخوف منه ، وقد اورد بعض المؤرخين ان يحي بن برمك قد استخدم بعض العيون وكان منهم علي بن اسماعيل ابن اخي الامام موسى الكاظم واغراه بالمال ثم جلبه من المدينة على ان يشي بعمه الامام الكاظم ، وهذه الأخبار مردودة وغير مقبولة عقلاً لا سيما حين نتابع هذه الوشاية فلا نجدها تزيد على ان علي بن اسماعيل قد نقل للرشيد بأن الأموال تنقل الى الامام الكاظم من المشرق والمغرب ، وان له بيوت اموال وانه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسماها (اليسيرة) الى غير ذلك . وان الرشيد قد أثابه على هذه الرواية بمائتي ألف درهم فلم يتمتع بهذا المال بل مات قبل ان يتسلمه .

ويكذب العقل هذه الروايةلانتفاء الوشاية فيها فان كل ما قاله علي بن اسماعيل – اذا صح انه قد قال شيئاً – لم يزد ان لم ينقص عما كان يعرفه الرشيد وجميع الناس عن الامام الكاظم وكرمه وما كان يحمل اليه من اموال وماكان ينفق منه على المعوزين والمحتاجين فليس في الأمر ما يستدعي ان يسمى وشاية وان يثاب الرجل عليه لأهمية هذه الوشاية .

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري ج ٦ ص ٣٩٨ مطبعة الاستقامة

والواقع الذي ليس فيه من شك هو ان الرشيد قد خاف من الامام موسى كما خاف المهدي من قبل ، وخاف من مغبة الأمر وعاقبته لو انه اصدر امره بالقاء القبض عليه وجلبه من المدينة الى بغداد . .

ولربما قد خاف الله إن انزل بالامام الكاظم البلاء . لذلك حين حج في تلك السنة بدأ بقبر النبي صلى الله عليه وآله وقال : « يا رسول الله اني اعتذر اليك من شيء اريد ان افعله . اريد ان احبس موسى بن جعفر فانه يريد التشتت بين امتك وسفك دمائها » ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل اليه ، وهناك قيده ، واخرج من داره بغلين عليهما قبتان مستورتان وجعل الامام الكاظم في احداهما ووجه مع كل قبة خيلاً . فأخذوا بواحدة على طريق البصرة ، والاخرى على طريق الكوفةليعمّي على الناس [1] وكان موسى في التي مضت الى البصرة . وامر الرسول ان يسلم موسى الكاظم الى عيسى ابن جعفر بن المنصور ، وكان على البصرة حينئذ [2] فمضى به فحبسه عيسى عنده سنة كاملة ، ويبدو ان عيسى لم يطق ان يحتمل اماماً عرف عن صفته كل شيء ان يحبس عنده سنة كاملة بدون ذنب فكتب الى الرشيد أن : « خذه مني وسلمه إلى من شئت ، والا خليتُ سبيله ، فقد اجتهدتُ ان آخذ عليه حجة فما قدرت على ذلك ، حتى اني لأتسمّع عليه اذا دعا لعله يدعو عليّ او عليك فما اسمعه يدعو الا لنفسه ، ويسأل الله الرحمة والمغفرة » [3] . فوجّــه الرشيد من تسلمه منه وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد [4] .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٥٠٢ مط دار احياء الكتب

(٢) هو اخو زبيدة وابن عم هرون الرشيد وقد قتل في السجن وهو مأسور في معركة عمان التي انكسر جيشه فيها وأسر عيسى

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٠٢

(٤) هو الفضل بن الربيع كان ابوه الربيع وزيراً للمنصور ثم للمهدي وقد استوزره الرشيد الفضل بعد نكبة البرامكة وقد كان الفضل من ألد خصوم البرامكة وقد قال فيه ابو نواس

ان دهراً لم يرع عهداً ليحي — غير راع ذمام آل الربيع

وكان الفضل ممن يكرهون المأمون

فبقي الامام الكاظم في حبس الفضل مدة طويلة .

ويقول ابو الفرج الأصفهاني : « واراده الرشيد على شيء من امره فأبى » اي طلب منه ان يقتل الامام الكاظم بكيفية ما فأبى الفضل ذلك ، فكتب الرشيد للفضل ان ينقله من حبسه الى حبس الفضل بن يحيى ، فتسلمه الفضل منه ، واراد الرشيد ذلك منه فلم يفعله على ما ذكر ابو الفرج[1] .

وبلغ الرشيد وكان الرشيد حينذاك (بالرقة) : ان الامام الكاظم يلقى رعاية من لدن الفضل بن يحيي وانه في سعة ورفاهية ، فأنفذ (مسروراً) الخادم الى بغداد على البريد ، وامره ان يدخل من فوره على موسى ليعرف له خبره ، فان كان الأمر كما قد بلغه اوصل كتاباً منه الى العباس بن محمد وآمره بامتثاله ، واوصل كتاباً منه الى السنديّ بن شاهك يأمره بطاعة العباس ابن محمد[2] .

ويقول ابو الفرج الأصفهاني : فقدم مسرور ونزل دار (الفضل بن يحيي) لا يدري أحد ما يريد ، ثم دخل على موسى بن جعفر فوجده على ما بلغ الرشيد من الرفاهية والاستقرار ، فمضى من فوره الى العباس بن محمد ، والسندي بن شاهك ، واوصل الكتابين اليهما ، فلم يلبث حتى رأى الناس خروج الرسول يركض الى الفضل بن يحيي ركضاً ، فركب الفضل معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل على العباس ، فدعا العباس بالسياط ووجه بذلك اليه (السندي) وامر الفضل فجرد من ثيابه ثم ضربه مائة سوط ، وخرج متغير اللون بخلاف ما دخل وذهبت قوته ، وجعل

---

(١) الفضل بن يحيي بن خالد البرمكي وزير الرشيد العباسي ، واخوه في الرضاع كان من اجود الناس ، استوزره الرشيد مدة قصيرة ثم ولاه خراسان واقام إلى ان فتك الرشيد بالبرامكة فقبض عليه وعلى ابيه يحيي وسجنهما الرشيد في (الرقة) وتوفي الفضل في سجنه بالرقة ، قال ابن الأثير «كان الفضل من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله » تلخيص (الاعلام)

(٢) العباس بن محمد بن علي هو اخو المنصور ، واليه تنسب (العباسية) وهي محلة بالجانب الغربي من بغداد ، وكان الرشيد يحبه ويجله ، ويزعم اهله ان الرشيد قد سمه وقد مات ودفن في (العباسية) ببغداد

يسلمّ على الناس يميناً وشمالاً على ما جاء في (مقاتل الطالبيين) .

وكتب مسرور بالخبر الى الرشيد ، فأمر بتسليم موسى الى السندي بن شاهك وتولت حبسه اخت السندي بن شاهك ، وكانت تتدين ، فحكت عنه « انه كان اذا صلى العتمة ، حمد الله ومجده ، ودعاه الى ان يزول الليل ، ثم يقوم فيصلي ، حتى يصلي الصبح ، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ، ثم يرقد ، ويستيقظ قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي ، حتى يصلي العصر ، ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة ، فكان هذا دأبه الى ان مات»[1] .

وقال ابن الأثير عن اخت السندي بن شاهك : « وكانت اذا رأته قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح » .

وفاته

وبقي في الحبوس اربع سنوات[2] ثم تولى السندي قتله في سم جعله في طعام قدم اليه ؛ ويقال انه جعله في رطب ، فأكله وأحس بالسم ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً منه ثم مات في اليوم الثالث ولعل ما أخرّ قتله طوال هذه المدّة هو عدم حصول المناسبة التي تضمن ركود الاحاسيس وهياج النـــاس ، وحدوث الثورة ، ومع ان القتل قد وقع في الوقت المناسب مما رأته السلطة فقد دل على خوف الرشيد من الرأي العام ما قامت به حكومته من اخذ التدابير والسعي للبرهنة على ان الكاظم قد مات موتة طبيعية ، اذ ما كاد يتوفى (الكاظم) حتى ادخل السندي بن شاهك عليه الفقهاء ووجوه اهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره فنظروا اليه ليتحققوا بأنفسهم ان لا اثر به من جراح ، ولا خمش وقد اشهدهم على انه مات حتف انفه فشهدوا

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٦ ص ١٦٤ ط صادر ودار بيروت
(٢) المدخل إلى موسوعة العتبات المقدسة ص ٢١٨

على ذلك [١] ولكن من منهم كان يستطيع ان ينفي قتله بالسم ونفي القتل بالسم في هذا العصر ليس من اختصاص كل احد .

وفي تاريخ الدول الاسلامية : « وكان الرشيد بالرقة فامر بقتله فقتل قتلاً خفياً ، ثم ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه اظهاراً أنه مات حتف انفه صلوات الله عليه وسلامه » [٢] .

وروي انه لما حضرته الوفاة طلب من السندي ان يحضر له مولى كان ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله وتكفينه ففعل ذلك ، قال السندي : وكنت قد سألته ان يأذن لي في ان اكفنه فأبى ، وقال : « إنا اهل بيت مهور نسائنا ، وحج صرورتنا [٣] ، واكفان موتانا ، من طاهر اموالنا ، وعندي كفني » [٤] .

ويستدل من هذا انه كان يحمل كفنه معه منذ ان قبض عليه في المدينة ، او انه قد هيّأه بعد ذلك وفي اثناء حبسه ، وقد تولى مولاه غسله وتكفينه ، ودفن في مقابر قريش التي سميت (بالكاظمية) بعد ذلك نسبة له وأصبحت من أهم المدن الاسلامية المقدّسة اليوم .

وقال البعض ان جنازته قد وضعت على الجسر قبل دفنها ليراها الناس ويؤمنوا بوفاته وكونه مات موتة طبيعية .

وكانت وفاته يوم الجمعة ببغداد لخمس او لست بقين من رجب من سنة ١٨٣ هـ المصادف ٧٩٩ م وقال المسعودي: وقبض موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ببغداد مسموماً لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن اربع وخمسين سنة [٥] .

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ ص ٧٥ ط ١

(٢) تاريخ الدول الاسلامية ص ١٩٦ ط صادر ودار بيروت

(٣) اي الحج الذي يسقط به الفرض

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٠٤

(٥) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٤

واختلف البعض من غير الامامية الاثني عشريـة في موته فقالوا : لا ندري أمات الامام الكاظم ام لم يمت . ويقال لهؤلاء (الممطورة) وقد سماهم بذلك علي بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق فقال مـا انتم الا كلاب ممطورة ومنهم من توقف عليه وقال انـه لم يمت . وانه غاب وسيخرج من بعد الغيبة ويقال لهؤلاء (الوقفية) [1] .

وقد قيل انه نودي على الامام موسى بن جعفر يوم وفاته : « هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة انه لا يموت فانظروا اليه فنظروا » [2] قاصدين بذلك (الوقفية) .

اولاده

واختلف المؤرخون في عدد اولاده من الذكور والاناث ، والمشهور انهم سبعة وثلاثون ما بين ذكر وانثى وهم :

الذكور : علي الرضا ، ابراهيم ، القاسم ، العباس ، لأمهات اولاد .

اسماعيل ، جعفر ، هارون ، الحسن ، لام ولد .

احمد ، محمد ، لام ولد .

عبد الله ، اسحاق ، عبيد الله ، زيد ، الحسن ، الفضل ، الحسين ، سليمان ، لامهات اولاد .

الاناث : فاطمة الكبرى ، فاطمة الصغرى ، رقية ، حكيمة ، ام ابيها ، رقية الصغرى ، ام جعفر ، لبابة ، زينب ، خديجة ، عَلَيّة ، آمنة ، حسنة ، بريهة ، عائشة ، ام سلمة ، ميمونة ، ام كلثوم ، لامهات اولاد [3] .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين – مادة الموسويه

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٥٠٥

(٣) المدخل إلى موسوعة العتبات المقدسة

نصوص الادعية والزيارة

يتجاوز زوار المراقد المقدسة الملايين في مواسم معينة من السنة فضلاً عن الزيارات الاعتيادية التي يغص بها الحرم المقدس في كل يوم منذ الصباح الباكر حتى ما يقرب من منتصف الليل ، ومن هذه المراقد التي تزارطوال ايام السنة دون استثناء هو مرقد الكاظمين .

وليس لهذه الزيارات التي يقوم بها الزوار من المواطنين والاجانب من مختلف الأقطار الإسلامية فروض والتزامات ، وكل ما في الأمر هو أن يصلي الزائر ويدعو الى الله بأن يغفر له وأن يحقق أمانيه الدنيوية والاخروية بلغته الخاصة وبأسلوبه كما يفعل الانسان في المساجد والجوامع بعـد كل صلاة باعتبارها بقاعاً مقدسة ينصرف فيها الانسان بكل قلبه الى ربه ، على ان هنالك من زار المراقد المقدسة من الاولياء والعلماء والبلغاء فنقل الناقلون عنهم أقوالهم وأدعيتهم ثم ما لبثت هذه الأقوال ان صارت نصوصاً بدأ الزائرون يجدون فيها خير تعبير عن ولائهم للأمة مستشفعين بقدسية هذا المرقد الى الله بأن يمنحهم عفوه ويتوب عليهم ، وقد كثرت هذه النصوص لكثرة من زار هذه المراقد من العلماء البلغاء الذين زاروا العتبات المقدسة وقد حفظ البعض شيئاً مما كان يدعو به هؤلاء البلغاء الصالحون وهذا مثل لبعض ما يستحسن الزائر تلاوته عند زيارة الإمام موسى بن جعفر اذ يقف امام المرقد ويقول :

«اللّهمّ صَلّ على محمد واهل بيته ، وصلّ على موسى بن جعفر وصيّ الابرار ، وإمام الأخيار ، وعيبة الأنوار ، ووارث السّكينة والوقار ، والحِكَم والآثار ، الذي كان يُحيي الليلَ بالسّهر إلى السّحَر بمواصلة الاستغفار ، حليف السجدة الطويلة ، والدموع الغزيرة ، والمناجاة الكثيرة ، والضراعات المتصلة ، ومقرّ النهى والعدل ، والخَيْر والفضل ، والندى والبذل ، ومألف البلوى والصبر ، والمضطهد بالظلم ، والمقبور بالجور . والمعذّب في قعر السجون ، وظُلَم المطامير ، ذي السّاق المرضوض بحَلَق القيود ، والجنازة المنادى عليها بذُل الاستخفاف ، والوارد على جَدّه المصطفى ، وأبيه المرتضى ، وأمه سيدة النساء ، بارث مغصوب ، وولاء مسلوب ، وأمر مغلوب ، ودم مطلوب ، وسَمّ مشروب ، اللّهُمّ وكما صَبَرَ على غليظ المِحَن ، وتجرّعَ غُصَصَ الكُرَب ، واستسلَمَ لرضاك ، وأخلصَ الطاعةَ لك ، ومَحّضَ الخشوعَ ، واستشعرَ الخُضوع ، وعادى البِدْعَة وأهلَهَا ، ولم يَلْحَقْهُ في شيء من أوامرِكَ ونواهيكَ لَومةُ لائم صلّ عليه صلاةً ناميةً منيفةً زاكيةً تُوجِبُ له بها شفاعةَ أُمَم من خَلْقِكَ ، وقرون من براياك ، وبلّغه عنّا تحيّة وسلاماً وآتنا من لَدُنْكَ في مُوالاتِه فضلاً وإحساناً ، ومغفرة ورضواناً انك ذو الفضل العميم والتجاوز العظيم ، برحمتك يا أرحمَ الراحمين »[1] .

---

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ص ٦٠١ – ٦٠٢ مط العلمية في النجف

الامام محمد الجواد

هو الامام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) وهو حفيد الامام موسى بن جعفر والامام التاسع عند الشيعة الامامية الاثني عشرية .

ولد في المدينة ليلة الجمعة في ١٩ رمضان او للنصف منه او ١٠ رجب يوم الجمعة ، ويدل عليه ما في مصباح المتهجد : قال ابن عياش : خرج على يد الشيخ الكبير ابي القاسم رضي الله عنه : « اللهم أني أسألك بالمولودين في رجب : محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب الدعاء » قال : وذكر ابن عياش انه كان يوم العاشر من رجب مولد ابي جعفر الثاني أ هـ [١] .

اما ابن خلكان فيقول ان ولادته كانت يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان وقيل في منتصفه وذلك في سنة ١٩٥ هـ [٢] ٨١٠ م .

وفي تعليق للزركلي على (نزهة الجليس) القائل ان ولادته كانت سنة خمس وسبعين ومائة ان ذلك قد يكون من خطأ النسخ او الطبع ، لان كثيراً ممن ترجموه ذكروا انه عاش خمساً وعشرين سنة ، واورد بعضهم

---

(١) اعيان الشيعة ج ٤ ص ٢١٥ – ٢١٦ ط ١

(٢) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣١٥ ط ١

وفاته سنة ٢١٩ هـ [١] .

وامه ام ولد ويقال لها شبيكة وكانت (نوبية) ، وقيل إنها من اهــل (مارية القبطية) [٢] وتكنى بأم الحسن ، ومما كني به الامام محمد بن علي وعرف به من الصفات والأسماء هو (ابو جعفر الثاني) لان جده الامام (محمد الباقر) كان يكنى بأبي جعفر الأول ، وعلى هذا سمى الذبيلي محمد ابن وهبان الكتاب الذي ألفه في سيرته : « اخبار أبي جعفر الثاني » ومن أشهر ألقابه المرتضى ، والقانع ، والمنتجب ، والتقي ، والجواد ، وقد تغلبت شهرته بالجواد على سائر القابه حتى شارك جده موسى الكاظم في هذا اللقب فأطلق عليهما لقب (الجوادين) و (الكاظمين) كما مر من قبل .

ملكاته العلمية ومذهبه في الحياة

المعروف عن العلويين انهم كانوا واقعيين في حياتهم الخاصة والعامة ، وقد ترك لهم الامام علي بن ابي طالب قاعدة ساروا عليها وحثوا شيعتهم على تفهمها والسير على اسسها وهي : « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » فكانوا يلبسون أحسن اللباس ويدعون إلى التلذذ بالحلال من رزق الله ، ويوصون بالترفيه على انفسهم وعيالهم واشراك الآخرين في نعمتهم ، في حين ينغمسون غاية الانغماس في عبادة الله والتبحر في العلم والفقه والأدب ، وقد كانوا يغالون في تنشئة اولادهم وتعليمهم حتى كثرت الشواهد على نبوغ هؤلاء الأولاد واحتلالهم مكانة مرموقة في عالم الشعر والأدب والفقه والحكمة ، وقد ظهرت هذه الملكات في اولاد الأئمة بأجلى صورها وهم لم يزالوا أطفالاً لم يبلغوا الحلم ، وكان من هؤلاء الامام محمد الجواد ، قال الطبرسي في (اعلام الورى).

---

(١) الاعلام مادة (محمد الجواد) ط ٢

(٢) مارية القبطية هي زوجة النبي وام ابراهيم وهي مصرية الاصل ماتت في خلافة عمر (رض) و دفنت في البقيع

كان الامام محمد الجواد قد بلغ في وقته من الفضل والعلم والحكم والآداب مع صغر سنه ما لم يساوه فيها أحد من ذوي الاسنان من السادة وغيرهم ، وقد نقل عن اتساع دائرة فقهه واحاطته بالاحكام وعمق تفكيره العجائب والغرائب . فلقد كان أفضل أهل زمانه علماً وعملاً ، وورعاً ، وعبادة ، وسخاء ، وفي جميع صفات الفضل[1] .

وقد دلت آثاره التي تركها في الأقوال والمواعظ على عمق ما كان يملك من مواهب الأدب والحكمة ، وقد روى الرواة الشيء الكثير من الحكم والآداب والأدعية التي تصور اتجاهاته وتعبر عن غور معرفته ، ومن هذه ما جرى على الالسن مجرى الأمثال قوله :

من اطاع هواه اعطى عدوه مناه .

ومن هجر المداراة قاربه المكروه .

ومن عمل علي غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح .

ومن لم يعرف الموارد أعيته المصادر .

ومن انقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرّض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة ،

لا تستقال لراكب الشهوات عثرة .

كفى بالمرأ خيانة أن يكون اميناً للخونة .

عزّ المؤمن غناه عن الناس .

لا يغرك سخط من رضاه الجور .

قال المفيد : وكان المأمون قد شغف بابي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب ، وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ اهل زمانه .

وكان الى جانب ذلك يرتدي أفخر الثياب واغلاها ، وقد روى الصدوق عن علي بن مهزيار قال :

---

(١) المدخل إلى موسوعة العتبات المقدسة ص ٢٣٢

«رأيت أبا جعفر الثاني (الجواد) يصلي الفريضة وغيرها في جبة خزّ طاروي وكساني جبة خز ، وذكر انه لبسها على بدنه وصلى فيها ، وأمرني بالصلاة فيها [1] »

وروى الكليني في (الكافي) عن ابي جعفر — وقال السيد محسن الأمين ان الظاهر ان الكليني اراد بأبي جعفر (الجواد) — انه قال : انا معشر آل محمد ، نلبس الخز واليمنة [2] .

استدعاء المأمون لابي جعفر وعزمه على تزويجه ابنته ام الفضل

وبعد وفاة الامام علي بن موسى الرضا (ع) بخراسان ، دعا المأمون ابا جعفر من المدينة الى بغداد وكان الامام يقيم (بصربا) وهي ضاحية من ضواحي المدينة لا تبعد عن المدينة الا قليلاً ، ويستدل مما ورد في الاخبار ان الامام موسى بن جعفر هو الذي انشأها وبنى فيها قصراً .

وقد استقبله المأمون استقبالاً فائقاً وقربه اليه وانزله بالقرب من داره ، وعزم على ان يزوجه ابنته (ام الفضل) لما كان قد شغف به مما بلغه عن علمه وأدبه وذكائه وهو في سن مبكرة ، فبلغ ذلك الوجوه من العباسيين فشق عليهم ان يخطو المأمون خطوة اخرى في تقريب العلويين الى الحكم وكان المأمون قد خطا الخطوة الأولى حين جعل الامام علي بن موسى الرضا(ع) ولياً للعهد ، وكتب له ذلك العهد التاريخي المشهور الذي كانت الخلافة العباسية ستنتقل اليه لو لم يَسُمّوه ، ويُتوفى مسموماً على بعض الروايات حتّى قال في ذلك دعبل الخزاعي :

بأووا بقتلِ (الرضا) من بعدِ بَيعته وأبصروا بَعضَ يومٍ رشدَهم وعَموا

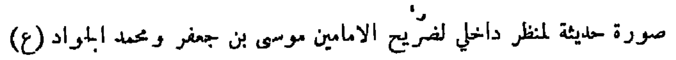
---

(١) المصدر السابق

(٢) اليمنة هي البردة المنسوجة في اليمن وكانت اليمنة من اغلى الثياب والابراد

واجتمع العباسيون على ما جاء في (الارشاد) وعلى ما جاء في (تحف العقول) عند المأمون ومعهم أهل بيته الادنون وقالوا للمأمون : ننشدك الله يا أمير المؤمنين ان تقف عند هذا الحد فلا تقدم على تزويج (الجواد) من ابنتك « لانا نخاف ان تخرج به عنا أمراً قد ملكنّاه الله ، وتنزع منّا عزّاً قد ألبسناه الله ، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم (آل علي) قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع (الرضا) ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله ان تردنا الى غمّ قد انحسر عنا ، واصرف رأيك عن ابن (الرضا) واعدل الى من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيرهم » .

والوارد في (الارشاد) للشيخ المفيد ، وفي (تحف العقول) لابن شعبة الحلبي وما لخصه السيد الأمين في أعيان الشيعة : انه قال المأمون :



صورة حديثة لمنظر داخلي لضريح الامامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد (ع)

« اما ما بينكم وبين آل ابي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم . واما ما كان يفعله من قبلي بهم . فقد كان قاطعاً للرحم ، واعوذ بالله من ذلك . ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف (الرضا) ولقد سألته ان يقوم بالأمر وأنزعه عن نفسي فأبى ، وكان امر الله مقدوراً ، واما ابو جعفر محمد بن علي ، فوالله لا قبلت من واحد منكم في امره شيئاً ، فقد اخترته لتبريزه على اهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه ، والاعجوبة فيه بذلك . وانا ارجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا ان الرأي ما رأيت فيه » .

فقالوا : يا امير المؤمنين أتزوج ابنتك وقرة عينك صبياً لم يتفقه في دين الله . ولا يعرف حلاله من حرامه ، ولا فرضه من سنته ؟ ان هذا الفتى وان راقك منه هديه . فانه صبي لا معرفة له ، ولا فقه فأمهله ليتأدب ويتفقه ثم اصنع ما تراه .

ولكي يُروا المأمون صواب رأيهم وخطأ رأيه ويحولوا بينه وبين تزويجه ابنته من الجواد ، طلبوا من المأمون ان يسمح لهم بامتحان الجواد بمحضر منه ليتأكد بنفسه خطأه — والفقه يوم ذاك هو عنوان ثقافة العالم الخبير ولم يكن بامكان احد ان يتفقه ويتعمق ما لم يمر بمراحل طويلة من الاحاطة التامة باللغة والأدب وكان العلويون — كما قد مرّ — يبالغون في تعليم اولادهم فنون العلم والفروسية ، واستعمال السيف الى جانب تمرينهم وترويضهم في عبادة الله وطاعته والتمسك بدينه وعدم التفريط في اوامره ونواهيه — فوافق المأمون وقال لهم شأنكم وذاك متى اردتم .

نموذج من عمق تبحره
في الفقه والعلم ومدى غوره

فاجتمع هذا الرهط من العباسيين في يوم كانوا قد عينوه للاجتماع وفوضوا ليحيي بن اكثم . وكان يومذاك قاضي القضاة ببغداد القيام بامتحان الامام

الجواد ، وكان يحيي طويل الباع في الفقه وما يمكن ان يتوصل اليه التشريع من التصور ومدى الاحكام ، وامر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل له فيه مسورتان[١] ، ففعلوا ذلك ، وخرج ابو جعفر ، وقد بالغ اصحاب الرواية والاخبار في صغر سنه في هذا الوقت وهو أمر يناقض بلوغه المرحلة التي تؤهله للزواج — والواقع انه كان شاباً ، وجلس بين المسورتين ، وجلس يحيي بن أكثم بين يديه ، وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست ابي جعفر ، فقال قائل القوم :

— يا امير المؤمنين ، هذا القاضي إن أذنت له ان يسأل أبا جعفر .

فأقبل يحيي بن أكثم وقال للجواد : أتأذن لي في مسألة ؟

قال أبو جعفر : سل إن شئت ...

قال يحيي : ما تقول يا أبا جعفر اصلحك الله في مُحرِم قتل صيداً ؟

قال ابو جعفر : أقتله في حل او حرم ؟ عالماً كان المُحرِمُ ام جاهلاً ؟ قتله عمداً ام خطأ ؟ حراً كان المُحْرِم ام عبداً ؟ صغيراً كان ام كبيراً ؟ مبتدئاً بالقتل ام معيداً ؟ أمن ذوات الطير كان الصيد ام من غيره ؟ ومن صغار الصيد كان ام من كباره ؟ مصراً على ما فعل او نادماً ؟ افي الليل كان قتله للصيد في اوكارها ام نهاراً وعياناً ؟ مُحرماً كان بالعمرة اذ قتله او بالحج كان محرماً ؟

ولقد دلت هذه الأسئلة على مبلغ تنوع الاحكام ومدى احاطة الجواد وتغلغله في التشريع ، وقد تحدث مؤرخو هذا الخبر عن حيرة القاضي وذهوله حتى لقد بان العجز على وجهه والتلجلج على لسانه وارفض الجمع ذاهلين .

ولقد سأل المأمون بعد ذلك ابا جعفر ان يفصل له الوجوه الشرعية فيما ذكر ، فقال ابو جعفر :

---

(١) الدست ، هو المجلس والوسادة ، والمسورة هي المتكا من الجلد .

١ ـ ان المحرم اذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير ، وكان من كبارها فعليه شاة .

٢ ـ فاذا اصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً .

٣ ـ فاذا قتل فرخاً في الحل فعليه حَمَلٌ قد فطم من اللبن ، وليست عليه القيمة لانه ليس في الحرم .

٤ ـ واذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ .

٥ ـ وان كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة .

٦ ـ وإن كان نعامة فعليه بدنة [١] ، فان لم يقدر فاطعام ستين مسكيناً ، فان لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوماً .

٧ ـ وان كان بقرة فعليه بقرة ، فان لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكيناً ، فان لم يقدر فليصم تسعة أيام .

٨ ـ وان كان ظبياً فعليه شاة ، فان لم يقدر فليطعم عشرة مساكين ، فان لم يجد فليصم ثلاثة ايام .

٩ ـ فان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة

١٠ ـ وإذا اصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه ، وكان احرامه بالحج نحره بمنى ، حيث ينحر الناس .

١١ ـ وان كان احرامه بالعمرة نحره بمكة في فناء الكعبة ويتصدق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفاً .

١٢ ـ وكذلك اذا اصاب ارنباً او ثعلباً فعليه شاة ، ويتصدق بمثل ثمن شاة .

١٣ ـ وان قتل حماماً من حمام الحرم فعليه درهم يتصدق به ودرهم يشتري به علفاً لحمام الحرم ، وفي الفرخ نصف درهم ، وفي البيضة ربع درهم .

---

(١) البدنة ـ الناقة او البقرة المسمنة

١٤ — وكل ما اتى به المحرم بجهالة او خطأ فلا شيء عليه الا الصيد فان عليه فيه الفداء — أكان بجهالة ام بعلم ، وبخطأ كان ام بعمد .

١٥ — وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمد له المأثم ، وهو موضوع عنه في الخطأ .

١٦ — والكفارة على الحرّ في نفسه ، وعلى السيد في عبده .

١٧ — والصغير لا كفارة عليه ، وهي على الكبير واجبة .

١٨ — والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة ، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة .

١٩ — وان دل على الصيد وهو محرم ، وقتل الصيد فعليه فيه الفداء ، وان اصابه ليلاً في اوكارها خطأ فلا شيء عليه ان لم يتصيد .

٢٠ — فإن تصيد بليل فعليه فيه الفداء ؟

واعجب المأمون بسعة اطلاع الامام (الجواد) وزاد تعلقه به وأمر أن تكتب هذه الأحكام فكتبت .

ومما ورد : ان المأمون طلب من الامام الجواد ان يوجه هو ليحيي بن أكثم بعض الأسئلة الفقهية ، فقال يحيي بن أكثم لأبي جعفر :

— سل فان عرفت جواب ما تسألني عنه وإلاّ استفدته منك ؛

فقال ابو جعفر : أخبرني عن رجل نظر الى امرأة في أول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه ؟

فلما ارتفع النهار حلّت له

فلما زالت الشمس (اي عند الظهر) حرمت عليه .

فلما كان وقت العصر حلّت له .

فلما غربت الشمس حرمت عليه .

فلما دخل عليه وقت العشاء الاخرة حلت له.

فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه .

فلما طلع الفجر حلت له .

فما حال هذه المرأة ؟ وبماذا حلّت له ؟ وحرمت عليه ؟

فقال يحيي بن أكثم : والله ما أهتدي الى جواب هذا السؤال ولا اعرف الوجه فيه فان رأيت أن تفيدنا به ؟

فقال ابو جعفر : هذه أَمَةٌ لرجل من الناس نظر إليها أجنبي (نظرة مريبة) في أول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه .

فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له .

فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه .

فلما كان وقت العصر نزوجها فحلت .

فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه[1] .

فلما كان وقت العشاء الاخرة كفّر عن الظهار فحلّت له .

فلما كان في نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه .

ولما كان عند الفجر راجعها فحلت له .

وفي (تحف العقول) رواية اخرى يستدل منها مبلغ عمق (الجواد) في الفقه وحسن استخلاصه الاحكام الشرعية واستخدام العقل في تلك الاحكام فقد روي ان يحيي بن اكثم قد سأل أبا جعفر عن رجل نكح امرأة على زنا أحل له ان يتزوجها فقال الجواد :

ــ يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره ، إذ لا يؤمن منها ان تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه ثم يتزوجها اذا اراد ، فانما مثلها

---

(١) وظاهر الرجل امرأته . ومنها : اذا قال : هي علي كظهر ذات رحم كما جاء في لسان العرب اي انت علي كظهر أمي ، وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذه الكلمة وكان الظهار في الجاهلية طلاقاً فلما جاء الاسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته ، واصله مأخوذ من الظهر وانما خصوا الظهر دون البطن والفخذ والفرج ــ وهذه اولى بالتحريم ــ لان الظهر موضع الركوب ، والمرأة مركوبة اذا غشيت ، فكأنه اذا قال : انت علي كظهر أمي ، اراد ركوبك للنكاح علي حرام كركوب أمي للنكاح ، وهذا من لطيف الاستعارات ، على ما قال ابن منظور (مادة ظهر من لسان العرب) .

مثل نخلة أكل رجل منها حراماً ، ثم اشتراها فأكل منها حلالاً .

وقال ابن خلكان عن ابي جعفر : « وكان يروي مسنداً عن آبائه الى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ، إنه قال (أي الإمام علي بن أبي طالب على ما روى أبو جعفر) بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، فقال وهو يوصيني : يا علي ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، يا علي : عليك بالدُلجة [١] فان الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار [٢] ، يا علي اغدُ باسم الله فان الله بارك لأمتي في بكورها » .

وكان يقول : « من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة »[٣] .

زواجه من ام الفضل

ومما روي ان المأمون حين هم بتزويج الجواد ابنته قال له : أتخطب يا ابا جعفر ؟ قال : نعم .

قال له المأمون – إخطب – فقد رضيتك لنفسي وانا مزوّجك (ام الفضل) ابنتي وان رغم قوم لذلك .

فقال ابو جعفر – الحمد لله إقراراً بنعمته ولا إله الا الله اخلاصاً لوحدانيته ، وصلى الله على محمد سيد بريته ، والاصفياء من عترته ، اما بعد ، فقد كان من فضل الله على الانام أن اغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه :

« وانكحُوا الايامى منكم والصالحينَ من عبادِكم ، وإمائِكم ، إن يكونوا فقراءَ يُغنِهِمُ اللهُ من فضلِهِ ، واللهُ واسعٌ عليم » .

ثم ان محمد بن علي بن موسى (يعني نفسه) يخطب أم الفضل بنت عبد الله

---

(١) الدلجة – المسير في الليل

(٢) لعل المقصود ان الليل ادعى للحث على السير من النهار الذي تستهوي ببعض مراحل الطريق والقرى الوقوف عندها

(٣) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣١٥ ط ١

المأمون . وقد بذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو خمسمائة درهم جياداً ، فهل زوجته يا أمير المؤمنين على الصداق المذكور ؟

قال المأمون : نعم قد زوجتك يا ابا جعفر ام الفضل ابنتي على الصداق المذكور [١] .

وروى السيد محسن الأمين نقلاً عن (تحف العقول (قال :

فأولم المأمون الولائم واجاز الناس على مراتبهم اهل الخاصة ، واهل العامة . والاشراف والعمال . واوصل الى كل طبقة براً على ما تستحقه [٢] .

وأورد الكثير من الرواة والمؤرخين اوصافاً مسهبة عن هذه الولائم وما دارت فيها من اطباق الفضة وقد حوت ببنادق مسك وزعفران معجون في اجواف تلك البنادق وفيها رقاع مكتوبةبأموال جزيلة ، وعطايا سنية واقطاعات فنثرت على القوم من الخاصة الى غير ذلك من الأبهة التي حاطت هذه الولائم .

ويضيف بعض المؤرخين الى اعجاب المأمون بشخصية الامام ومكانته الذي حمله على تزويجه ابنته مقتضيات سياسية في تقريب العلويين الى العباسيين وازالة ما علق في قلوب شيعة العلويين من الكره والبغض للعباسيين الذي اولده العباسيون ولا سيما المنصور بما عامل به العلويين من قساوة

ويقول الدكتور احمد فريد الرفاعي عن المأمون :

وكان سياسياً فذّاً في تزوجه من بوران بنت الحسن بن سهل ليكتسب الحزب الفارسي ، وفي تزويجه علي بن موسى الرضا (ام حبيب) ومحمد ابن علي بن موسى إبنته (أم الفضل) ليكتسب الحزب العلوي رامياً بذلك

---

(١) اعيان الشيعة ق ٢ ج ٤ ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .
(٢) المصدر السابق

كله الى ضمان تأييد الاحزاب له ، عارفاً لنفسيات الجمهور وامزجة الجماعات [1] .

رجوعه إلى المدينة ووفاته

ورجع الامام (الجواد) بعد زواجه الى المدينة ومعه زوجته (ام الفضل) وجاء على ما ذكر الشيخ المفيد : انه لما توجه قاصداً المدينة صار الى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه حتى انتهى الى دار (المسيب) عند مغيب الشمس فنزل ودخل المسجد وصلى فيه ، ثم توجه الى الحج ، وبعد اداء الحج توجه إلى المدينة مستوطناً .

وحين توفي المأمون وخلفه اخوه المعتصم في الخلافة ارسل يستدعي الجواد الى العراق ، ويختلف المؤرخون في سبب دعوته ويفسر البعض هذا الاستدعاء بالحذر من التفاف الشيعة حول (الجواد) والخشية من انتقال الخلافة الى العلويين ، ويقول المسعودي في (اثبات الوصية) ان المعتصم بن هرون ، وجعفر بن المأمون لم يزالا بعد قدوم الجواد الى بغداد واستيطانه فيها يعدان العدة ويعملان الحيلة في قتله وكان ذلك سنة ٢٢٠ هجرية .

ويقول ابن الأثير « وفي هذه السنة اي ٢٢٠ هجرية توفي محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ببغداد وكان قدمها ومعه امرأته ام الفضل ابنة المأمون فدفن بها عند جده موسى ابن جعفر ، وهو احد الأئمة عند الامامية ، وصلى عليه الواثق ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة ، وكانت وفاته في ذي الحجة ، وقيل في سبب موته غير ذلك » [2] .

اما ابن خلكان فيقول عنه : « هو أحد الأئمة الاثني عشر ايضاً ، قدم الى

---

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٦٥ مط دار الكتب المصرية ،

(٢) الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٤٥٥ ط دار بيروت وصادر

بغداد وافداً على المعتصم ومعه امرأته (ام الفضل) بنت المأمون فتوفي بها وحملت امرأته الى قصر عمها المعتصم فجعلت مع الحرم»[1] .

واضاف ابن خلكان يقول : وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة في سنة عشرين ومائتين وقيل تسعة عشرة ومائتين هـ ، وهناك من يقول ان وفاته كانت يوم السبت من اواخر ذي القعدة من سنة ٢٢٠ هـ ٨٣٥ م

وخلف الامام الجواد اربعة أولاد هم :

علي الهادي ، وهو الامام العاشر عند الشيعة الاثني عشرية ، وموسى بن محمد[2] ، وفاطمة ، وإمامة

(١) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٥٣٣

(٢) المدخل لموسوعة العتبات المقدسة ٤

الـكاظمين في الشعر

جمعه ونسقه
حسب الحروف الابجدية

فؤاد عباس

من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت
والمفتش الاختصاصي
في وزارة التربية العراقية



الشيخ جابر الكاظمي

قال في تعمير حضرة الجوادين (ع)

فقل لمن قصد الـــزوراء معتمداً   قطع الفدافد يطوي كل بيداء
ان صرتَ غربيّ بغداد وشمت ســـنا (الوادي المقدّس) مأوى كلّ آلاء
قل للمنيبين رشداً من مـــؤرخه   (نادوا المهيمن هذا طور سيناء)[٢]
١٢٨١ هـ

* * *

وقال مؤرخاً عام تزخرف ايوان (باب المراد) من الحضرة الكاظميّة بالزجاج :

وايوانٍ صفا مـــرآه حتى   على الافلاك فُضّل بالضياء

---

(١) هذه امثال لعدد من الشعراء في مختلف العصور ممن ورد ذكر الكاظمين في شعرهم لمناسبة ما وقد عنى الكاتب بجمعها وتنسيقها كنماذج مختلفة للشعر العربي في الاغراض المختلفة من الكاظمين ، وليس للاختيار ، ولا للاحصاء اي شأن في هذا الجمع والتنسيق والأستخلاص ، ولما كنا قد اتبعنا عرض اسماء الشعراء في الجزء الاول من قسم النجف ، والجزء الاول من قسم كربلاء ، والجزء الاول من قسم مكة المكرمة حسب الحروف الهجائية ، فقد اتبع الكاتب هنا نفس الطريقة التي اتبعها في تقديم المقدار الكافي من الشعر الذي يضمن تكوين فكرة كاملة عن الوان النهج المتبع في ذكر الكاظمية والكاظمين في الشعر مرتباً على الحروف الهجائية .   الخليلي

(٢) ديوان الشيخ جابر الكاظمي ص : ٢٨ – ٣١ بغداد ١٩٦٤ .

وفي مرآته التكوين طـرّاً تراءى للعيون بلا غطاء
فزخرفه وزيّنه كـرامٌ سموا بعلائهم قمم العلاء
لموسى والجواد السبط سبطَيْ رسول الله خير الانبيـاء
وأقصى الوجد زال فأرّخـوه (أراه شبه مرآة السماء) [١]

١٢٨٨ – ٤ = ١٢٨٤ هـ

* * *

وقال في باب الحرم الكاظمي مؤرخاً تفضيضها :

بابٌ لبابَيْ اله العرش قـد فُتحا وفيه نهج الـورى والحق قد وضحا
من فضةٍ صيغ ودّت ان تذهّبه شمس النهار فيحمي (؟) المِنَحا
في عهد (عبدالعزيز) [٢] المرتقى لذرى عزّ به الدين بالاعزاز قد لقحـا
وعهد (ناصر دين الله) [٣] قد نصرت به الهداة فزند الرشد قد قدحا
بمنتهى الرشد نادِ (؟) يا مؤرخه (باب لباب اله العرش قد فتحا) [٤]

٤ + ١٨٢٠ = ١٢٨٤

---

(١) – المصدر السابق نفسه ص ٣٥ ، والمقصود من قوله « واقصى الوجد زال » هو وجوب حذف الدال الذي هو اقصى حرف من حروف (الوجد) والذي يساوي ٤ لكي يتم التاريخ

الخليلي

(٢) – السلطان العثماني عبد العزيز بن محمود الثاني

(٣) – السلطان ناصر الدين شاه ايران

(٤) – المصدر نفسه ص : ١٤٦ – ١٤٧ ، والمقصود من قوله « بمنتهى الرشد ناد » اضافة ما يساوي (الدال) من آخر كلمة الرشد وهو ٤ إلى التاريخ ليستقيم ، والراجح ان الاصل هو : (بمنتهى الرشد ارخ يا مؤرخه) فتحرف في الطبع .

الخليلي

السيد حيـــدر الحلي

قال يمدح صحن الامامين الكاظمين والمتولي لتعميره والباذل له . وهي طويلة اخترنا منها ما له صلة بالوصف والتاريخ :

حزتَ بالكاظمين شـــأناً كبيرا فابقَ يا صحن آهـــلاً معمورا
لك فخر المحّارة انفلقت عن درّتين استقلّتا الشمس نـــورا
وهما قبّتان ليست لـــكلّ منهما قبة السماء نظيرا
صاغ كلتيهما بقدرته الصائغ من نـــوره وقال : أنـــيرا
حول كلّ منارتان مـــن التبر يجلّي سناهما الديجـــورا
كبرت كلّ قبّـــةٍ بهما شأناً فأبدت عليهما التكبيرا
كعروس بدت بقرطي نضـــارٍ فملت قلب مجتليها سرورا
بوركت من منـــائرٍ قد اقيمت عمداً تحمل العظيم الخطيرا

* * *

أنت بيت برفعـــه أذن الله (فرهاد)[1] فاستهلّ سرورا
وبعصر سلطانه (ناصر الدين)[2] فاخلِقْ بأن يباهي العصـــورا
يا مقيل العثار [3] تهنيك بشرى تركت جدّ حاسديك عثورا

---

(١) الحاج فرهاد ميرزا ابن نائب السلطنة عباس ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه . لقبه معتمد الدولة . ولد سنة ١٢٣٠ هـ برع بالعلم والادب والشعر بالفارسية واتقن الانكليزية والفرنسية وولي شيراز مرتين في عهد اخيه السلطان محمد شاه وفي عهد ابن اخيه السلطان ناصر الدين شاه . عمر صحن الكاظمين سنة ١٢٩٧ هـ . توفي بطهران سنة ١٣١٥ وحمل جثمانه إلى الكاظمين فدفن في المقبرة التي بناها في حياته سنة ١٣٠٦ هـ .

(٢) هو السلطان احمد شاه ابن السلطان محمد شاه ابن نائب السلطنة عباس ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه القاجاري . لقبه ناصر الدين . ولد سنة ١٢٤٧ هـ . زار العتبات المقدسة في العراق سنة ١٢٨٧ . اغتيل في مدينة (قم) سنة ١٣١٣ هـ ، داخل حضرة الشاه عبد العظيم ، ودفن فيها .

(٣) النداء إلى ناصر الدين

من رأى قبل ذا كعمك عماً [1] ليس تغني عنه الملوك نقيرا
قد كسا هذه المقاصير وشياً فسيكسي وشياً ويحيي قصورا

* * *

سعد قرّط مسامع الدهر انشادك تُسمِعْ من شئت حتى الصخورا
وعلى (بلدة الجوادين) عرّج بالقوافي مهنّياً وبشيرا
قل لها لابرحت فردوس أنسٍ فيك تلقى الناس الهنا والحبورا
ما نزلنا حماك الا وجدنا بلداً طيّباً وربّاً غفورا
وامامين ينقذان من النار لمن فيهما غداً مستجيرا
طبت اهلاً وتربةً وهواءً كم نشقنا بجوّه كافورا

دعبل الخزاعي

من تائيته المشهورة [2] :

قبور بكوفان واخرى بطيبة واخرى بفخ نالها صلواتي
واخرى بأرض الجوزجان محلّها وقبر بباخرى لدى الغربات
وقبرٌ ب (بغداد) لنفسٍ زكيّة تضمّنها الرحمن في الغرفات [3]

---

(١) الاشارة الى (فرهاد) المذكور . (ديوان حيدر الحلي ١/٣٥ – ٤٠ النجف سنة ١٩٥٠)
(٢) شعر دعبل بن علي الخزاعي – الدكتور عبد الكريم الاشتر . دمشق سنة ١٩٦٤ . ص : ٧٢
(٣) وهم الدكتور عبد الكريم الاشتر في تفسير هذا البيت حين زعم بأن المقصود (بالنفس الزكية) في هذا البيت هو محمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية الثائر على الخليفة العباسي المنصور والحال ان هذا الاخير قد دفن في المدينة ، حيث ثار وقتل فيها (شعر دعبل بن علي ص ٧٢ : الحاشية ١٤)

الشريف الرضي

ولي قبران (بالزوراء) أشفي بقربهما نزاعي واكتئابي
أقود إليهما نفسي واهدي سلاماً لا يحيد عن الجواب
لقاؤهما يطهّر من جناني ويدرأ عن ردائي كلّ عاب [١]

الشيخ صالح التميمي

قال يمدح الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام :

اذا ضلّ حاديها الطريق بدا له سنا بارقٍ (بالكرخ) يهدي الى الرشد
سنا نور (موسى) والجواد (محمد) سناء يعيد البرء للأعين الرمد
هما شرعا من لجّة العلم مورداً جداوله للناس أحلى من الشهد [٢]

صالح القزويني البغدادي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ [٣]

في مدح الامامين الكاظمين (ع) وقد خمّسها الحاج محمد علي كمّونة الاسديّ الكربلائي واكتفينا هنا في ذكر الاصل دون التخميس :

اقول لركب حيث بانوا ويمموا سراعاً الى الزوراء عوجوا وألمو
اذا جئتم من جانب الكرخ غرّبوا الى الطور حيث النور يبدو ويكتم
قفوا حيث نار الطور أشرق نورها ولاح سناها والظلام مخيّم

---

(١) ديوان الشريف الرضي ١/٩٢ المطبعة الادبية بيروت سنة ١٣٠٧ هـ.
(٢) ديوان التميمي – مطبعة الزهراء/النجف سنة ١٩٤٨ .ص : ٣٤
(٣) ديوان ابن كمونه ص : ٩٠ – النجف سنة ١٩٤٨

وحيث تراءت نار (موسى) فادلجوا — اليه مع السارين والليل مظلم
قفوا بي اذا ما جئتم ذروة الحمى — على قبر (موسى) و (الجواد) وسلّموا

عبد الباقي العمري

قال مهنئاً بها حضرة ذي المدد الدائم أبي الرضا وجدّ القائم الامام الهمام موسى الكاظم (ع) بقدوم السّتر الشريف النبوي والرواق المنيف المرتضوي واتحاف مرقده الانور بقطعة من ذلك الازار الازهر . [١] :

وافتك يا (موسى بن جعفر) تحفةٌ — منها يلوح لنا الطراز الاول
رقمت على العنوان من ديباجها — ديباجة الشرف الذي لا يجهل
كم جاورت قبراً بجدّك فاكتست — مجداً له انحطّ السماك الاعزل
وتقدّست اذ جللّت جدثاً ثوى — في لحده المدّثر المزّمل
فاشتاق ستر العرش لو بمحلّها — يوماً على تلك الحظيرة يُسبَل
اعطيت ما لم يحظ يعقوب بـه — اذ جاءه بشذا القميص الشمأل
طوبى لكم من وارثين فقد غدت — آثار جدّكم اليكم تنقل
شملتكم معه (العبا) بحياته — ومماته استاره لك تشمل

* * *

لمّا به ساروا وأعلامٌ لهم — خفقت بأثواب الجلالة ترفل [٢]
شاموا السنا من (قبّتيك) وعنده — وجدوا منار هدىً يشبّ ويشعل
فتهافتوا مثل الفراش واحدقوا — فغشاهم النور القديم الأول
قد سبّحوا لما أتوك وكبّروا — اذ شاهدوا منك الضريح وهلّلوا
فاقبل هديّـة امة الهادي التي — منك الاغاثة في الشدائد تسأل
بضجيع حضرتك (الجواد محمد) — وحفيدها هذا الامـام الافضل

---

(١) التّرياق الفاروقي . مصر سنة ١٣١٦ هـ . ص ١١٤ — ١١٥

(٢) الظاهر من هذا البيت ومن غيره أن تقديم السّتر الشريف لمرقد الكاظمين قد جرى بحفلة رسمية

وقال لمّا زار مع المفتّش راشدا فندي الوارد من الاستانة الى بغداد حضرة الامام موسى الكاظم (ع) :

وافى من الروم يبغي (راشدٌ) رَشَداً الى طريق هدىً سعياً على الراس
ويرتجي العفو من مولاه ملتجئاً بالكاظم الغيظ والعافي عن الناس[1]

وجاء في الترياق الفاروقي لعبد الباقي العمري ما يلي :

في وصف حضرة الامامين الكاظمين وحظيرة الهمامين الجوادين وما احتوت عليه من محاسن المعلقات والقناديل الزاهيات ونفائس السرادقات عليهما اسنى التسليمات :

حضرة (الكاظمين) منها المرايا قد حكت قلب صبّ اهل الطفوف
صبغتها يـد التجلّي بكفّ كبرت عن تشبيهها بالكفوف
وروت عن غدير خمّ صفـاءً فتراءت لطرفي المطروف
صور الكائنات فوجـاً بفوجٍ سابحات في موجها المكفوف
من قناديل عسجد زينّوها بصفوف تلوح إثر صفوف
رسم تعليقها الانيق تبدّى كسطور منضـودة من حروف
روضة للصدور فيهـا ورود بأكفّ الالحاظ ذات قطـوف
قد اظلّت شمساً بغير كسوف وأقلّت بدْراً بغير خسوف
وطوت (كاظماً) ولفّت (جواداً) فازدهت بالمطويّ والملفوف
شرّفت فيهمـا وما كل ظرفٍ حاز تشريفه من المظروف

* * *

وهي لمّا على السماء أنافت بهما قلت : يا سما المجد نوفي
لا تلمني عـلى وقوفي ببـاب تتمنى الاملاك فيـه وقوفي
هو باب مجـرّب ذو خواصٍ كان منها اغاثة الملهوف

---

(١) الترياق الفاروقي — ص : ٤١٣

ملجأ العاجزين كهف اليتامى مروة المرملين مأوى الضيوف
أنا عنه حيّاً وميتاً بدنياي وأخرايَ لست بالمصروف
فليلمني من شاء إني موالٍ رافل من ولائهم بشغوف [1]

ويقول عبد الباقي العمري في مورد آخر :

خلعْنا نفوساً قبل خلع نعالنــا غداة حللنا مرقداً منك مأنوسا
وليس علينا من جنــاح بخلعها لأنك بالوادي المقدّس يا (موسى) [2]

* * *

زر حضرةً، مجمع البحرين ساحتها ابان عن (قبّتيها) سرّه الـــقدر
تر (ابن جعفر) موسى في حظيرته (موسى) ولكن له من نفسه (خضر) [3]

* * *

وقال عبد الباقي العمري حين تشرّف بزيارة مقام الكاظمين الهمامين الجوادين وشاهد في سماء مشهدهما تجاه مرقديهما ثريّاً من البلّور ساطعة بالنور معلقة في سلسلة ، وسرادقات من الديباج مظلّلة ، لهما وعليهما مجلّلة :

مقام الكاظمين سماء مجد حوت شمسيَيْ علاً بدرَيْ كمال
ممنطقة بمنطقـــة افتخار مسردقة بديباج الجلال
امام الفرقدين بها الثريـــا تضيءُ ضحىً وتشرق في الليالي
محلّقة بسلسلة عُراها معلّقةٌ بعرنين الهلال [4]

* * *

(١) الترياق الفاروقي ص : ١١٨
(٢) الترياق الفاروقي ص : ١٣٢
(٣) الترياق الفاروقي ص : ١٣٢
(٤) الترياق الفاروقي ص : ١٣٩

وكان في قصبة الكاظمين في أثناء موسم الزيارة في رجب الاصمّ من شهور عام ١٢٦٩ هـ فقال :

زيارة الكاظمين في رجب — تنقذ يوم اللقا من اللهب
تعدل حجاً ووقفةً بمنى — وعمرةً كلّها بلا نصب
إي وأبي لا يخاف هول غدٍ — من حازها في الزمان إي وأبي
من شاهد الفرقدين قبلهما — في سَفَطَيْ قبتين من ذهب ؟؟ [١]

* * *

وقال عبد الباقي مؤرخاً عام تعمير مرقد ابناء حضرة سيدنا الامام الكاظم (ع) الذي عمّره سليم باشا الفريق :

فريق جند النصر سمح اليدينْ — اعني سليم القلب من كلّ رينْ
آثاره انوارها قد بدت — باهرة تزهر بالقبتين
إذ شاد ما كان بها داثراً — فأشرقت في حضرة النيّرين
شبليْ جناب الكاظم المرتجى — سلالة السبط الامام الحسين
عترة طه المصطفى احمد — اشرف من صلّى الى القبلتين
لما رأى تعميرها واجباً — بل انما شاهده فرض عين
بنى بطوعٍ لهما مرقداً — ببذله التبر ونقد اللجين
جزاه ربي عنهما خير ما — جزي به مستوجب الحسنيين
بعون اصحاب العبا أرّخوا : — « شاد سليمٌ مرقد الفرقدين [٢] »
١٢٦٤ هـ

---

(١) التّرياق الفاروقي ص : ١٤١ — ١٤٢
(٢) التّرياق الفاروقي ص : ٣٣١

عبدالغفار الاخرس[١]

وقال يمدح الامام الهمام حضرة موسى الكاظم سليل النبوّة وأبا المكارم وذلك حين ورد اليه ستر جدّه جناب سيّد المرسلين من خير السلاطين[٢] :

يا امـــام الهدى ويا صفوة الله ويا من هــدى هداه العبـــادا
يا بن بنت الرسول يا بن عليّ حيّ هذا النادي وهذا المنادى
قد أتينـــا بثوب جدّك نسعى واتيناك سيدي وُفّـــادا
فأتيناك راجلين احتراماً واحتشاماً وهيبةً وانقيادا
نتهادى به إليك جميعـــاً وبه كانت المطايـــا تهادى
طالبات (موسى بن جعفر) فيـــه وكذا القدوة الامـــام (الجوادا)
من نبيّ قد شرّف العرش لمّا أن ترقى بالله سبعاً شدادا
شرف في ثياب قـــبر نبيّ عطّرت في ورودها بغدادا
(كاظم) الغيظ سالم الصدر عاف ما حوى قط صدره الاحقـــادا
قد وقفنا لـــدى علاك والقينـــا... الى بابك الرفيع القيـــادا
موطن تنزل الملائك فيه ومقام يسرّ فيه الفؤادا
أيها الطاهـــر الزكيّ اغثنا وأنلنا الاسعاف والاسعادا
و (عليّ)[٣] أتاك يابن عــليّ كي ينال المـــنى بكم والمرادا
فعليك السلام يـــا خيرة الخلق سلامٌ يبقى ويأبى النفـــادا

---

(١) الطراز الانفس في شعر الاخرس . استانبول سنة ١٣٠٤ هـ . ص : ٧٩ – ٨١

(٢) هو السلطان محمود الثاني بن عبـــد الحميد الاول (١١٩٩ هـ – ١٢٥٥ هـ) . والظـــاهر من هذه القصيدة ومن قصيدة اخرى لعبد الباقي العمري . ان هـــذا السلطان اهدى ثـــلاث ستائر كانت على الضريح النبوي الشريف إلى مقامات بغداد الثلاثة الكاظمين ، وابي حنيفة ، وعبد القادر الكيلاني .

(٣) هو والي بغداد في ذلك الوقت علي رضا باشا .

الشيخ عبدالمحسن الكاظمي

تقول (ربابٌ)[١] لا تسؤْك نوى المنى   فقد يتدانى بالمنى السببُ النزْرُ
وليس سواءً من خطبت وانمـا   على قدْر ذاتِ الحسن يُشترط المهر



الشيخ عبد المحسن الكاظمي

فقلت لها قد مسّنا الضرّ فاسلكي
الى النفع نهجاً دونـه يقف الضر
فقالت وثغر (الكاظميّـة) باسمٌ
لك البشر لا تجزع فقد قرب البشر[٢]

* * *

قال يخاطب عبد الله بن الحسين

لقريش بغداد مضيءٌ جوّها
ولهاشم النجف الاغـرّ منير
الكاظمون الغيظ والعافون من
اجدادك الغرّ الكرام حضور
قد جاهدوا في الله حق جهـاده
ومضوا كراماً والرداء طهور[٢]

---

(١) ديوان الكاظمي – المجموعة الاولى – مطبعة ابن زيدون – لم تذكر سنة الطبع – لم تذكر البلدة التي فيها المطبعة – ص : ١٩٢ .
(رباب) هي كريمة الشاعر ، ولم يتجاوز عمرها ٣ اشهر يوم نظم القصيدة – المصدر السابق ص : ٣٥١
(٢) المصدر السابق ص : ٢٠٦

محمد بن عبيدالله (سبط ابن التعاويذي) ٥١٩ هـ ــ ٥٨٤ هـ[١]

قال يعاتب فخرالدين محمد بن المختار العلوي نقيب مشهد الكوفة على ساكنه أفضل السلام وكان وعده بوعدٍ ولم ينجزه واتفق عقيب وعده اياه عزل الوزير :

يا سميّ النبيّ يابن عـلـيّ ــ قاتلِ الشرك ــ والبتولِ الطهور
أنت تسمو عـلى البريّــة طرّاً بمحلٍّ عــال وبيت كبـير
عنكم يؤخذ الوفــاء ومنكم يجتدي الناس كلّ خيّرٍ وخيرِ
كيف اخلفتني وما الخلف للميعاد.... من عـادة الموالي الصـدور
ولقد كان لائقــاً بك ان تحمل.... ضِعْفيه عند عزل الوزير
فاخو الفضل من يساعد في الشدّة.... لا في الـرخاء والميسور
ومتى ما استمرّ خلفك للوعد ولم تعتذر عن التأخير
صرتُ من جملة النواصب لاآكُلُ غيرَ الجريّ والجرجير
وتغسّلتُ واكتحلتُ ثلاثاً وطبختُ الحبوب في عاشــور
وطويت الاحزان فيه ولم أبدِ سروراً في يوم عيد الغديـر
وتبدّلت من مبيتيَ في (مشهد موسى) بجامع المنصـور
وتطهّرتُ من انــاء يهوديّ وفضلته على الخنزير
ورآني أهلُ التشيّعِ في الكرخ بتاسُومَةٍ[٢] وذيلٍ قصير
زائراً قبر (مصعبٍ) بعد ماكنتُ أوالي دفينَ (قـبر النذور) (*)

---

(١) ديوانه : نشره د . س . مرغليوث . طبع مطبعة المقتطف (مصر) سنة ١٩٠٣ .
ويلاحظ ان الشاعر جرى فيها على طريقة ابن منير الطرابلسي في قصيدته المشهورة بالتترية .

(٢) التاسومة ــ ضرب من الاحذية تعريب تاشم ومعناها الضفيرة والقدة والسير وفرعة الحذاء (الالفاظ الفارسية المعربة ٣٣) بيروت سنة ١٩٠٨

* قبر النذور : قبر عبيد الله بن عمر الاشرف بن علي زين العابدين . كان مزاراً . انظر (دليل خارطة بغداد ١٠٨) .

وتخيّرت أن يكون الزبيريّ[1] رفيقي في العرض يوم النشور
وتراني في الحشر (فاطمةُ) الطهرِ وكفّي في كفّه[2] المبتور
وتكون المسؤولَ عن مؤمنٍ ألقيتَهُ أنت في سواء السعير

الشيخ محسن أبو الحبّ

قال راثياً السيد محمد آل شديد

مضيتَ فأوريت القلوب بشعلة من الحزن لا تخبو ولا هو يخمد
لقد خسرتك (الكاظمية) واعظاً خطيباً له فنّ الخطابة يعهد[3]

* * *

ألا يا قاصد (الزوراء) عرّج
لتحظى بالأمان وبالاماني
وحث الركب ان تبغي (؟) نجاحاً
على (الغربيّ) من تلك المغاني
فطف واسعَ وحجّ بها ولبّ (؟)
وسلّم في جنانك واللسان
ونعليك اخلعَنْ واخضع خشوعاً
اذا لاحت لديك (القبّتان)
فتحتهما لعمرك نار (موسى)
أضاءت حين نودي لن تراني
فتلك النار نور الله فيها
ونور (محمّد) متقاربان[4]

الشيخ محسن أبو الحب

(١) في الديوان : الزبيدي وهو وهم .

(٢) الضمير في : كفه – يعود إلى الزبيري المذكور في البيت السابق . وقد حصل اختلاف في ترتيب بعض الابيات في المطبوع فوضعناها بحيث تنسجم مع تسلسل الفكرة والسياق في النظم .

(٣) ديوان ابي الحب . النجف سنة ١٩٦٦ ص : ٦٧

(٤) المصدر نفسه . ص : ٢١٥

السيد موسى الطالقاني

و بـ (بغداد) قد ثوى سيد الكونين (موسى) أسير كفّ الذحول
كاظماً غيظه يريد رضا الله فيلقى السردى بصبرٍ جميل
عابد زاهد تقيّ نقي غوث داعٍ وغيث عام محيل
قد اصاب (الرشيد) في قتله الغي وقد ضل عن سواء السبيل
والى جنبه ثوى من بنيه خير شبلٍ له وخير سليل [1]

مهيار الديلمي

قال يرثي الصاحب عميد الجيوش ابا علي بن استاذ هرمز ، الذي نشر الأمن وكف الأذيّة عن اهل الفضل ، واخاف العصاة والشقاة ... وبموته عمت الفجيعة ودفن في المشهد بباب التبن [2] على صاحبه السلام :

فتحوا ضريحك في مساكن تربه جاورتها فختمت طيب ختام
ونزلت في (مُضَرٍ) حوقومك غيرهم— بعد الممات بأشرف الاقوام
أنّى التفتّ فأنت في حرزين من حَرَمَيْ شهيد سيّدٍ وإمام
اصبحتَ منهم بالنزول عليهم يا رحب ما بوئْتَ من إكرام
فاذا تزخرفت الجنان بهم غداً صاحبتهم فدخلتموا بسلام [3]

---

(١) ديوان السيد موسى الطالقاني – النجف سنة ١٩٥٧ ص : ٥٨

(٢) باب التبن : مدفن الامام الكاظم اشتهر بمشهد باب التبن نسبة إلى باب التبن الذي كان في شرقية . انظر (المدخل إلى العتبات المقدسة ص : ١٢٣) . وانظر : دليل خارطة بغداد – ص : ١٠٢

(٣) ديوان مهيار ٣٥٢/٣ مصر سنة ١٩٣٠

الكاظمية في المراجع العربية

كتبه

الدكتور حسين علي محفوظ

دكتوراه الدولة من جامعة طهران

والمفتش الاختصاصي بوزارة التربية سابقاً

والأستاذ بكلية الآداب في جامعة بغداد اليوم



الكاظمية في التواريخ

الكامل في التاريـــخ

سنة ۱۸۳ هـ

فيها ، مات موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، ببغداد ، في حبس الرشيد .

وجاء في الكامل انه تولت حبسه اخت السندي ابن شاهك . وكانت تتدين . فحكت عنه ؛ انه كان اذا صلى العتمة ، حمد الله ، ومجده ، ودعاه ، الى ان يزول الليل . ثم يقوم فيصلي ، حتى يصلي الصبح . ثم يذكر الله — تعالى — حتى تطلع الشمس . ثم يقعد الى ارتفاع الضحى . ثم يرقد ويستيقظ — قبل الزوال — ثم يتوضأ ، ويصلي ، حتى يصلي العصر . ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب . ثم يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة . فكان هذا دأبه الى ان مات .

وكانت — اذا رأته — قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح . وكان يلقب « الكاظم » ، لأنه كان يحسن الى من يسيء اليه . كان هذا عادته أبداً ... الخ[1]

---

(۱) الكامل في التاريخ ، لابن الاثير ، طبعة اوروبا ، الجزء السادس ص ۱۱۲ — ۱۱۳ ولاحظ البداية والنهاية ، لابن كثير القرشي ، طبعة مصر سنة ۱۳۵۸ هـ ج ۱۰ ص ۱۸۳ ، ومختصر اخبار الخلفاء ص ۲۸ — ۲۹ .

سنة ٢١٩ هـ

في هذه السنة توفي ببغـــداد الجواد ؛ محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي (ع م) . توفي ببغداد .. فدفن بها عند جده موسى بن جعفر . وهو احد الأئمة — عند الامامية — وصلى عليه الواثق وكان عمره خمساً وعشرين سنة . وكانت وفاته في ذي الحجة [1] .

سنة ٣١٢ هـ

كان المحسن بن الوزير بن الفرات مختفياً .. عند حماته حزانة — وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات — وكانت تأخذه كل يوم إلى المقبرة ، وتعود به إلى المنازل التي يثق بأهلها عشاء ؛ وهو في زي امرأة — فمضت يوماً إلى مقابر قريش وادركها الليل ، فبعد عليها الطريق . فأشارت عليها امرأة معها ان تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير تختفي عندها . فأخذت المحسن وقصدت تلك المرأة . وقالت لهـــا معنا صبية بكر نريـــد بيتاً نكون فيه . فأمرتهم بالدخول إلى دارها وسلمت اليهم قبة في الدار [2].

سنة ٣٦٧ هـ

فيها ، زادت دجلة زيادة عظيمة ، وغرقت كثيراً من الجانب الشرقي ببغداد . وغرقت ايضاً مقابر بباب التبن بالجانب الغربي منها . وبلغت السفينة باجرة وافرة ، واشرف الناس على الهلاك . ثم نقص الماء فأمنوا [3] .

---

(١) الكامل ج ٦ ص ٣٢١

(٢) الكامل ج ٨ ص ١١١ .

(٣) الكامل ج ٨ ص ٥١٠ .

سنة ٤٠٦ هـ

فيها ، توفي الشريف الرضي ، محمد بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر ، ابو الحسن ، صاحب الديوان المشهور .

وشهد جنازته الناس كافة . ولم يشهدها اخوه (الشريف المرتضى) ؛ لأنه لم يستطع ان ينظر الى جنازته . فأقام بالمشهد (الكاظمية) إلى ان اعاده الوزير فخر الملك إلى داره [1] .

سنة ٤٢٢ هـ

اعترض اهل باب البصرة قوماً من (قم) أرادوا زيارة مشهد علي ، والحسين – عم – فقتلوا منهم ثلاثة نفر . وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر [2] .

سنة ٤٣٥ هـ

سار (الملك العزيز) متخفياً ، فقصد نصر الدولة بن مروان ، فتوفي عنده بميافارقين ، وحمل إلى بغداد ، ودفن عند ابيه بمقابر قريش ، في مشهد باب التبن . سنة احدى واربعين [3] .

سنة ٤٣٦ هـ

فيها ، نقل تابوت جلال الدولة ، من داره إلى مشهد باب التبن ، إلى تربة له هناك [4] .

---

(١) الكامل ج ٩ ص ١٨٣ .
(٢) الكامل ج ٩ ص ٢٨٦ .
(٣) الكامل ج ٩ ص ٣٥٣ – ٣٥٤ .
(٤) الكامل ج ٩ ص ٣٥٩ .

سنة ٤٤٣ هـ

في هذه السنة ، في صفر ، تجددت الفتنة ، ببغداد ، بين السنة والشيعة . وعظمت اضعاف ما كانت قديماً ..

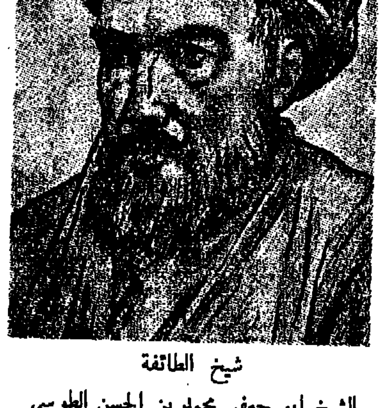
وكان سبب هذه الفتنة ، ان اهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين . وأهل العلائين في عمل مابقي من باب مسعود . ففرغ اهل الكرخ ، وعملوا أبراجاً ، كتبوا عليها بالذهب (محمد وعلي خير البشر) . وانكر السنة ذلك. وادعوا ان المكتوب : (محمد وعلي خير البشر . فمن رضي فقد شكر ، ومن أبـــى فقد كفر) . وأنكر أهل الكرخ الزيادة . وقالوا : ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا ، فيما نكتبه على مساجدنا . فأرسل الخليفة القائم بأمر الله ابا تمام نقيب العباسيين ، ونقيب العاويين وهو عدنان بن الرضي ؛ لكشف الحال وانهائه . فكتبا بتصديق قول الكرخيين. فأمر حينئذ ـ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال ، فلم يقبلوا ، وانتدب ابن المذهب القاضي ، والزهيري وغيرهما من الحنابلة اصحاب عبد الصمد يحمل العامة على الاغراق بالفتنة فأمسك نواب ملكالرحيم عن كفهم ؛ غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة ، ومنع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ .. وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة ، فمحوا خير البشر ، وكتبوا (عليهما السلام) . فقالت السنة ؛ لا نرضى ألا ان يقلع الآجر الذي عليه (محمد وعلي) وان لا يؤذن (حي على خير العمل) ، وامتنع الشيعة من ذلك .

ودام القتال إلى ٣ ربيع الأول . وقتل فيه رجل هاشمي من السنة ، فحمله أهله على نعش ، وطافوا به في الحربية ، وباب البصرة ، وساير محال السنة . واستنفروا الناس للأخذ بثاره . ثم دفنوه عند احمد بن حنبل . وقد اجتمع معهم خلق كثير ، أضعاف ما تقدم .

فلما رجعوا من دفنه ، قصدوا مشهد باب التبن ، فاُغلق بابه . فنقبوا في سورها وتهددوا البواب ، فخافهم ، وفتح الباب . فدخلوا ونهبوا ما في

المشهد من قناديل ، ومحاريب ذهب وفضة ، وستور وغير ذلك . ونهبوا ما في الترب والدور .

فلما كان الغد ؛ كثر الجمع ، فقصدوا المشهد ، واحرقوا جميع الترب والازاج ، واحترق ضريح موسى ، وضريح ابن ابنه محمد بن علي الجواد ، والقبتان الساج ، اللتان عليهما . واحترق ما يقابلهما ، ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه ؛ معز الدولة ، وجلال الدولة . ومن قبور الوزراء والرؤساء ، وقبر جعفر ابن ابي جعفر المنصور ، وقبر الأمين محمد بن الرشيد ، وقبر أمه زبيدة .



شيخ الطائفة
الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

وجرى من الامر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله .

فلما كان الغد ، خامس الشهر ، عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ، ومحمد بن علي ؛ لينقلوهما إلى مقبرة احمد بن حنبل ، فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر ، فجاء الحفر إلى جانبه .

وسمع ابو تمام ، نقيب العباسيين وغيره من الهاشميين السنة — الخبر ، فجاؤوا ، ومنعوا عن ذلك ...

ولما انتهى خبر احراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد ، عظم عليه واشتد ، وبلغ منه كل مبلغ — لانه واهل بيته ، وسائر اعماله ؛ من النيل ، وتلك الولاية كلهم شيعة — فقطعت في اعمال خطبة الامام القائم بأمر الله ،

فروسل في ذلك وعوتب ، فاعتذر بأن اهل ولايته شيعة ، واتفقوا على ذلك . فلم يمكنه ان يشق عليهم . كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا[١] .

سنة ٤٤٩ هـ

فيها ، نهبت دار ابي جعفر الطوسي بالكرخ ؛ وهو فقيه الامامية . وأخذ ما فيها . وكان قد فارقها إلى المشهد الغربي[٢] .

سنة ٤٦٦ هـ

في هذه السنة ، غرق الجانب الشرقي ، وبعض الغربي من بغداد .. وغرق من الجانب الغربي مقبرة احمد ، ومشهد باب التبن ، وتهدم سوره . فأطلق شرف الدولة الف دينار ؛ تصرف في عمارته[٣] .

سنة ٥٠٢ هـ

في هذه السنة ، في شعبان ، اصطلح عامة بغداد السنة والشيعةوخرج الشيعة ليلة النصف منه إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره ، فلم يعترضهم أحد من السنة[٤] .

---

(١) الكامل ج ٩ ص ٣٩٤ – ٣٩٦ ، ولاحظ للبداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٢ – ٦٣ ، ومختصر أخبار الخلفاء ص ٨٧ ، والنبراس ص ١٣٧

(٢) الكامل ج ٩ ص ٤٣٩ ولاحظ – كذلك – البداية والنهاية ج ١٢ ص ٧١ – ٧٢ .

(٣) الكامل ج ١٠ ص ٦٣ ، وتراجع البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٠٩ .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٣٢٩

سنة ٥١٧ هـ

عاد الخليفة (المسترشد بالله) الى بغداد، فدخلها يوم عاشوراء، من هذه السنة. ولما عاد الخليفة إلى بغداد، ثار العامة بها، ونهبوا مشهد باب التبن، وقلعوا أبوابه، فأنكر الخليفة ذلك، وأمر أمير الحاج بالركوب إلى المشهد، وتأديب من فعل ذلك، وأخذ ما نهب، ففعل وأعاد البعض، وخفي الباقي عليه[1].

سنة ٥٩٣ هـ

في جمادى الآخرة، توفي قاضي القضاة، ابو طالب علي ابن البخاري، ببغداد، ودفن بتربته، في مشهد باب التبن[2].

سنة ٦١٤ هـ

فيها، زادت دجلة زيادة عظيمة، لم يشاهد في قديم الزمان مثلها.. أما الجانب الغربي؛ فتهـدم اكثر القرية، ونهر عيسى، والشطيات، وخربت البساتين ومشهد باب التبن، ومقبرة أحمد بن حنبل، والحريم الطاهري..[3].

الجامع المختصر

سنة ٥٩٧ هـ

ابو الفتح، صدقة بن أبي الرضا محمد بن احمـد بن صدقة؛ الملقب

---

(١) الكامل ج ١٠ ص ٤٣٠.
(٢) الكامل ج ١٢ ص ٨٥.
(٣) الكامل ج ١٢ ص ٢١٧.

ظهير الدين . من بيت أهل تقدم ، ووزارة ، وولاية . تولى نيابة الوزارة في الأيام الناصرية .. في ١٥ المحرم من سنة ٥٨٠ . وكان قبل نيابة الوزارة يتولى حجابة باب النوبي الشريف ، ثم رتب مشرفاً بالديوان العزيز ، في جمادى الآخرة ، من سنة ٥٩٧ ، فمرض عقيب ذلك ، وتوفي ، في ليلة الجمعة حادي عشري رجب من سنة ٩٧ المذكورة . ودفن بمقابر قريش بباب التبن [١].

سنة ٥٩٨ ه

ابو منصور ، محمد بن محمد المبارك ، الكرخي ؛ المنشد . شيخ حافظ للقرآن المجيد . قرأه بالقراآت . وكان حسن القراءة ، جيد الأداء ، طيب الصوت ، شجيه . وكان يتشيع ، وينشد في المواسم بالمشاهد المقدسة ، ويعظ في الأعزية . توفي في حادي عشر المحرم من سنة ٥٩٨ المذكورة . ودفن بمشهد موسى بن جعفر — عليهما السلام [٢].

*

ابو الحسن ، علي بن ابي عبد الله محمد بن ابي الحسن علي بن ابي نصر محمد بن الحسين بن ابراهيم بن يعيش ؛ سبط قاضي القضاة ابي الحسن علي ابن محمد الدامغاني .. مولده .. يوم الاثنين ، مستهل شعبان ، من سنة ٥١٩ . وتوفي في يوم السبت حادي عشر صفر ، من سنة ٩٨ المذكورة . ودفن في مشهد موسى بن جعفر — ع — [٣].

---

(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، لابن الساعي ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٤ ، ج ٩ ص ٦٠ — ٦١ .
(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ٨٥ .
(٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ٨٧ .

سنة ٥٩٩ هـ

ابو البدر بن حيدر . شاب عنده فضل ، وتميّز ، وكتابة ، كان يتولى ديوان التركات الحشرية[1] . توفي في عاشر شهر رمضان ، من سنة ٥٩٩ هـ المذكورة ؛ من مرض ايام قلائل. وصلي عليه بالمدرسة النظامية ، ودفن بمشهد موسى بن جعفر – عليهما السلام – . بلغني انه كان يقول : قد عينت على فلان وفلان ، ويعد مشايخ ارباب الأموال ، الذين لا وارث لهم سوى بيت المال ، فمات هو شاباً ، وبقي اولئك بعده[2] .

*

ابو الفضل ، أحمد بن علي بن هبة الله بن محمد بن علي ؛ ابن البخاري . كان شاباً جميلاً ؛ من بيت معروف بالولايات والقضاء والعدالة والرواية .. استنابه والده في القضاء والحكم بحريم دار الخلافة المعظمة ، وما يليها ... ولم يزل على ذلك إلى أن توفي والده في جمادى الأولى ، من سنة ٥٩٣ ، فانعزل بوفاته ، ولزم منزله ؛ إلى أن ولي اقضى القضاة شرقاً وغرباً ، وخلع عليه .. ثم عزل في اواخر ذي الحجة من سنة ٥٩٥ فلزم منزله ، إلى ان توفي في يوم الاربعاء ٤ ذي الحجة من سنة ٥٩٩ .. وصلي عليه بالمدرسة النظامية ، ودفن – عند ابيه – في تربة لهم بمشهد موسى بن جعفر – عليهما السلام –[3] .

سنة ٦٠٠ هـ

الرضى بن حبشي ؛ كاتب المخزن المعمور . كان كاتباً ضابطاً ، متواضعاً ،

---

(١) التركات الحشرية – هي التي لا وارث لها ، فتقع لخزانة المال .
(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٠٧ .
(٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ١١٣ – ١١٥ .

حسن الكتابة. كانت وفاته، في يوم الاربعاء ١٣ جمادى الأولى، من سنة ٦٠٠ وصلي عليه بالنظامية. ودفن في مشهد موسى بن جعفر -ع-[1].

*

ابو اسحاق، خليل بن محمود بن خليل التبريزي؛ أحد أمناء الحكم، بمدينة السلام. شيخ خير ولد ببغداد. ولاه قاضي القضاة، أبو الحسن ابن الدامغاني أميناً على أموال الأيتام، ولم يزل على ذلك، إلى أن توفي، في ليلة الجمعة، ١٥ ذي الحجة، من سنة ٦٠٠، ودفن بمقبرة مشهد موسى ابن جعفر -ع-[2].

سنة ٦٠١ ﻫ

في ليلة النصف من شعبان؛ هبت ريح شديدة، ومعها غـبرة وقترة - والناس قاصدون المشهد الكاظمي (على ساكنيه السلام) ومقبرة احمد (رض)؛ فقصدوا المشهد، وازدحموا في بابه الأول، وركب بعضهم بعضاً، فاختنق - في ذلك الزحام - سبعة عشر رجلاً، وامرأتان، وقيل: تسعة عشر رجلاً، وامرأة، وصبي، وصبية.

وذهب من الناس - عمائم ومداسات كثيرة. وانكشف الأمر بين المغرب والعشاء. وقد هلك المذكورون، وتفقدهم الناس. فمن عرف أحداً من الهلكى أخذه. ودفنوا في تلك الليلة. وبقي منهم جماعة لم يعرفوا، كانوا من السواد، فدفنهم الناس. وغرق - في تلك الحال - أيضاً، عدة سفن، كانت مصعدة ومنحدرة في دجلة، وغرق فيها خلق كثير[3].

*

---

(١) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٣٠.
(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٣٩.
(٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٤٦.

ابو علي ، الحسن بن محمد بن عبدوس ؛ شاعر من اهل واسط . قدم بغداد ، واستوطنها .. وهو احـد شعراء الديوان العزيز.. كانت وفاتـه ... في يوم الجمعة خامس صفر ، من سنة ٦٠١ . وصلي عليه بالمدرسة النظامية ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر – عليهما السلام –[١] .

سنة ٦٠٢ هـ

ابو شجاع ؛ الذهبي ، المعروف بالخوص . شيخ من ساكني الغلة[٢] . كان – أولاً – ذهبياً ، ثم ضمن دار الذهب . وكان تاجراً . توفي في يوم الأربعاء ، رابع شهر ربيع الأول ، من سنة ٦٠٢ . ودفن في مقبرة المشهد الكاظمي – على ساكنيه السلام –[٣] .

*

ابنة ارغش ، مقطع دقوقا ، وزوجة الأمير جمال الدين قشتمر الناصري .

توفيت ، هذه السنة ؛ بمرض السل . وكان سبب مرضها – فيما ظهر – ان زوجها قشتمر ؛ وقع بينه وبين الوزير ناصر بن مهدي ما اقتضى ان رأى سيده الامام الناصر الدين الله – رض – ايفاده إلى رام هرمز ، واقطاعه اياها ، فمرضت لفراقه . فلما بلغها انه قد تزوج بابنة ابي طاهر ، اشتد حزنها وتزايد مرضها . وكان له منها ابن صغير اسمه محمد ، ولقبه قطب الدين . فكانت تبكي الليل والنهار ؛ شوقاً إليه ، وتأسفاً عليه . وكانت – اذا سليت عنه – لا تسلى ، وأيست من عوده ، واجتماعها به . وبلغني ؛ انها امتنعت من الطعام والشراب ، حتى ماتت – رح – وفتح لها جامع القصر الشريف ، وحضر جماعة الأمراء ، والأعيان ، والأكابر ؛ للصلاة عليها . ودفنت

---

(١) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٥٣ – ١٥٤ .
(٢) باب الغلة – قرب دار الخلافة قديماً .
(٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٧٨ – ١٧٩ .

في تربة لها بمشهد موسى بن جعفر –ع–[١] .

*

جارية المسكين ابي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، القمي ؛ كاتب ديوان الانشاء – يومئذ – وام أولاده .

توفيت في ثامن صفر من سنة ٦٠٢ . وصلي عليها بالمدرسة النظامية ، ودفنت في تربة لهم بالمشهد الكاظمي – على ساكنيه السلام – وشيع جنازتها خلق كثير[٢] .

سنة ٦٠٤ هـ

ابو منصور ، احمد بن علي بن هبة الله ، ابن (الصاحب) ؛ الملقب بالربيب ، اخو استاذ الدار العزيزة – يومئذ –[٣] .

توفي يوم الأحد ٩ المحرم ، وصلي عليه في جامع القصر الشريف . ودفن بمشهد موسى بن جعفر – على ساكنيه السلام – وكان عمره نحواً من خمسين سنة . وقد روى شيئاً من الحديث[٤] .

*

أبو محمد ، الحسين بن يحيي بن عمارة ؛ كاتب نهر عيسى . شيخ من اعيان الكتاب ؛ عنده فضل ومعرفة بالكتابة .

توفي في خامس عشري شهر ربيع الأول (سنة ٦٠٤) ودفن في مشهد موسى بن جعفر – عليهما السلام –[٥] .

---

(١) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٨٠ – ١٨١ .
(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٨١ .
(٣) استاذ الدار – هو ، ابو الفضل مجد الدين بن هبة الله بن علي بن هبة الله بن الصاحب .
(٤) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٤٣ .
(٥) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٤٧ .

ابو القاسم ، الحسن بن نصر بن علي بن احمد بن محمد بن الناقد ؛ صدر المخزن المعمور . من بيت معروف بالولايات ، والتقدم ، والرياسة . ربي في ظل الخدمة الشريفة الناصرية ، وشمله انعامها طفلاً ، ويافعاً ، ومحتلماً ، فسماً قدره ، وتولى الولايات ، وتنقل في الخدمات ..

توفي والده ، في ١٨ جمادى الآخرة ، من سنة ٥٩٢ . وكان يتولى صدرية المخزن المعمور ، فجعل عوضه .. إلى أن عزل عنه ، يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى سنة ٥٩٨ .. ولم يستخدم بعد ذلك ، إلى أن توفي ، في ليلة الأربعاء ٩ شهر رمضان ، من سنة ٦٠٤ .. ودفن في تربة لهم ، في مشهد موسى بن جعفر –ع–[1] .

سنة ٦٠٥ هـ

ابو الفوارس ، نصر بن ناصر بن ليث بن مكي ؛ الكاتب ، المدائني . انتقل إلى بغداد . وأقام بها ، واستوطن ، وتقدم في خدمة الديوان العزيز ، وعلت مرتبته .. ثم تولى صدرية المخزن المعمور ..

كانت وفاتـــه في ليلة الأربعاء ، ٩ شعبان ، من سنة ٦٠٥ ؛ عن مرض ايام قلائل . وصلي عليه ، في جامع القصر الشريف ، وحضر جنازته جميع ارباب الدولة ، ووجوه الناس كافة ، ودفن في حضرة موسى بن جعفر – عليهما السلام – وكان الجمع وافراً جداً[2] .

*

ابو جعفر ، المبارك بن علي بن أحمد بن محمد بن الناقد . اخو ابي طالب نصر .. تولى حجبة باب النوبي الشريف بعد ابن اخيه القاسم الحسن[3] بن

---

(١) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٥٠ – ٢٥١ .
(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .
(٣) تراجع الاشارة اليه في المرجع المذكور ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

نصر ، في يوم الاربعاء ١٨ جمادى الآخرة ، من سنة ٥٩٢ .. توفي في شهر رمضان ، من سنة ٦٠٥ .. ودفن في مشهد موسى بن جعفر ـ ع ـ[١] .

سنة ٦٠٦ هـ

في يوم الخميس حادي عشر (ربيع الأول) عزل عز الدين عدنان بن المعمر بن المختار الكوفي ، عن نقابة مشهد موسى بن جعفر ـ ع ـ[٢] .

مختصر اخبار الخلفاء

كانت أيام (الناصر) غرة في وجه الدهر .. وكان يتشيّع ، ويميل إلى مذهب الإمامية ؛ بخلاف آبائه . وقد جعل مشهد الامام موسى الكاظم ـ عليه السلام والرضوان ـ أمناً لمن لاذ به . فكان الناس يلتجئون إليه ، في حاجاتهم ، ومهماتهم ، وجرائمهم ؛ فيقضي الناصر لهم حوائجهم ، ويسعفهم فيما أهمهم ، ويعفو عن جرائمهم[٣] .

في فرحة الغري

والذي بنى مشهد الكرخ ، سباهي الحاجب ؛ مولى شرف الدولة ابي الفوارس عضد الدولة . وبنى قنطرة الياسرية ، ووقف دباهى على المارستان ، وسد شق الخالص ، وحفر ذنابة دجيل ، وساق الماء إل موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ[٤] .

في الفخري

حدث عن (الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم برز القمي)

---

(١) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٨٣ .
(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٨٥ .
(٣) مختصر اخبار الخلفاء : لابن الساعي ، طبعة بولاق سنة ١٣٠٩ هـ ، ص ١١١ ـ ١١٢ .
(٤) فرحة الغري ، للسيد عبد الكريم ابن طاووس ، طبعة النجف سنة ١٣٦٨ هـ ، ص ١٣ .

مملوكه بدر الدين اياز ؛ قال : طلب ليلة — من الليالي — حلاوة النبات ، فعمّل في الحال منها صحون كثيرة ، وحضرت بين يديه في ذلك الليل . فقال لي : يا آياز ؛ تقدر تدخر هذه الحلاوة لي موفرة إلى يوم القيامة ؟

فقلت : يا مولانا ، وكيف يكون ذلك ؟ وهل يمكن هذا ؟

قال : نعم ؛ تمضي في هذه الساعة — إلى مشهد موسى والجواد (عليهما السلام) ، وتضع هذه الأصحن ، قدام أيتام العلويين . فانها تدخر لي موفرة إلى يوم القيامة . قال : آيار ، فقلت : السمع والطاعة ، ومضيت — وكان نصف الليل — إلى المشهد ، وفتحت الأبواب ، وأنبهت الصبيان الأيتام ، ووضعت الأصحن بين يديهم ، ورجعت[1] .

*

لم يجر في أيام (الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله) .. سوى احتراق القبة الشريفة ، بمشهد موسى والجواد — عليهما السلام — فشرع الظاهر في عمارتها ، فمات ، ولم تفرغ ، فتممها المستنصر[2] .

الحوادث الجامعة

سنة ٦٣٤ ه

فيها ، قصد الخليفة (المستنصر بالله) مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — في ثالث رجب . فلما عاد ، أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين بن الأقساسي ؛ نقيب الطالبيين ، وأمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، والحسين ، وموسى ابن جعفر — عليهم السلام —[3] .

(١) الفخري ص ٢٣٧ .
(٢) الفخري ص ٢٣٧ — ٢٣٨
(٣) الحوادث الجامعة ؛ المنسوب إلى ابن الفوطي ؟ طبعة بغداد سنة ١٣٥١ ه ، ص ٩٥ .

سنة ٦٣٥ هـ

في ربيع الآخر ، تقدم إلى المدرسين ، والفقهاء ، ومشايخ الربط ، والصوفية ، وأرباب الدولة من الصدور والأمراء ؛ بحضور جامع القصر ؛ لأجل الصلاة على ابنة بدرالدين لؤلؤ ؛ صاحب الموصل ؛ زوجة الأمير علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير . وصلي عليها في القبلة . وشيع الكل جنازتها ، إلى المشهد الكاظمي . ودفنت في الايوان المقابل للداخل إلى مصف الحضرة المقدسة — في ضريح مفرد [١] .

سنة ٦٣٧ هـ

فيها ، توفي ابو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ؛ المعروف بابن الاثير ، الجزري الأصل ، الموصلي الدار .

كان كاتباً عالماً متفنناً في علم الكتابة مقتدراً على الإنشاء . ورد إلى بغداد مراراً في رسائل من بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ؛ منها في هذه السنة . فمرض ببغداد ، ومات ودفن في صحن مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — كان مولده سنة ٥٥٨ [٢] .

سنة ٦٤١ هـ

فيها ، تقدم الخليفة (المستنصر بالله) إلى جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي المحتسب ؛ بمنع الناس من قراءة المقتل ، في يوم عاشوراء ، والانشاد في سائر المحالّ بجانبي بغداد سوى مشهد موسى بن جعفر — عليهما السلام — [٣] .

---

(١) الحوادث الجامعة ص ١٠١ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ١٣٦ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ١٨٣ — ١٨٤ .

سنة ٦٤١ هـ

في سابع عشري رجب المبارك ، قصد الخليفة (المستعصم) زيارة مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — وكان يوماً مطيراً . ونزل عن مركوبه من باب سور المشهد [١] .

سنة ٦٤٣ هـ

الوزير نصير الدين ، ابي الأزهر ، أحمد بن الناقد .. عرض له اسهال ، فتوفي ليلة الجمعة سادس ربيع الأول من السنة ، فدفن في مشهد موسى ابن جعفر — عليه السلام — في تربة اتخذها لنفسه [٢] .

*

وفيها ، توفي خواجه حسين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز في دار مجاور داره . وانقضى عمره على ذلك ، ودفن في مشهد موسى ابن جعفر — عليه السلام — [٣] .

*

في ليلة الجمعة ، حادي عشر شهر رمضان ؛ نقل مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز ؛ القمي الوزير ، من مدفنه بمقبرة الزرادين بالمأمونية ، إلى تربة ؛ كان أنشأها بالمشهد الكاظمي ، ووقف عليها وقوفاً . وذلك بعد ثلاث عشرة سنة وأحد عشر شهراً [٤] .

---

(١) الحوادث الجامعة ص ١٨٥ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٩٢ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٩٣ .
(٤) الحوادث الجامعة ص ٢٠٥ .

سنة ٦٤٦ ﻫ

في شوال ، تواترت الغيوث حتى امتلأت البواليع ، واستجد عوضها وامتلأت أيضاً . وتعطل على الناس معظم أشغالهم . وكان ذلك عاماً ببغداد ، وتستر ، واربل ، والموصل ، وغير ذلك من البلاد .

ودام حتى منع الناس عن الزرع ، وغرقت القرى ، وهدمت الدور ، وامتلأت الزابات ، وتجمر الماء بدجلة ، وزادت زيادة عظيمة ؛ غرقت الشطانيات بالجانب الغربي من بغداد .

ومن فتحة انفتحت — فوق قبر احمد بن حنبل — غرق منها محلة الحربية ، والكرخ ، والمارستان ، والخلد [١] ، ودار بختيار ، والسوق بأسره — من رباط الخلاطية إلى القنطرة — وقطعة من محلة قطفتا ، والشيخ [٢] بأسره ، والجنبشة (؟) ، ووقع قطعـــة من جامع فخر الدولة الحسن بن المطلب ، وقطعة من سور المشهد الكاظمي — على ساكنه السلام — وجامع الحربية بأسره . وانتقل الناس من مساكنهم القريبة من دجلة الى المواضع العالية .. ولم تبلغ هذه الزيادة تلك التي كانت سنة ٦١٤ [٣] .

*

ثم زادت (دجلة) في ذي الحجة ، زيادة مفرطة أعظم من الأولى ... أما الجانب الغربي فغرق بأسره .. وأما المشهد الكاظمي — على ساكنه السلام — فإنه هدم سوره ودوره ، فأقام على الضريحين الشريفين ؛ بحيث لم يبن من الرمامين [٤] سوى رؤوسها [٥] .

---

(١) هو قصر المنصور ، على الجانب الغربي من دجلة .

(٢) قبر الشيخ معروف الكرخي .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٢٩ — ٢٣٠

(٤) الرمامين — جمع رمانة .

(٥) الحوادث الجامعة ص ٢٣٣ .

سنة ٦٤٧ هـ

فيها ، نقل فخر الدولة الحسن بن المطلب ، من مدفنه بالايوان ، الذي في جامعه على شاطيء دجلة ، حيث وقع حائطه — إلى مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — تولى نقله النواب الذين ينظرون في وقوفه . وارادوا نقله إلى موضع في الجامع ، فلم يجوّز الفقهاء ذلك . وذلك بعد نيف وستين سنة من موته [١] .

*

وفيها ، أمر الخليفة بعمارة سور مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — فلما شرعوا في ذلك ، وجدوا برنية ، فيها ألفا درهم قديمة ؛ منها يونانية عليها صور ، ومنها ضرب بغداد ، سنة نيف وثلاثين ومائة ، ومنها ما هو ضرب واسط ، يقارب هذا التاريخ . فعرضت على الخليفة ، فأمر أن تصرف في عمارة المشهد ، فاشتراها الناس بأوفر الأثمان ، وأهدي منها إلى الأكابر ، فنفذوا إلى المشهد أضعاف ما كان حمل إليهم [٢] .

*

وفي حادي عشر ذي القعدة ، امر الخليفة بحمل مشدتين إلى مشهد موسى ابن جعفر — عليه السلام — وتعليقهما على القبتين الشريفتين ، ثم تقدم بازالتهما ، في خامس عشرى الشهر المذكور [٣] .

سنة ٦٤٨ هـ

فيها ، توفي عبد الغني بن فاخر ، مهتر الفراشين بدار الخليفة ... وبنى تربة في المشهد الكاظمي — على ساكنه السلام — وعمل ضريحاً وصندوقاً

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٤٢ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤٤ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٤٤ .

وجعل في التربة فرشاً . وربعة ، وقناديل ، وخادماً . ووقف أملاكه على التربة والخادم ، ومن يختار القعود – هناك – من معتقيه ومقرىء وفراش [١]

سنة ٦٥٠ هـ

في شوال توفي علاء الدين الطبرسي الظاهري . المعروف بالدويدار الكبير . كان دويدار الخليفة الظاهر . وكان حظياً عنده .

ودفن في مشهد موسى بن جعفر – عليه السلام – في الايوان المقابل لباب الدخول – عند زوجته [٢] ابنة بدرالدين ، صاحب الموصل [٣] .

سنة ٦٥٦ هـ

توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ، في مستهل جمادى الآخرة . ودفن في مشهد موسى بن جعفر – عليه السلام – [٤]

سنة ٦٦٣ هـ

فيها ، توفي جمال الدين ابو الحسن علي بن برز القمي . المعروف بأميران ، وهو ابن أخي الوزير مؤيد الدين القمي . ودفن في تربة عمه ، بمشهد (موسى بن جعفر) – عليه السلام – [٥] .

سنة ٦٧٢ هـ

توفي .. خواجه نصيرالدين أبو جعفر محمد بن الطوسي ، في ثامن عشر

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٥٢ .
(٢) تلاحظ الحوادث الجامعة ص ١٠١ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٦٥ .
(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٣٣ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٥٥ .

ذي الحجة ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر – عليه السلام – في سرداب قديم البناء ، خالٍ من دفن . قيل : إنه كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله .. كان مولده سنة ٥٩٧[١] .

وفيها ، ظهر جراد كثير ، أكل الغلات ، وسائر الزروع ، وخوص النخل ، وورق الأشجار ، في الحلة ، والكوفة ، وبغداد[٢] .

سنة ٦٧٤ هـ

وفيها ، عزل أمين الدين مبارك الهندي الجوهري ، من نقابة مشهد موسى بن جعفر – عليه السلام – وعين في النقابة نجم الدين علي ابن الموسوي . ولما كان مبارك نقيباًالمذكور نقيباً ، قال فيه بعض الشعراء :

رأيت في النوم امام الهدى   موسى حليف الهم والوجد
يقول ما تنكبني نكبة   إلا من الهند أو السند
تحكم (السندي) في مهجتي   وحكّم (الهندي) في ولدي
فلعنة الله على من به   تحكم السندي والهندي[٣]

سنة ٦٧٧ هـ

فيها ، رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان – بظاهر بغداد – نوراً متصلاً بالسماء ، وفي صبحتها .

قال بعضهم : انه رأى قبراً فيه أحد أولاد الحسن « بمحلة المروية » ،

---

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٨٠ .
(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٨١ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٨٥ .

فانهال الناس لزيارته. ثم شرعوا في عمارته. وتواتر بعد ذلك اخبار العوام برؤية المنامات، وكثرة الظواهر. وتحدّثوا بقيام الزمنى والمرضى، وفتح أعين الأضرّاء. ونقل قوم عن قوم أشياء لا أصل لها غير أهوية العوام. وبطل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك. فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر إلى مشهد موسى بن جعفر — عليه السـلام — ففعلوا ذلك، وسكن العوام [١].

سنة ٦٨٨ هـ

فيها، تقدم الملك شرف الدين السمناني؛ صاحب ديوان العراق، بإعادة الزين — عميد بغداد — إلى التمغات، بعد أن استوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب والعذاب. ثم عزم الملك على التوجه إلى الاردو المعظم، فقصد سعد الدولة المشرف عليه — مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — وزار ضريحه الشريف، وأخذ المصحف متفائلاً به، فخرج له: «يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن، ونزلّنا عليكم المن والسلوى»؛ فاستبشر بذلك، وأطلق للعلويين والقوام مائة دينار. فلما وصلوا إلى حضرة السلطان، عزل الملك شرف الدين ورتب سعد الدولة [٢].

سنة ٦٩٣ هـ

توفي النقيب غياث الدين، عبد الكريم؛ ابن طاووس، في مشهد موسى ابن جعفر، وقد حمل إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام — [٣].

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٠٤ — ٤٠٥.
(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٥٧.
(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٨٠

سنة ٦٩٤ هـ

فخر الدين مظفر بن الطراح ، صدر واسط والبصرة .. ناب عن الملك فخر الدين منوجهر بن ملك همـــدان ، في واسط .. آلت حاله إلى القتل . ودفنت جثته في مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — وكان قد تجاوز في العمر ستين سنة [١] .

تاريخ بغـــداد

عمر أبو أحمد الموسوي مسجد (قطيعة ام جعفر من الجانب الغربي) .. كبّره ، وبناه .. واستأذن الطائع لله ، في أن يجعله مسجداً ، يصلي فيه في أيام الجمعات .. فأذن في ذلك ، وصار جامعاً يصلي فيه الجمعات .

فأدركت صلاة الجمعة ، وهي تقام ببغداد ، في مسجد المدينة ، ومسجد الرصافة ، ومسجد دار الخلافة ، ومسجد براثا ، ومسجد قطيعة ام جعفر .. ومسجد الحربية . ولم تزل على هذا ، إلى أن خرجت من بغداد ، في سنة ٤٥١ هـ [٢] .

*

بالجانب الغربي — في أعلى المدينة — مقابر قريش ، دفن بها موسى بن جعفر .. وجماعة من الأفاضل معه .. وكان أول من دفن في مقابر قريش ؛ جعفر الأكبر بن المنصور .. وكذلك (دفن) .. جماعة من العلماء والمحدثين والفقهاء بمقبرة باب التبن . وهي على الخندق ، بازاء قطيعة أم جعفر [٣] .

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ؛ للخطيب البغدادي ، طبعة مصر سنة ١٩٣١ ، ج ١ ص ١١٠ — ١١١ ، ولاحظ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ؛ لابن الجوزي ، طبعة حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٥٧ — ١٣٦٠ هـ ، ج ٧ ص ١٤٩ ، و١٧١ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٢٠ — ١٢١ .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

سنة ٣٥٣ هـ

عمل في عاشوراء .. تعطيل الأسواق ، وإقامة النوح . فلما أضحى النهار – يومئذ – وقعت فتنة عظيمة ، في قطيعة ام جعفر ، وطريق مقابر قريش ؛ بين السنة والشيعة . ونهب الناس بعضهم بعضاً ، ووقعت بينهم جراحات [١] .

سنة ٣٥٤ هـ

في هذه السنة ، عمل يوم عيد غدير خم ببغداد .. اشعال النار في ليلته وضرب الدبادب والبوقات ، وبكور الناس إلى مقابر قريش [٢] .

سنة ٣٥٥ هـ

توفي (محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سبار ، ابو بكر) قاضي الموصل .. ابن الجعابي .. صلي عليه في جامع المنصور ، وحمل إلى مقابر قريش ، فدفن بها [٣] .

سنة ٣٥٨ هـ

في ذي الحجة ، نقل الأمير عز الدولة معز الدولة ، من داره ، إلى تربة بنيت له في مقابر قريش [٤] .

---

(١) المنتظم ج ٧ ص ١٩ .
(٢) المنتظم ج ٧ ص ٢٤ .
(٣) المنتظم ج ٧ ص ٣٨ .
(٤) المنتظم ج ٧ ص ٤٨ .

سنة ٣٦٧ هـ

في شهر رمضان ، تناهت زيارة دجلة ، حتّى انتهت إلى إحدى وعشرين ذراعاً ...

وانفجر بثق من الخندق ، غرق مقابر باب التبن ، وقطيعة أم جعفر . وخرج سكان الدور الشارعة على دجلة منها . وغار الماء من آبارها وبلاليعها . وانهم الناس نفوسهم خوفاً من غرق البلد كله ، ثم نقص الماء [1] .

سنة ٣٧٣ هـ

في يوم عاشوراء — وهو عاشر المحرم — اظهرت وفاة عضد الدولة وحمل تابوته إلى المشهد الغربي ، ودفن في تربة بنيت له هناك ، وكتب على قبره في ملبن ساج : هذا قبر عضد الدولة ، وتاج الملة ، ابي شجاع ، ابن ركن الدولة . أحب مجاورة هذا الامام التقي ؛ بطمعه في الخلاص ، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها . والحمد لله وصلى الله على محمد وعترته الطاهرة [2] .

سنة ٣٩٣ هـ

منع (عميد الجيوش) اهل الكرخ ، وباب الطاق — في عاشوراء — من النوح في المشاهد ، وتعليق المسوح في الأسواق [3] .

سنة ٤٠٢ هـ

فخر الملك أذن لأهل الكرخ ، وباب الطاق ؛ في عمل عاشوراء ، فعلقوا

---

(١) المنتظم ج ٧ ص ٨٧ .
(٢) المنتظم ج ٧ ص ١٢٠ .
(٣) المنتظم ج ٧ ص ٢٢٢ .

المسوح ، واقاموا النياحة في المشاهد [١] .

وفي رجب ، وشعبان ، ورمضان ؛ واصل فخر الملك الصدقات ، والحمول إلى المشاهد بمقابر قريش ، والحائر ، والكوفة ، وفرق الثياب ، والتمور ، والنفقات ؛ في العيد على الضعفاء [٢] .

سنة ٤٠٨ هـ

توفي ، في شوال ؛ شباشي الحاجب ؛ ابو طاهر المشطب – مولى شرف الدولة ابي الفوارس ابن عضد الدولة – السعيد ذو العضدين ، المناصح .

سدّ بثق الخالص ، وحفر ذنابة دجيل ، وساق الماء منها إلى مقابر قريش .. [٣] .

سنة ٤٣٦ هـ

في سادس رمضان ؛ نقل تابوت جلال الدولة ، وبنته الكبرى ، من دار المملكة ، إلى تربة لهم في مقابر قريش [٤] .

سنة ٤٤٣ هـ

في اول صفر ، تجددت الفتنة بين السنة والشيعة .. فلما كان يوم الأربعاء ، لسبع بقين من صفَر ؛ اجتمع من اهل السنة عدد يفوت الاحصاء .. واستنفر البلد . ونقب مشهد باب التبن ، ونُهب ما فيه ، واخرج جماعة من القبور ، فأحرقوا ؛ مثل العوفي والناشي ، والجذوعي . ونقل من المكان جماعة موتى ،

---

(١) المنتظم ج ٧ ص ٢٥٤ .
(٢) المنتظم ج ٧ ص ٢٥٦ .
(٣) المنتظم ج ٧ ص ٢٨٨ .
(٤) المنتظم ج ٨ ص ١١٨ .

فدفنوا في مقابر شتّى ، وطرح النار في الترب القديمة والحديثة . واحترق الضريحان والقبتان الساج .

وحفروا أحد الضريحين ، ليخرجوا من فيه . ويدفنوه بقبر أحمد . فبادر النقيب والناس ، فمنعوهم .. وأظهر اهل الكرخ الحزن ، وقعدوا في الأسواق للعزاء ، وعلقوا المسوح على الدكاكين .. [١] .

سنة ٤٤٨ هـ

في هذه السنة ، أقيم الأذان ، في المشهد ، بمقابر قريش ، ومشهد العتيقة ، ومساجد الكرخ بـ(الصلاة خير من التوم) . وازيل ما كانوا يستعملونه في الاذان (حي على خير العمل) . وقلع جميع ما كان على ابواب الدور والدروب من (محمد وعلي خير البشر) [٢] .

*

(سبب اسلام هلال بن المحسن ، الصابي الذي توفي في هذه السنة) قال : رأيت في المنام سنة ٣٩٩ رسول الله – صلى الله عليه وسلم .. فانتبهت ، ودخلت إلى الحمام ، وجئت إلى المشهد ، وصلت فيه ، وزال عني الشك . فبعث إليّ فخر الملك [٣] .

سنة ٤٥٠ هـ

عبر قريش (بن بدران) ليلة الاربعاء ، التاسع من ذي الحجة ، الى الجانب الغربي ، وضرب خيمة بقرب جامع المنصور . وحمل الخليفة إلى المشهد بمقابر قريش . وقال له : تبيت فيها . فامتنع ، وقال : هؤلاء العلويون ،

(١) المنتظم ج ٨ ص ١٤٩ – ١٥٠ .
(٢) المنتظم ج ٨ ص ١٧٢ .
(٣) المنتظم ج ٨ ص ١٧٧ – ١٧٨ .

الذين بها ، يعادونني .. فالزم الدخول ، وبات ليلته في بعض الترب .

وحضر – من الغد – جماعة من اصحاب البساسيري ، وأصحاب قريش ، فتسلموه من موضعه ، وأقعدوه في هودج على جمل ، وسيروه إلى الأنبار [١] ..

سنة ٤٥١ هـ

ولما عاد القائم من الحديثة .. اشرف – في بعض الأيام على البنائين والنجارين في الدار – فرأى فيهم روز جارياً فأمر الخادم بإخراجه .. فسئل الخليفة عن السبب ، فقال : ان هذا الروز جاري بعينه أسمعنا – عند خروجنا من الدار – الكلام الشنيع . وبعثنا بذلك إلى المكان الذي نزلناه من مشهد باب التبن . ولم يكفه ذلك ، حتى نقب السقف فاذا أنا بغباره وتبعنا الى عقرقوف [٢] .

سنة ٤٦٦ هـ

غرقت مقابر قريش ، ومقبرة أحمد بن حنبل . ودخل الماء شبابيك المارستان العضدي . فوقف فيه [٣] .

*

وفي اول يوم من شوال ، حضر الموكب النقيبان ، والأشراف ، والقضاة ، والشهود . فنهض بعض المتفقهة ، وأورد أخباراً في مدح الصحابة . وقال ما بال الجنائز تمنع من ذكر الصحابة عليها بمقابر قريش ، وربع الكرخ – والسُنّة ظاهرة ، ويد أمير المؤمنين قاهرة – فطولع بما قال . فخرج التوقيع بما معناه : أنهي ما ارتكب بمقابر قريش من إخمال ذكر صاحبي رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، ورضي عنهما – وتورطهم في هذه الجهالة ،

---

(١) المنتظم ج ٨ ص ١٩٤ – ١٩٥ .
(٢) المنتظم ج ٨ ص ٢١١ – ٢١٢ .
(٣) المنتظم ج ٨ ص ٢٨٦ .

واستمرارهم على هذه الضلالة ، التي استوجبوا بها النكال ، واستحقوا عظيم الخزي والوبال .

وانما يتوجه العتب في ذلك . نحو نقيب الطالبيين . ولولا ما تدرّع به من جلباب الحكم ، واسباب يتوخاها ، لتقدم في فرضه ما يرتدع به الجهال . فليؤجر باظهار شغل السنة ، في مقابر باب التبن ، وربع الكرخ ، من ذكر الصحابة على الجنائز ، وحثهم على الجمعة والجماعة ، والتثويب بالصلاة خير من النوم ، وذكر الصحابة على مساجدهم ومحاربهم اسوة بمساجد السنة ، والتقدم بمكاتبة ابن مزيد ليجري على هذه السيرة ، في بلاده . وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب عظيم [1] .

سنة ٥١٧ ﻫ

لما عاد الخليفة ، من حرب دبيس ؛ ثار العوام ببغداد ، فقصدوا مشهد مقابر قريش ، ونهبوا ما فيه ، وقلعوا شبائكه . وأخذوا ما فيه من الودائع والذخائر .

وجاء العلويون يشتكون هذه الحال إلى الديوان ؛ فأنهى ذلك . فخرج توقيع الخليفة — بعد أن اطلق في النهب — بانكار ما جرى ، وتقدم إلى « نظر » الخادم بالركوب إلى المشهد ، وتأديب الجناة . ففعل ذلك ، وردّ بعض ما أخذ [2] .

سنة ٥٥٢ ﻫ

توفي في ليلة الجمعة ، ثالث عشرين ، من جمادى الأولى ، من هذه السنة ؛ علي بن صدقة ؛ ابو القاسم ؛ الوزير ، وصلي عليه في جامع القصر

---

(١) المنتظم ج ٩ ص ٢٨ – ٢٩ .
(٢) المنتظم ج ٩ ص ٢٤٣ .

ــ قبل صلاة الجمعة ــ وقبر بمشهد باب التبن [١] .

سنة ٥٥٤ هـ

وغرقت مقبرة الامام أحمد ، وغيرها من الأماكن والمقابر . وانخسفت القبور المبنية ، وخرج الموتى على رأس الماء . واسكر المشهد والحربية ، وكانت آية عجيبة [٢] .

سنة ٥٥٨ هـ

توفي ، يوم الاثنين ، تاسع عشر رجب ، محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم ابن عبد الكريم ، ابو عبد الله ابن الانباري ؛ الملقّب بسديد الدولة ؛ كاتب الأنشاء . وصلي عليه يوم الثلاثاء ، بجامع القصر . وحضر الوزير ، وغيره من أرباب الدولة . ودفن بمشهد باب التبن [٣] .

سنة ٥٦٢ هـ

توفي ، في ذي القعدة ، من هذه السنة ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدول ؛ أبو المعالي ، الكاتب ؛ (مصنف) كتاب التذكرة ودفن بمقابر قريش [٤] .

سنة ٥٦٩ هـ

في يوم الأحد ، عاشر رمضان ، زاد (دجلة) على كل زيادة تقدمت . واسكرت الحربية ، والمشهد . ووقع اكثر سور المشهد ، ونبع مـــن

---

(١) المنتظم ج ١٠ ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٢) المنتظم ج ١٠ ص ١٩٠ .
(٣) المنتظم ج ١٠ ص ٢٠٦ .
(٤) كان قبره في الطريق تجاه مشهد الكاظمين ، وقد أزيل في ربيع سنة ١٩٣٤ م .

داخله الماء ، فرمى الدور ، والترب .. [١] .

مرآة الزمان في تاريخ الاعيان

سنة ٥٧٥ هـ

فيها ، توفي محمد بن محمد بن عبد الكريم ؛ ابو الفرج ؛ ابن الانباري ؛ كاتب الانشاء بديوان الخليفة .

ولد سنة ٥٠٧ هـ . ناب في الديوان ، من حين مات والده سديد الدولة ، سنة ٥٥٨ إلى هذه السنة . وكانت وفاته في ذي القعدة . وصُلي عليه بجامع القصر ، ودفن عند والده بمقابر قريش [٢] .

*

وفيها ، توفي ابن العطار ؛ صاحب المخزن ونائب الوزارة . واسمه منصور بن نصر بن الحسين ابو بكر . ويلقب بظهير الدين ...

كان مسيئاً إلى الخلق الخاص والعام والعسكر والرعية ؛ وخصوصاً إلى اهل المختارة ، والكرخ ، ومشهد موسى بن جعفر . وقطع ارزاقهم ، وبدد شملهم [٣] .

سنة ٥٩٧ هـ

فيها ، استناب الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي (من اهل مشهد موسى بن جعفر) في الوزارة [٤] .

*

---

(١) المنتظم ج ١٠ ص ٢٤٥ .
(٢) مرآة الزمان مج ٨ ق ١ ص ٣٥٨ .
(٣) مرآة الزمان مج ٨ ق ١ ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .
(٤) مرآة الزمان مج ٨ ق ٢ ص ٤٧٦ .

وفيها ، توفي .. (ابو الفرج) عبد الرحمن .. ابن الجوزي .. وقام الناصر العلوي الموسوي ، من اهل مشهد موسى بن جعفر – عليه السلام – فأنشد :

الدهر عن طمع يغرّ ويخدع وزخارف الدنيا الدنية تطمع

... الأبيات [١]

سنة ٦٠٨ هـ

فيها ، أمر الخليفة أن يقرأ مسند الإمام احمد بن حنبل – بمشهد موسى بن جعفر – بحضرة صفي الدين محمد بن معد الموسوي ، باجازة عن الخليفة ..

واول ما قرأ منه مسند ابي بكر الصديق – رضي الله عنه – وحديث فدك ، وما جرى فيها [٢] .

سنة ٦١٣ هـ

فيها ، توفي يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ؛ اربع مرات ؛ أبو جعفر العلوي ، الحسني ، البصري . ويعرف بابن ابي زيد . ولي نقابة الطالبيين بالبصرة .

وكانت وفاته ببغداد – في رمضان – ودفن بمقابر قريش [٣] .

سنة ٦١٥ هـ

فيها ، توفي نجاح بن عبد الله الشرابي ؛ شرابي الخليفة .. مملوك الامام

---

(١) مرآة الزمان مج ٨ ق ٢ ص ٥٠٠ – ٥٠١ .
(٢) مرآة الزمان مج ٨ ق ٢ ص ٥٥٦ .
(٣) مرآة الزمان مج ٨ ق ٢ ص ٥٨١ .

الناصر .. وتصدق عنه الخليفة من مال نجاح بعشرة آلاف دينار ، على المشاهد . وبعث بمثلها إلى مكة والمدينة [١] ..

سنة ٦٢٢ هـ

فيها ، توفي الإمام الناصر لدين الله ، ابو العباس أحمد بن الامام المستضيء بالله .

ولد في رجب سنة ٥٥٣ ، وبويع بالخلافة غرة ذي القعدة ، سنة ٥٧٥ .. وكانت وفاته ليلة الأحد ، سلخ رمضان عن تسع وستين سنة . وكانت خلافته سبعاً واربعين سنة إلاّ شهوراً ... وكان قد عمل له ضريحاً عند موسى بن جعفر [٢] فأمر الظاهر بحمله إلى الرصافة [٣] .

منتخب المختار

ذو الفقار بن محمد بن اشرف بن ابي جعفر محمد بن ابي الصمصام بن الحسن بن احمد بن حميدان بن اسماعيل بن يوسف بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ... ابو جعفر .. العلوي الحسني ؛ الملقب شرف الدين .. الشافعي .. مدرس المستنصرية .. توفي يوم الجمعة ٢٧ من شعبان ، سنة ٦٨٥ . ودفن عند والده بالمشهد الكاظمي . وشيعه قاضي القضاة والجماعة إلى مدفنه [٤] .

*

---

(١) مرآة الزمان مج ٨ ق ٢ ص ٦٠٠ .

(٢) دفن فيه الخواجه نصير الدين الطوسي – من بعد – سنة ٦٧٢ هـ لاحظ الحوادث الجامعة ص ٣٨٠

(٣) مرآة الزمان مج ٨ ق ٢ ص ٦٣٥ – ٦٣٦ .

(٤) منتخب المختار « تاريخ علماء بغداد » ؛ لابن المعالي محمد بن رافع السلامي ، انتخاب التقي الفاسي المكي ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٨ ، ص ٥٤ – ٥٥ .

محمد بن محمد بن محمود بن النجيب ؛ الواسطي ، الشرقي ، ابو البدر ..، الشافعي المعدل ؛ كمال الدين ؛ نزيل بغداد .. توفي في ليلة الجمعة ٣ ذي الحجة سنة ٦٨١ هـ .. ودفن بمشهد باب التبن بمقابر قريش [١] .

دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء

سنة ١١٥٣ هـ

خلال هذه السنة ، أرسل الشاه (نادر شاه) هدايا مالية جسيمة ، وتحفاً ثمينة ، إلى المراقد المقدسة ؛ مرقد .. علي المرتضى — كرم الله وجهه — وسيد الشهداء الامام الحسين ، والإمام موسى الكاظم [٢] .

سنة ١١٦٤ هـ

أخذ يتوارد على بغداد ؛ بقصد الحج والزيارة الكثير من الإيرانيين ولا سيما أهالي خراسان واصفهان [٣] .

سنة ١٢١٦ هـ

وقد نقلوا خزينة النجف الأشرف خوفاً عليها من غارات الوهابيين . وضموها إلى خزينة موسى الكاظم — رضي الله عنه — وقد انتدب لنقلها الدفتري الحاج محمد سعيد بيك . واخبروا الحكومة الايرانية بما حدث ، وبما اتخذ من الاجراآت [٤] .

---

(١) منتخب المختار ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ؛ للشيخ رسول الكركوكلي ؛ ترجمة موسى كاظم نورس ، طبعة بيروت . ص ٤٦ .

(٣) دوحة الوزراء ص ١١٤ .

(٤) دوحة الوزراء ص ٢١٧ .

سنة ١٢٢٩ هـ

لم تتخذ الحكومة أي اجراء ، لإعادة الأمن إلى نصابه . فزاد سكوتها المتمردين تجاسراً ، واقتربوا من مدينة الكاظمية ، والجانب الغربي من بغداد .

ومن غريب الاتفاق مجيء ما يقرب من الأربعين ألف زائر من الديار الإيرانية في تلك الظروف المحفوفة بالمخاطر لزيارة العتبات المقدسة . وتحرش الثوار بهم . مما اضطرهم إلى التكتل والمكوث في العتبات المقدسة ؛ في شبه حصار ؛ لعدم تمكنهم من التنقل من بلد إلى بلد .

وكان بين هؤلاء الزوار حرم حاكم ايران ، وعياله — مع جماعة من رؤساء الحكومة الايرانية ، وخوانينها ، ووجوهها .

ولما ضاق عليهم الأمر ، اتصلوا بالحكومة المحلية ، وبالوزير مباشرة لإيجاد مخرج لهم ، ولتأمين نقلهم ، وعودتهم — بعد أداء الزيارة .

وعندئذ فقط ، تحرك الوزير ، ورأى من الضروري اتخاذ اجراء فوري ؛ لضبط النظام ، وإعادة الأمن إلى هذه الأمكنة ؛ التي يرتادها الأجانب ، من كل مكان للزيارة . وقرر — بعد التداول — مع جماعته ؛ أن يعهد بمعالجة هذه الأوضاع ، إلى داود أفندي الدفتري السابق . وعينه قائداً على حملة عسكرية قوية [١] .

مختصر مطالع السعود
بطيب اخبار الوالي داود

سنة ١٢٠١ هـ

رجع سليمان بن شاوي إلى الخابور ، وانضم إليه كل مفسد ومغرور .

---

(١) دوحة الوزراء ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، وتلاحظ مختصر مطالع السعود ص ١٢٠ .

وصاروا يغيرون ويغزون حول بغداد ، ويلتجئون إلى الغابات . فلما بلغ الوزير ذلك ، أرسل إليهم عسكراً يقوده محمو بك ابن نمر بك ، وخالد آغا كتخدا البوابين . فالتقوا مع عرب ابن شاوي .. وقد طمع ابن شاوي في محاصرة بغداد . فكرّ عليها بكله وكليله . وهجم على شريعة الكاظم ، وغنم أموالاً وخيلاً .. فقامت عرب نجد المعروفون بـ(عقيل) وصدّوه عن بغداد .. وحفظوا الجانب الغربي منها [١] .

تاريخ العراق بين احتلالين

سنة ٦٥٦ هـ

بتاريخ ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ استولى المغول على بغداد ... وقد احرقت اكثر المواقع الشريفة ، في هذه الوقعة ؛ كجامع الخليفة ، ومشهد موسى (و) الجواد ، ومراقد الخلفاء [٢] .

سنة ٨٠٣ هـ

فتح تيمور بغداد ـ كان بعد محاصرة دامت أربعين يوماً ـ يوم السبت ٧ ذي القعدة لسنة ٨٠٣ هـ .. وخرج منها في العشرة الأولى من ذي الحجة .. لم يصل إلى العلماء منه ضرر .. ومن هناك زار مشهد الامام موسى الكاظم ـ رض ـ ومضى إلى الحلة ، فزار مشهد الامام علي ـ رض ـ وقضى نحو عشرين يوماً ؛ تثبيتاً للسطو والسيطرة [٣] .

---

(١) مختصر مطالع السعود ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين للمحامي عباس العزاوي ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٥٦ ، ج ١ ص ١٨٠

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٤٠ .

سنة ٨٣٦ هـ

كان الأمير اسبان قد اكتسح كافة أنحاء بغداد .: وجاء في نصف ميل إلى سور بغداد ، يوم الخميس ١٨ شعبان سنة ٨٣٦ .. وأخذ البلد . وجاؤوا إلى بيت شاه محمد فوجدوه مغلقاً ، فضربوا الباب بالدبابيس ، وكسروه فهرب شاه محمد ، ونزل في سفينة ، ومضى إلى الجانب الغربي ، وتوجه راجلاً إلى مشهد الامام موسى الكاظم ، وصحبه ولده شاه بوداق ، ومحمود الحمال . وكان السيد الجوسقي في المشهد ، فأعطاه حماراً ، ركبوه إلى الدجيل [1].

سنة ٩١٤ هـ

باشر (الشاه اسماعيل) تعمير مشهد الامام موسى الكاظم –ع– في هذا التاريخ . وأحال ذلك إلى أمير الديوان خادم بيك [2] .

*

في هذه السنة ، شرع في بناء حضرة الامام موسى الكاظم –رض– وفوض حكومة بغداد ، إلى أمير الديوان ، خادم بيك ، وعاد هو إلى ايران .. وبعد ان استولى الشاه على الديار ، تشرف بزيارة المشاهد المقدسة لحضرات الأئمة الأطهار .. وعين لها حفاظاً ، ومؤذنين ، وخداماً . وقدم أنواع القناديل من ذهب وفضة ، والمفروشات اللائقة ، والصناديق . وأنعم بالذهب والفضة على سائر الناس [3]..

سنة ٩٤١ هـ

كان دخول السلطان (سليمان القانوني) بغداد ، يوم الاثنين ٢٤ جمادى

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٨٤ .
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٢٣٧ .
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٣٤٢ .

الأولى ، سنة ٩٤١ هـ .. ثم تجول السلطان في ٢٨ جمادى الأولى ، سنة ٩٤١ هـ في أنحاء عديدة من العراق ، قضاها في زيارة المراقد المباركة ، في الكاظمية ، وكربلاء ، والنجف [١] .

*

ثم ان السلطان زار مرقدي الامامين ؛ موسى الكاظم ، ومحمد الجواد . ورتب لخدام الحضرات وظائف من خزانة بغداد .

وكان الشاه اسماعيل بدأ بعمارة الحضرة والجامع ، فلم يتمهما ، فأصدر فرمانه بتكميلهما .

وفي هذا ، وفي (گلشن خلفا) ، ما يؤيد أن الجامع والحضرة قد بنيا ولم تتم عمارتهما [٢] . فأتم السلطان سليمان ذلك ، بل لم يتم كل ما هنالك . فان المنارة لم تكمل إلاّ في سنة ٩٧٨ هـ ايام السلطان سليم الثاني .. وكان ناظم تاريخ بناء المنارة الشاعر فضلي بن فضولي البغدادي :

وجاء في كتاب (تاريخ كاظمين) الفارسي ؛ ذكر ما جرى من تعميرات تالية ؛ منها : أن الشاه عباس الكبير ، أمر سنة ١٠٣٣ هـ بعمل ضريح من فولاذ لحفظ الصناديق من الخاتم . كما أنه حدث غرق ، ببغداد ، والكاظمية سنة ١٠٤٢ هـ ؛ فتضعضعت جدران الحضرة الكاظمية . فأمر الشاه صفي بترميم ما اختل تعميره ، واودع القيام بذلك إلى قزاق خان أمير الأمراء السابق في شيروان .

وفي سنة ١٠٤٥ هـ ، أجريت بأمره ـ أيضاً ـ بعض الاصلاحات والترميمات ، في سلم المنارة ، وبعض التعميرات في المواطن الأخرى المختلة .

وجاء فيه أيضاً ، ان الجيش العثماني ـ عندما اكتسح بغداد ـ نهب ما في

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) تمت العمارة سنة ٩٣٥ هـ .

الحضرة من قناديل فضية ومرصعة وبعض المزينات [١] .

سنة ٩٧٨ هـ

في هذه السنة تمت منارة هذا الجامع وبذلك تم بناؤه في سنة ٩٧٨ هـ . وكان في ٦ ربيع الثاني سنة ٩٢٦ [٢] قد أتم عمارة المشهد ، الشاه اسماعيل الصفوي .

ولم يتعين لنا تاريخ بناء الجامع واتمامه أيام السلطان سليمان . ولقد استمر إلى أيام السلطان سليم ، فتمت منارته أيام هذا الأخير . ينطق تاريخها بذلك بلسان الشاعر فضلي ابن الشاعر فضولي البغدادي . وما جاء في تاريخ مساجد بغداد مغلوط في التاريخ ، وفي الأعلام والألفاظ ... وجاء التاريخ (بالتركية) : اولدى « بوجانفزا مناره تمام » في بناء المنارة سنة ٩٧٨ هـ [٣] .

سنة ١٠٣٤ هـ

جاءت الأخبار ، بأن العجم خرجوا من بغداد ، وذهب اكثرهم لزيارة الامام علي ـ رض ـ وعلى هذا سير (مراد باشا ، كان والي حلب ، فمنح منصب ديار بكر برتبةالوزارة) قائداً على حملة تبلغ خمسة عشر ألفاً لتكون كمقدمة للجيش ـ إلى الحلة ـ والكاظمية ؛ ليحاصر بغداد ، وليمنع اتصال العجم بها [٤] .

سنة ١٠٤٨ هـ

قتل القزلباشية : ان الدولة أرادت ان تقطع دابر القزلباشية ؛ اذ علمت

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٣٤ – ٣٥ .
(٢) اتمام العمارة كان سنة ٩٣٥ .
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١١٤ .
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٨٤ .

أن قد جاء اكثر من ثلثمائة منهم ، من النجف إلى الكاظمية ، فأمر بقتلهم ، وذلك قبل الفتح ، وإعطاء الأمان . وكذا قتل نحو ألف ، ثم قتل نحو أربعمائة[١] .

سنة ١١٦٢ هـ

ربح سليمان باشا المعركة في الحلة ، وطوق بغداد ، حتى جاء إلى الكاظمية ، فوصل إلى الشريعة البيضاء ، وتبعد عن بغداد نحو ساعتين[٢] .

*

ان والي بغداد اتخذ سلوكاً رديئاً نحو سكان العراق — لا سيما زوار العتبات وساكنيها من القزلباشية .. واستمر في ظلمه وقسوته أكثر ؛ بحيث انه قبض على جماعة من سكان الكاظمية ، وعذبهم بالضرب بالعصي ، فأدى ذلك إلى وفاة واحد منهم . ولما جاء هذا الخبر إلى الشاه ، لم يهدأ ولا قرّ له قرار ، فأرسل أخاه محمد صادق خان الزندي ، وأحد أبناء عمه (نظر علي خان) وكانت لهم اليد الطولى في قيادة الجيش ، وحسن ادارته — ففوض إليهما أمر الاستيلاء على البصرة[٣] .

سنة ١٢٢١ هـ

ارسل الشاه سفيراً آخر يؤكد فيه لزوم توجيه ايالة الكرد الى عبد الرحمن باشا بعد عودة سليمان الفخري بنحو شهرين .

وفي الأثناء كان أحد التجار الإيرانيين متوطناً قصبة الكاظمية ، فطلب مرة مواجهة الوزير ، وأخبره أن شاه إيران يزيد على توجيه إيالة الكرد إلى عبد الرحمن باشا ، طلب مبلغ مائتين وخمسين ألف تومان ، يريدها من بغداد مع هدايا كثيرة . وان هذا السفير — إن اعيد خالياً — فسوف تضبط

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٣٤ . (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٤ . (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٥٢ — ٥٣ .

ديار الكرد قسراً ، بواسطة أمير سنه. وعبد الرحمن باشا . ولم يكتف – حينئذ – بهذا ، بل سوف يهدد بغداد ، فتكون عرضة للأخطار . وقال أخبره بذلك أحد أقاربه ؟! [١] .

سنة ١٢٢٩ ﻫ

صار عشائر الجزيرة والشامية يتعرضون بالمارة ؛ فازداد البغي والعتو من كل صوب .

ومن هؤلاء زبيد والخزاعل ، وسائر العشائر .. وكذا عشائر الجرباء ، والظفير ، والرولة . فعاثت بالقرى والقصبات المجاورة لها .. لحد ان النهب والسلب وصل إلى القصبات المجاورة ؛ مثل الكاظمية ، وحوالي الكرخ ؛ فصار الناس في خوف على نفوسهم وأموالهم [٢] .

سنة ١٢٤٧ ﻫ

قاسم باشا جاء بفيلقه إلى محل قريب من الكاظمية ، فصارت تسمع أصوات المدافع من هناك [٣] .

(محاصرة بغداد)

(سور الجانب الغربي تهدم بسبب طغيان دجلة) .. وحينئذ ، وظف عسكر عقيل مع سليمان أغا الخازن ، لمحافظة باب الكاظمية [٤] .

ان هزيمة سليمان الغنام مما بعث النشاط والأمل في البغداديين . ولذا

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٧٢ . (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٢٢ . (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٣١٣ . (٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٣١٩ .

تأهبوا للهجوم على فيلق الكاظمية ـ وكانت تحت قيادة الحاج أبي بكر ، وبسبب ما شوهد من مستنقعات اضطروا إلى العودة ، وكانوا بقيادة الملا حسين [١] .

سنة ١٢٨٦ هـ

(التشكيلات الادارية ، ايام مدحت باشا) قضاء الكاظمية (من) أقضية لواء بغداد [٢] ..

* * *

احصاء بغداد ، وفي ضمنها الكاظمية [٣] .

سنة ١٢٨٧ هـ

ترامواي الكاظمية

الكاظمية أشبه بالمحلة من محلات بغداد . لا تبعد كثيراً عن بغداد ... والناس هناك بين زائر ، وصاحب شغل ، أو مقيم . والاتصال ببغداد دائم بلا انقطاع ...

من جراء هذا ... تكونت شركة الترامواي ، فصارت تباع السهام بكثرة . وفي عشرة أيام ، او اثني عشر ، بلغت ٧٨٤ حصة ، لما حصل من تشويق واقبال ، ثم استمر بيع الأسهم .

تم الانشاء ، وللوالي (مدحت باشا) الفخر في ذلك ..

وفي نيسان سنة ١٩٤١ م ، صدر حكم بتصفية شركة ترامواي بغداد ـ الكاظمية .. كانت اسست بتشويق من الوالي ، وتأمين الحكومة ، وجعلت كل حصة ٢٥٠ قرشاً ، على أن تكون ٦٠٠٠ حصة . فيكون رأس مالها

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٣٢١ . (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٦٩ . (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٨٧ .

١,٥٠٠,٠٠٠ قرش ... كان هذا من أجل اعمال مدحت باشا ، ولذلك حصل منه الربح ، وسهّل على الزوّار فكان عملاً نافعاً .. مدّوا السكة لمسافة ٧ كيلومترات بين بغداد والكاظمية . رتبت شركة أسهم (آبونيم) . وكانت تجر بالخيول لا بالبخار أو الكهرباء . فتم انشاؤها في تلك السنة ..

وقامت هذه المؤسسة بكل ما تحويه ، بمبلغ ١٨ ألف ليرة . ولم تصرف سهامها جميعها ، وإنما صرف نحو ألف سهم منها .

بلغ ربح المشروع في السنة ١٨٪ أو ٢٠٪ فصرف بعضه لأرباب الحصص ، والبعض الآخر ، جعل تسديداً للدين ، في نهاية كل سنة . فبلغت شركة الترامواي خمسة آلاف حصة [١] .

سنة ١٢٩٩ هـ

ابو الفضل ميرزا ، من أبناء الملوك في إيران . اختار الكاظمية محل إقامة له . وذهب في هذه السنة إلى الحجّ [٢] .

سنة ١٣٠٩ هـ

وصل الحاج حسن رفيق باشا ؛ والي بغداد ، يوم الاثنين ١٩ المحرم سنة ١٣٠٩ هـ . وكان وكيل الوالي نصرت باشا المشير المرافق السلطاني .. و .. أتم الزيارة في الكاظمية [٣] .

سنة ١٣١٧ هـ

وضع الحجر الأساسي لبناء سراي الكاظمية ، وأجريت المراسم ، يوم السبت ٢٤ رجب سنة ١٣١٨ هـ ، حضرة الوالي نامق باشا ، والمشير أحمد فيضي باشا ، وحاكم الشرع كمال الدين بك [٤] .

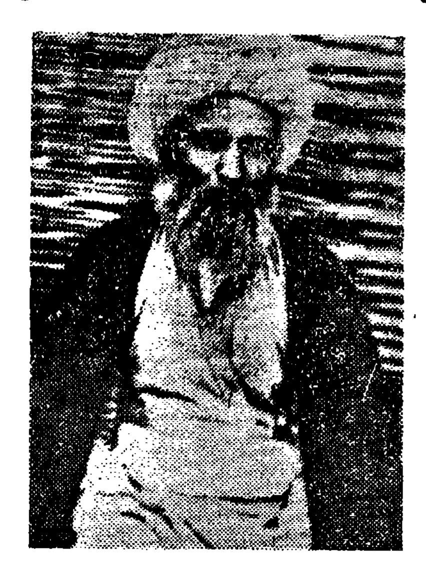
---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٢٤٠ – ٢٤١ . (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٦٥ . (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١١٥ .

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٣٦ .

سنة ١٣٢٨ هـ

أخذ الوالي حسين (ناظم باشا) فتاوى من علماء الشيعة لمنع الغزو وهو عادة جاهلية فأفتوا بأنه يجب منع العشائر من هذه الأعمال ؛ بالنصائح والوعظ ، فان أبوا – فحينئذ – يركن إلى التهديد والتخويف . وإلاّ جاز التنكيل بهم . ومن بين هؤلاء العلماء :



الزعيم الروحاني الكبير الشيخ
ملا كاظم الخراساني (الاخوند)

الشيخ كاظم الخراساني ؛ من النجف .

والشيخ عبد الله المازندراني ، من النجف .

والسيد محمد القزويني ؛ من الحلة .

والشيخ محمد حسين ؛ من كربلاء .

والشيخ محمد باقر ؛ من كربلاء .

والسيد اسماعيل الصدر ؛ من الكاظمية .

فكان لهذه الفتاوى أثرها ... [١] .

*

ومن أعمال الوالي ناظم باشا ... كان يأمل أن يقوم .. بتشغيل ترامواي الكاظمية – بغداد بالكهرباء [٢] .

سنة ١٣٣٤ هـ

وصل إلى بغداد ، وكيل رئيس القيادة العامة وناظر الحربية ؛ أنور باشا بقطار خاص ، في ١٧ رجب سنة ١٣٣٤ هـ . وفي ١٨ مايس سنة ١٩١٦ ، فأجريت له المراسم .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٩٩–٢٠٠ . (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٢٠ .

وصلى الجمعة في حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وأهدى لجامعه مصحفاً غلافه ذهب مرصع بالجواهر والدرة اليتيمة .. للأعظمية والكاظمية ، وقدم لكل منهما مصحفاً بعد أن زارهما [١] .

سنة ١٣٣٥ ﻫ

ان الحكومة سحبت عاكف بك (قائمقام الخيالة ، بعد حادثة الحلـة ١٧ المحرم سنة ١٣٣٥ ﻫ) وبعثت عبد المجيد بك القائمقام . وهذا طيّب خاطر الأهلين ... فكان .. خير مرهم لتسكين الحالة . وكان في شعبة التجنيد ، وادارة المستشفى في الكاظمية [٢] .

الامام الثائر [٣]

في سنة ١٣٣٢ ﻫ داهمت الجيوش الانكليزية العراق من جهة البصرة ، فاستغاثوا بالزعيم الديني الكبير السيد مهدي الحيدري كما استغاثوا بغيره من العلماء الاعلام ، وابرقوا لهم من مختلف الاطراف يطلبون منهم ان ينهضوا بالأمر ، ويعلنوا الجهاد والنفير العام ، وهذا نص احدى البرقيات التي ارسلها الى الكاظمية رؤساء البصرة وزعماؤها :

« ثغر البصرة ، الكفار محيطون به ، الجميع تحت السلاح ، نخشى على باقي بلاد الاسلام ، ساعدونا بالعشائر بالدفاع » .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٢٩٣ .(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج٨ ص ٣٠١.

(٣) ملخص عن كتاب (الامام الثائر السيد مهدي الحيدري) تأليف السيد أحمد الحسيني ، وقد اعتمد كتابة فصله هذا على عدة مصادر أهمها مقال مسهب للشيخ محمد حسن آل ياسين نشره في الجزء الثالث من السنة الأولى في مجلة الاقلام سنة ١٩٦٤ و (معارف الرجال) للشيخ محمد حرز الدين و (اعيان الشيعة) للسيد محسن الأمين ، وديوان (ابي المحاسن) في تعليق الشيخ محمد علي اليعقوبي ، و (الثورة العراقية الكبرى) للدكتور عبد الله فياض .

(الامام الثائر) ص ٢٩ — ٥٩ مطبعة الآداب في النجف الأشرف .

الخليلي

فاستجاب العلماء ، وفي طليعتهم السيد مهدي الحيدري ، واصدر فتواه بوجوب الدفاع ، ومحاربة الغزاة المعتدين ، . دعا الى الاجتماع العام في الصحن الكاظمي الشريف عدة مرات فكان الصحن يزدحم على رحبه بالناس ، فيرقى المنبر بنفسه ويدعوهم إلى الجهاد ، ويخبرهم بأنه خارج بنفسه واولاده وجماعة من اسرته ، واصحابه الى محاربة الانكليز ، وابرق بعد ذلك الى علماء النجف وكربلا وسامراء يخبرهم بعزمه ، وجاء من علماء النجف الى الكاظمية قبل حركته الى ميدان الحرب حجج الاسلام : شيخ الشريعة الاصفهاني ، والسيد مصطفى الكاشاني ، والسيد علي الداماد ، وغيرهم من العلماء ، وجرت في الكاظمية مفاوضات حول الخطط والتصاميم ثم تواردت على الكاظمية وفود العلماء الزاحفين نحو المعركة من النجف الأشرف وكربلاء ، وكانت البلدة — الكاظمين — تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب والتكريم ، وتودعه بمثل ذلك .


الامام السيد مهدي السيد حيدر

اما الامام الميرزا محمد تقي الشيرازي فانه لما بلغته — وهو في سامراء — فتوى السيد مهدي الحيدري وعزمه على الجهاد بنفسه ارسل معه ولده الأكبر المجاهد الميرزا محمد رضا على سبيل التأييد وابرق الى جميع انحاء العراق يبلغهم وجوب التضامن مع العلماء الاعلام ، وكان الامام السيد كاظم اليزدي قد ارسل ولده الأكبر السيد محمد ، واما المجاهد الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي وجماعة من علماء النجف فقد توجهوا من النجف الى ساحات

القتال ومعهم عدد غفير من المجاهدين [1].

وفي عصر يوم الثلاثاء – الثاني عشر من محرم الحرام سنة ١٣٣٣ هـ تحرك السيد مهدي الحيدري من الكاظمين وتحرك الامام الشيخ مهدي الخالصي [2] وجموع غفيرة من الرؤساء والزعماء وفي طليعتهم الشيخ عبد الحميد الكليدار وخرجت البلدة بأسرها لتشييع ركب الجهاد الزاحف.

وقد امر العلماء ان يسير الناس جميعاً إلى بغداد في ركاب السيد مهدي الحيدري وتحت لوائه وكانت الهتافات الشعبية تتعالى من الجماهير التي احتشدت في كل مكان فمرة تردد بلغتها الدارجة:

سيد مهدي ركن الدين
نمشي للجهاد اوياه
واندوس العده بحذاه

واخرى تهتف:

حجة الاسلام طالع للجهاد
محصّن بموسى بن جعفر والجواد

بهذا الشكل من الأبهة والجلالة وصل الموكب الكبير بمجاهديه ومودعيه الى ساحل النهر في بغداد حيث اعدت لهم هناك السفن والمراكب

---

(١) وشهرة السيد محمد سعيد الحبوبي لم تقتصر على علمه وادبه وشعره، الذي غنت به الركبان على حد الوصف المألوف وانما كان لانشغاله في السياسة حظ كبير ابتدأ بابتداء المشروطة وبغزو ايطاليا ليبيا الذي قام باستصدار فتوى واسعة من جميع العلماء بوجوب مساندة العثمانيين ثم شهرته في حرب الانكليز الذي قام الحبوبي بقسط جد وافر في تأليب المحاربين في الجهاد في الشعيبة.
الخليلي

(٢) ولم يكن هذا هو مبدأ اشتغال الامام الخالصي بالسياسة فالمعروف انه كان ممن اسهم في حركة المشروطة ودعم قيام الدستور والحياة البرلمانية في ايران، وفي اسطنبول، فهو من العلماء القليلين الذين جمعوا بين حنكة رجال السياسة وأئمة الفقه، اما موقفه من الثورة العراقية الكبرى فستأتي الاشارة اليه فيما يأتي من بحث، كما سيأتي ذكره بالتفصيل في الاجزاء الأخرى من قسم الكاظمين.
الخليلي

ثم سارت بهم متجهة نحو (العمارة) .

وكانت الحرب قائمة في ذلك الوقت في القرنة وهي القلب ، فقصد السيد مهدي بجموعه الغفيرة من المجاهدين المسلحين ساحة الحرب ، وفي أثناء الطريق صادف اندحار الجيش العثماني وانسحابه بعد سقوط (القرنة) بيد الانكليز وطلب من السيد مهدي ان يرجع بجموعه الى العمارة ولكن السيد مهدي أبى وأمر المجاهدين بالاستعداد للهجوم وقد رابط بجموعه في منطقة (القرنة) وهي القلب ، اما الجناح الأيمن وهو (الشعيبة) فقد رابط فيها المجاهدان الكبيران السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر [1] واما الجناح الأيسر وكان (الحويزه) فقد كان يرابط فيه الامام الشيخ مهدي الخالصي ومعه ولده الكبير الشيخ محمد الخالصي ، [2] والشيخ جعفر الشيخ راضي ، والسيد محمد اليزدي .



المجاهد الكبير الامام السيد محمد سعيد الحبوبي

وتقدمت صفوف (القلب) ونزلت تحت قيادة السيد مهدي موضعاً يسمى (حريبة) وهي ارض وعرة وكانت على مقربة من الجيش الانكليزي ،

---

(١) وكان الشيخ باقر حيدر يجمع بين الرئاستين الروحية والقبلية ولم يتحرك العلماء الى الجهاد بل لم يفتوا بوجوب الدفاع الا بعد اخذ المشورة منه لمكانته في سوق الشيوخ وزعامته لقبيلة (اجود) .
الخليلي

(٢) ويعتبر الشيخ محمد الخالصي الحركة الدائبة الفعالة في المواقف التي وقفها ابوه الامام الخالصي في القضايا السياسية التي مرت بالعراق ولجرأته قصص هي مبعث الاعتزاز والفخر كان آخرها الموقف الذي وقفه في المد الشيوعي في العراق والشيوعية في اوج مقدرتها فلم يستطع ان يحرك ساكناً غيره ، وهو اول من وقف في وجه التيار دون مبالاة وحذر . الخليلي

وعند الصباح التقى الجيشان جيش المجاهدين والجيش الانكليزي الذي كانت تخوض سفنه نهر دجلة مصعدة وكان جيشه يقطع زاحفاً تلك الأرض الوعرة تسنده المدافع والمعدات الحربية فاحتدم القتال في ذلك اليوم من قبل طلوع الشمس إلى ما بعد زوالها وكان السيد مهدي ينفخ من روحه الحماس في نفوس المجاهدين ويثير نخوتهم وكان يتقلد سيفه ، ويحمل قرآنه ، ويحض المجاهدين على الصمود في وجه العدو الزاحف ، واتخذوا من نهر قديم كان يقطع الطريق حصناً يهاجمون منه العدو وهو على مقربة منهم والجيش العثماني في المؤخرة بعيد عن المجاهدين قليلاً ، ثم يلوذون بالنهر مدافعين حتى تم لهم ان يهزموا الجيش الانكليزي ويضطروه الى الانسحاب بعد ان تكبد خسائر جسيمة في الأرواح والسلاح والمعدات ، وتحطمت له باخرة حربية ، وقتل من جنوده ما يناهز الالف او الالفين على اختلاف الروايتين ، وجرح منهم اكثر من ذلك ، اما من قتل من جيش المسلمين فلم يتجاوز عددهم الأربعة عشر قتيلاً ، واما الجرحى فلم يبلغوا الخمسين [1] .

وتعرف هذه الواقعة بواقعة يوم الاربعاء لانها صادفت يوم الاربعاء ٥ ربيع الاول ١٣٣٣ وتعرف ايضاً بمحاربة (الروطة) لانها كانت قريبة من نهر هناك يسمى (نهر الروطة) .

يقول الدكتور عبدالله فياض في كتابه (الثورة العراقية الكبرى) « وقد نجح المجاهدون الذين كان يقودهم - اي الامام السيد مهدي الحيدري - في دحر الجيش البريطاني في معركة الروطة في ٥ ربيع الأول ١٣٣٣ هـ » [2] .

* * * *

لم يلبث السيد مهدي بعد رجوعه من ساحة الجهاد قليلاً حتى ثارت فتنة عمياء بين الحكومة العثمانية وبين مشايخ كربلا كادت ان تهلك البلاد والعباد

---

(١) كتاب الامام الثائر ص ٤١ . الخليلي

(٢) الثورة العراقية الكبرى ص ١١٢ . الخليلي

وسبب هذه الفتنة امران : احدهما : ضغط الحكومة على الاهلين وتعسفها في الحكم ، وثانيهما : محاولة بعض زعماء كربلاء التمرد على السلطة الحاكمة ، وقد ارسل خليل باشا قوة كبيرة واسلحة كثيرة وامر القوة بمهاجمة المدينة المقدسة ، فاستغاث اهل كربلا بالامام السيد مهدي فاضطلع السيد مهدي بتلك المهمة وارسل الى القائد العام جماعة من الوجوه وفي مقدمتهم كليدار الكاظمية الشيخ عبد الحميد ، ونظام السد

وفي تلك الآونة ورد إلى زيارة السيد ناظر الحربية العام (انور باشا) وقدم له التعظيم والتبجيل والاحترام وفاوضه السيد حول اطفاء الفتنة في كربلاء بالطرق السلمية دون اللجوء إلى القوة والعنف فأجابه انور باشا الى ذلك واستقر الرأي على ان المشكلة لا يمكن حلها الا اذا تصدى السيد بنفسه ، فتوجه السيد من الكاظمية الى كربلاء بعد ان صحب معه اولاده وجماعة من العلماء والزعماء والوجوه كالشيخ عبد الكريم الجزائري ، والميرزا محمد رضا الشيرازي والشيخ عبد الحميد الكليدار وغيرهم ومن الحكومة عبد الحليم بك مدير الشعبة العربية وموظف آخر ، ودخل كربلاء صبيحة اليوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٣٤ وهو يوم المبعث النبوي الشريف [1] .

* * *

وكم للسيد احمد الحيدري من المواقف الدالة على صلابته في الحق وخشونته في ذات الله منها موقفه مع جماعة من العلماء في حماية مرقد الشريف المرتضى حتى اضطرت الحكومة القائمة الى الرضوخ والتسليم وترك القبر الشريف على مكانه المعلوم دون اي تبديل او تغيير .

ومنها موقفه القوي في منع رجال السلطة من التصرف غير المشروع بمسجد (باب الدروازه) في الكاظمية الذي لا يزال قائماً [2] .

---

(١) ملخص عن الامام الثائر ص ٥٩ — ٦٩ . الخليلي

(٢) ملخص من الامام الثائر ص ١٣٧ . الخليلي

الحقائق الناصعة
في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

(كتب اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا ، في اليوم الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ « وعد بلفور » ، إلى اللورد روتشيلد زعيم القضية الصهيونية)
.. ولم يقف العراقيون بجهودهم لخدمة العراق والوقوف امام البريطانيين وسياستهم فحسب ، بل راحوا يعملون لخدمة البلاد العربية أجمع ، والعرب كافة ، لتخليصهم من الاستعمار .. وكان علماء الدين في النجف الأشرف ، والكاظمية ، وكربلاء ، وزعماء عشائر الفرات الأوسط هم الذين يحملون هذا الروح القومي العام [١] .

* * * *

على أثر بيان اذاعة المسيو بيشون ؛ وزير خارجية فرنسا ، في مجلس النواب الفرنسي . لم يسع رجال الدين ، وزعماء العشائر ، إلاّ ان يجتمعوا ، في دار آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي — قدس الله سره — في الكاظمية . وقرروا الاحتجاج على بيان الوزير . فنظموا احتجاجاً رفعوه إلى حكومة فرنسا ، وبقية الحكومات للدول العظمى ، ووقعوا عليه ، وهذا هو الاحتجاج :

« ان الخطاب الذي ألقاه مؤخراً مسيو بيشون ناظر خارجية فرنسا ، في مجلس النواب الفرنسوي ، والذي أظهر فيه أن للأمة الفرنسوية حقوقاً في سوريا ولبنان وفلسطين نشأت عن التقاليد التاريخية . وان هذه الحقوق قائمة — أيضاً — على آمال ، ورغائب السكان ، الذين هم زبائن فرنسا — منذ زمن طويل — وان المعاهدات السابقة التي وردت بها هذه الحقوق ، وما زالت كما كانت عليه . وان يكون لمؤتمر السلم القول الفصل .

فنحن — العراقيين — بصفتنا عرباً ، ويهمنا ما يهم سوريا ولبنان وفلسطين ؛ لا نعتقد بأن لأمة من الأمم — في بلادنا العربية — حقوقاً قديمة ولا حديثة

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ٥٥ .

ولم تكن الصلات التجارية المؤسسة على حرية التجارة بين الشعوب وفقاً لقوانين حقوق الدول – سبباً يكسب البلاد المتاجرة حق الأرجحية في البلاد على أهلها ، والتصرف بحريتهم الوطنية . واستقلالهم الذاتي . ولما كانت كل تصريحات رجال الدول العظمى – ونخص منهم بالذكر رئيس الولايات المتحدة المشهور – تفيد أن غاية الحرب الكبرى هي تحرير الشعوب ، ونسخ كل سياسة دولية يقصد منها تقييد حريّة الأمم ، واتخاذ شكل لها يخالف ارادتها ؛ فنحن – كأمة قامت تطالب باستقلالها ، وتهرق دماء ابنائها ، وتضحي زهرة شبانها على مجازر الظلم في سبيل استقلالها ، وقامت تنتصر للحلفاء ايام كانت الحرب غير باسمة لهم – وعلى الخصوص في الساحات الشرقية – نأبى كل معاهدة عقدت بشأننا من هذا القبيل بين دولة نعتقد أننا محونا بدماء أبنائنا كل معاهدة ، او اتفاق ، أو مفاوضة ، جرت بدون معرفتنا .

هذا ؛ وليست الأمة العربية أقل مجداً تاريخياً ، أو حضارة زاهرة ، أو جدارة بالاستقلال ؛ من الأمم اليونانية ، والسربية ، والبلقانية ، والرومانية ، والجبلية ، وغيرها من الدول ؛ التي أجمع الحلفاء – في أشد أزمات السياسة الدولية – على اجابة مطاليبها الاستقلالية . ولم تبذل تلك الدول أكثر مما بذلنا ولا كانت – عند استقلالها – أعظم رقياً منا .

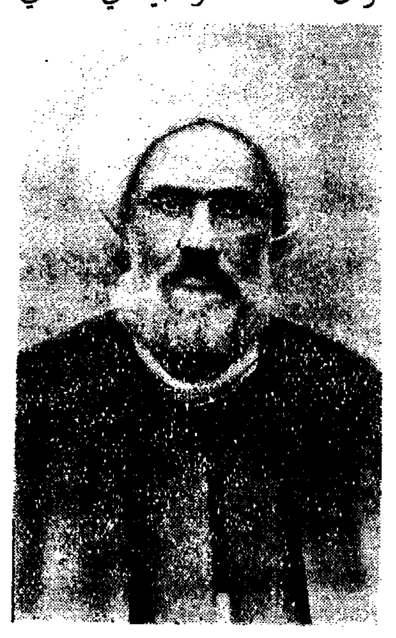
فنحن – بناء على ما أوردناه من الحقائق المعروفة بالبداهة لدى مقامكم المعظم ، واستناداً على بيانات ، ووعود رجال الدول العظمى العلنية ، التي اتخذناها ، واتخذها العالم بأجمعه سنداً – نحتج على البيانات التي أوردها ناظر خارجية فرنسا المحترم ، ونطلب باسم الحرية والانسانية ؛ اللتين دعتاكم لتحرير اليونان ؛ اعترافاً بحضارتها القديمة ، ومجدها الغابر ، ان تعضدونا في هذا الأمر الحيوي؛ لأن تاريخنا من الحضارة ، والعظمة ، والمجد ؛ ما يدعوكم لنجدتنا ومعاضدتنا ؛ في طلب حقوقنا الطبيعية ؛ التي يرمز اليها اليها علمنا العربي الذي نستظل بظله الآن فرحين ، وبالختام اقبلوا فائق

احترامانا [١] » .

* * *

في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ ؛ اجتمع علماء وأشراف ووجوه مدينة الكاظمية ، ووقعوا على المضبطة التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : بناء على الحرية التي منحتنا إياها الدولتان المفخمتان بريطانيا وفرنسا ، وحيث اننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة ؛ فإننا نطلب أن تكون للعراق ـ الممتدة أراضيه في شمالي الموصل إلى الخليج ـ حكومة عربية إسلامية ، يرأسها ملك عربي مسلم ؛ هو أحد أنجال جلالة الملك حسين ؛ على ان يكون مقيداً بمجلس تشريعي وطني . والله ولي التوفيق » .



الامام الشيخ مهدي الخالصي

وقد وشح العريضة بتوقيعه آية الله الشيخ مهدي الخالصي ـ رضوان الله عليه ـ كما وقع في صدرها من رجالات الدين :

آية الله السيد حسن الصدر ، والعلامة السيد محمد مهدي الصدر ، والعلامة الشيخ ابراهيم السلماسي ، والعلامة السيد (مهدي) بن السيد احمد آل السيد حيدر ، والعلامة الشيخ عبد الحسين آل ياسين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ [٢] .

* * *

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ٥٦ ـ ٥٧ . (٢) الحقائق الناصعة ج ١ ص ٧٠ ـ ٧١ .

بعد أن اسندت رآسة الثورة الروحية الى الامام آية الله (ميرزا محمد تقي الشيرازي) أسس مجلساً من كبار العلماء العاملين للمشورة، فكانوا — والحق يقال — ساعده الأيمن، ولسانه الذرب، وعونه في الشدائد والصعاب، وهم:

الشيخ مهدي الخالصي،
والسيد ابو القاسم الكاشاني،
والسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني،
ومرزا أحمد الخراساني،
والشيخ محمد رضا الشيرازي[١].

*

بعد ان وثق آية الله الشيرازي بصدق عزائم القوم، وحرصهم الشديد على القضية، أصدر كتاباً إلى جميع الجهات؛ طالباً من كل جهة ان تنتخب ممثلين عنها، يذهبون إلى بغداد؛ لمواجهة الحاكم العام، ومطالبته بتحقيق آمال الشعب ورغباته بتأسيس حكومة وطنية، وبرفع الظلم والحيف، عن الأمة العراقية المضطهدة، وها هو ذا نص كتاب سماحته:

«إلى إخواننا العراقيين؛ السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته: (أما بعد) فإن اخوانكم المسلمين، في بغداد، والكاظمية، والنجف، وكربلاء، وغيرها من أنحاء العراق؛ قد اتفقوا فيما بينهم بمظاهرات سلمية. وقد قام جماعة كثيرة بتلك المظاهرات — مع المحافظة على الأمنية — بوجه واحد، طالبين حقوقهم المشروعة، المنتجة لاستقلال العراق — ان شاء الله تعالى — بحكومة إسلامية. ولقد بلغتنا احساساتكم الاسلامية، وتنبهاتكم الوطنية.

والواجب عليكم، بل على جميع المسلمين، الاتفاق مع اخوانهم بهذا

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ٩٥.

القصد الشريف . وان يرسل كل قطر وناحية بمقصده ، إلى عاصمة العراق بغداد ، للطلب بحقه ، مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق — عن قريب — إلى بغداد .

وإياكم ، والإخلال بالأمن ، والتخالف ، والتشاجر ؛ بعضكم مع بعض ؛ فان ذلك مضر بمقاصدكم الاسلامية ، ومضيع لحقوقكم ، التي صار — الآن — أوان حصولها بأيديكم .

وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل — التي في بلادكم — في نفوسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، ولا تنالوا واحداً منهم بسوء .

وفقكم الله جميعاً لمراضيه ، والسلام عليكم جميعاً ، ورحمة الله وبركاته .

الأحقر — محمد تقي الحائري الشيرازي

ولم تصل صور هذا الكتاب ، إلى جميع المدن ، بجميع النواحي ، ويقع بين أيدي الزعماء ، والرؤساء ، والوجوه ، والأعيان ، وسائر طبقات الناس ؛ حتى فعل فعله المطلوب ، وأثار القلوب بحماس إلى تلبية نداء المجتهد الأكبر ، فانتخب سكان كل بلدة جماعة يمثلونهم ، ووقعوا على مضابط التوكيل حسب الاصول[١] .

* * *

ألقى أحد الشبان (في الحفلة التي أقيمت في جامع الحيدر خانه في بغداد ، ليلة ٦ رمضان ١٣٣٨ هـ — ٢٤ أيار ١٩٢٠) قبضت السلطة ، من أجل ذلك عليه ، يوم ٧ رمضان .. فاغتنم البغداديون هذه الفرصة ، واعتبروا نفي هذا الشاب أول تعدٍّ من السلطة البريطانية على البلاد ، فأقفلت المخازن والحوانيت احتجاجاً على هذا العمل .. واقيمت مظاهرة كبرى في بغداد ، اشتركت فيها جماهير غفيرة من الكاظميين .

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ .

وبعد ان سارت المظاهرة في الشارع دخل المتظاهرون جامع الحيدر خانه ، وألقى احدهم خطاباً وطنياً حماسياً ، طلب في آخره ان ينتخبوا خمسة عشر شخصاً ليمثلوهم ، ويظهروا شعورهم في عرض مطاليبهم على السلطة البريطانية ، اجابة لفتوى الامام الشيرازي ، واسوة باخوانهم الفراتيين .

وعلى اثر انتهاء الخطيب .. انتخب الحاضرون .. : محمد جعفر او التمن ، السيد ابو القاسم الكاشاني ، الشيخ أحمد الظاهر ، السيد محمد الصدر ، السيد عبد الكريم السيد حيدر ، يوسف السويدي ، فؤاد الدفتري ، عبد الوهاب النائب ، سعيد النقشبندي ، السيد محمد مصطفى الخليل ، رفعت الجادرجي ، علي البزركان ، احمد الشيخ داود ، عبد الرحمن الحيدري ، ياسين الخضيري [١] .

* * *

اجتمع المندوبون .. وتذاكروا بالأمر .. فقرروا ارسال عريضة إلى الحاكم الملكي العام ، يطلبون فيها تعيين وقت للاجتماع به ، وبعد ان رفعت العريضة عيّن لهم يوم ١٤ رمضان ، الموافق ٢٠ تموز موعداً لعقد هذا الاجتماع ، بعد ان دعا عشرين رجلاً من وجوه بغداد والكاظمية ليحضروا الاجتماع ايضاً ، وهم : السيد جعفر عطيفة ، عبد الحسين الجلبي ، محمود الاطرقجي ، محمود الاسترابادي ، عبد الكريم الجلبي ... وفي اليوم المقرر .. في الساعة العاشرة زوالية .. اجتمع المندوبون والمدعوون في دائرة الحاكم الملكي العام .. واقفلت المخازن والحوانيت في بغداد والكاظمية ، ووقف الناس صفوفاً امام دار الحاكم الملكي العام [٢] .

* * *

وبعد أن القي خطاب الحاكم العام — الذي كان .. وعوداً ووعيداً — قام السيد محمد .. الصدر ... وقال معقباً على الخطاب :

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٢١ — ١٢٢ . (٢) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٢٣ — ١٢٤ .

« ان الحركة القائمة – الآن – في البلاد ، هي حركة سلمية ، لا يقصد منها اثارة القلاقل ، وجل مطلبنا ؛ هو تأليف حكومة وطنية ، تؤلف على حسب تصريحات الحلفاء ، وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا ، في تصريحهما الذي أذاعتاه في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ ، وعملاً بمقررات مؤتمر سان ريمو . وقـد انتدبتنا الأمة للمفاوضة معكم بهذا الأمر . وهي تنتظر بفارغ الصبر تحقيق ذلك ، وطلب الاسراع في تنفيذ هذه القرارات ؛ لتطمئن قلوب الأمة . أما طلبنا – اليوم – فهو عقد مؤتمر وطني – يمثل الأمة ؛ ينتخب اعضاؤه من كافة أهالي البلاد العراقية ؛ وفقاً لأصول تأليف الحكومة . فيقتضي أن تمنح الحرية في المخابرات ، بين سائر أنحاء هذا القطر ، وتطلق الحرية للصحافة . وان الذي أوردته شفهياً قد تقرر بين أعضاء الوفد ، وكتب ووقع عليه الجميع .

وهنا قام يوسف السويدي ، وسلم المضبطة (مذكرة مندوبي الكاظمية وبغداد [1]) . وهذا هو نص المذكرة :

« إلى سعادة الحاكم الملكي العام المحترم :

تعلمون ان الشعب قد انتدبنا بمظاهرته ، التي أقامها ليلة ٧ رمضان ، الموافق ٢٦ مايو ؛ للنيابة عنه في مطالبة السلطة المحتلة ، ومفاوضة رجالها بشأن تنفيذ ثلاثة مطاليب جوهرية ، يرى جمهور الشعب ، ومعظم قادة آرائه – اليوم – ضرورة تطبيقها ، وتنفيذها حالاً ، وهي :

اولاً – الاسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ، ليعين مصيرها ؛ فيقرر شكل إدارتها في الداخل ، ونوع علاقتها بالخارج .

ثانياً – منح الحرية للمطبوعات ؛ ليتمكن الشعب من الافصاح عن رغائبه وافكاره .

ثالثاً – رفع الحواجز الموضوعة ، في طريق البريد والبرق ، بين انحاء

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٢٨ – ١٢٩ .

القطر أولاً . وبينه وبين الاقطار المجاورة له والممالك الأخرى ثانياً ؛ ليتمكن الناس هنا من التفاهم مع بعضهم ، ومن الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم . فبصفتنا نواباً عن أهالي بغداد والكاظمية ، نطلب إليكم ان تصادقوا حالاً على تنفيذ هذه المطالب . المذكورة ، ولا يغرب عن بال سعادتكم ما في قبول هذه المطالب ، واحلالها محل الاجراء والتنفيذ ، من صيانة الأمن ، وحفظ النظام والسلام العام .

وإننا نتهز هذه الفرصة ، فنقدم إلى سعادتكم فائق الإحترام والاكبار » ...

وبعد ان تسلم الحاكم الملكي العام المذكرة .. نشر في يوم ٤ شوال ١٣٣٨–٢١ حزيران ١٩٢٠ : ... ان حكومة جلالة ملك بريطانيا قد قررت .. تكليف السير برسي كوكس بتنفيذ هذه المهمة .. في موسم الخريف .. [١]

بعد ان رأى مندوبو بغداد والكاظمية ان تأجيل المؤتمر إلى الخريف حتى يعود السير برسي كوكس ما هو إلا تخدير للأعصاب وملهاة للرأي العام .. قرروا ان يكتبوا كتاباً إلى حاكم بغداد السياسي والعسكري ، يردون به على فكرة التأجيل . وفعلاً كتبوه ووقعوه وقدموه .. وعلى ذلك ابتكرت سلطة الاحتلال فكرة جديدة .. فعمدت على تأليف جمعية الشورى ، ومركزها في بغداد ، وذلك قبل تأسيس المؤتمر .. فكتب حاكم بغداد السياسي إلى جماعة من سكان الكاظمية وبغداد يعلمهم بذلك [٢] .

وقد ارسل الحاكم الملكي العام جدولاً بأسماء أعضاء المجلس على ان يكون حاكم بغداد العسكري رئيساً ، ومعاونه نائباً .

عارض سكان بغداد والكاظمية هذا التعيين الذي ساءهم . وقطع فيهم كل أمل بوفاء السلطة البريطانية بعهودها لتأليف حكومة وطنية . الأمر الذي أدى بتصلب الوطنيين الشديد . وعندما ضاقت السلطة المحتلة ذرعاً ..

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٣١ – ١٣٢ . (٢) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٣٣ – ١٣٤ .

استعانت بسياسة القوة والشدة ، فأمرت بإلقاء القبض على أربعة من مندوبي بغداد والكاظمية .. وفي فجر يوم ٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨=١٣ آب ١٩٢٠ هاجمت الشرطة دور المذكورين ..تمكن السويدي أن يهرب الى الكاظمية ، حيث اعتصم هناك في دار المرحوم السيد حسن الصدر..[١] .

* * *

ان حركات بغداد كانت تسير وراء قيادة فراتية ، وان اول حركة من هذه الحركات قد ولدت في الكاظمية من قبل آية الله السيد ابي القاسم الكاشاني لقد عمل الكاشاني في مدينة الكاظمية من وقت بعيد ، قبل ان تصبغ بغداد بلون الثورة ـ ضد السلطة البريطانية المحتلة .

فقد كان يطبع المنشورات في الكاظمية ، وتوزع سرياً بتوقيع « الجمعية الاسلامية العربية » فأقض مضجع السلطة العسكرية المحتلة . فبثت العيون والجواسيس لمعرفة اعضاء الجمعية ، فعاد كل هؤلاء بخفي حنين ، لا يعرفون عن الجمعية الا التواقيع التي كانت تحملها المنشورات ، وهي ؛ الرئيس : السيد ابو القاسم الكاشاني . السكرتير : الشيخ جواد الزنجاني[٢] .

*

قر رأي (رؤساء المواكب الحسينية ، وهم عادة يكونون رؤساء المحلات ومتنفذي الكلمة) ان يرجو (آية الله الشيخ مهدي الخالصي) ليعود إلى الكاظمية (من كربلاء) فيقود حركة الثورة في بغداد فأرسلوا إليه الكتاب التالي :

« ٢ صفر ١٣٣٨

شيخنا ومولانا ، حضرة حجة الاسلام الشيخ مهدي الخالصي دامت بركاته :

بعد اهداء التحيات الفائقة ، وتقديم الاحترامات اللائقة ، والسؤال

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٣٥ . (٢) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٣٩ — ١٤٠ .

عن تلك الذات الشريفة . نصدع حضرتكم بأن طال الفراق ، واشتعل لهيب الأشواق . وغير خفي على سعادتكم ان تمام أنسنا إليكم ، ودفع الاحزان والاشجان بزيارتكم .

والناس – ايضاً – مشتاقون إلى قدوم حضرتكم خصوصاً رؤساء الأنصار [١] ؛ ليكمل الشعار المنوط بوجودكم الشريف ، فالمأمول من الطافكم القدوم إلى الكاظمية ، لتأييد هذه الهيئة المحترمة ، الباذلة أنفسهم لاقامة شعائر الدين .

ومن المعلوم من سماحتكم واخلاقكم الحميدة ، الاجابة . والسلام عليكم وعلى أعتاب حضرة آية الله روحي فداه [٢] ورحمة الله وبركاته » .

الفقير إلى الله – السيد ابو القاسم الكاشاني

خادم زوار الحسين ، علي الحاج محمد .
خادم زوار الحسين ، ياس .
خادم زوار الحسين ، السيد جابر .
خادم زوار الحسين ، عبد الباقي .
خادم زوار الحسين ، أمين كنعان .
خادم زوار الحسين ، الحاج مجيد گصيّد [٣] .

*

(كتب محمد جعفر ابو التمن إلى ميرزا محمد تقي الشيرازي ، في ٧ رمضان سنة ١٣٣٨) وقد تفضل .. الشيرازي .. فأجاب عن هذه الرسالة .. :

« .. بعد السلام عليكم : لا يخفاك ؛ وصلنا كتابك المشتمل على بيان الحركة الاسلامية ، في بغداد... فسرنا اتحاد كلمة الأمة البغدادية ، واندفاع علمائها ، ووجوهها ، وأعيانها ؛ إلى المطالبة بحقوق الأمة المشروعة ، ومقاصدها

---

(١) الأنصار – مواكب العزاء الحسينية ، التي تعودت زيارة كربلاء ، يوم الأربعين ٢٠ صفر .
(٢) المقصود بآيةالله هو– ميرزا محمدتقي الشيرازي. (٣) الحقائق الناصعة ج١ ص ١٤٢–١٤٣.

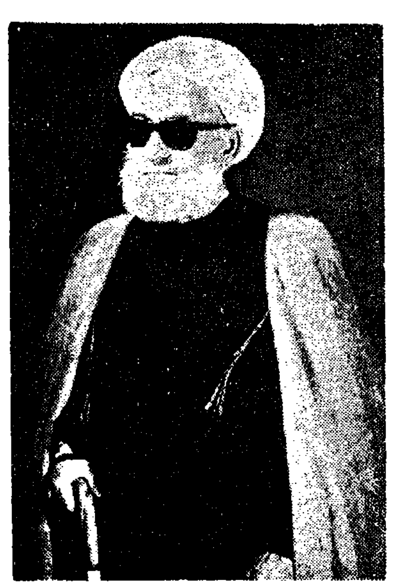
المقدسة ... واننا نوصيكم ؛ ان تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف ، والشرع الشريف ، فتظهروا أنفسكم دائماً بمظهر الأمة المتينة الجديرة بالاستقلال التام المنزه عن الوصاية الذميمة . وأن تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين ، الداخلين في ذمة الاسلام ، وان تستمروا على رعاية الأجانب الغرباء ، وتصونوا نفوسهم ، وأموالهم ، واعراضهم ؛ محترمين كرامة شعائرهم الدينية ؛ كما أوصانا بذلك نبينا الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ والسلام عليكم ، وعلى العلماء ، والأشراف ، والأعيان .. »

وعندما وصل هذا الكتاب إلى ابي التمن ، اتصل مع زعماء الكاظمية ، واخبرهم أن يدعوا الناس إلى اجتماع في الصحن الكاظمي الشريف ... وفي اليوم المحدد ، تواردت من بغداد عشرات الالوف الى الكاظمية ؛ يتقدمهم رجال الدين والوجوه . بعد ان اغلقت الحوانيت ، وخانات التجارة . وكذلك الكاظميون اجتمعوا في الصحن عن بكرة أبيهم . فضاق الصحن الشريف بالمجتمعين الكاظميين والبغداديين ؛ على سعة ساحاته .. كما امتلأ الطابق الثاني « السور » فقرأ السيد باقر السيد أحمد .. الرسالة الكريمة بصوته الجهوري اكثر من مرة ، تنقلاً من ساحة إلى اخرى .. وكان المجتمعون يقاطعون الكتاب بالتكبير والتهليل .. وفي اليوم الثاني ذهب ـ من بغداد الى الكاظمية ـ رؤساء الطوائف المسيحية واليهودية ، وعلى رأسهم البطاركة ، والقسس ، والرهبان ، والحاخاميون ؛ حيث قابلوا علماء الكاظمية ، وشكروهم .. كما انهم اعلنوا انضمامهم إلى الثورة ...

وفي اليوم التالي ، أرسل علماء الكاظمية السيد محمد الصدر إلى بغداد لإعادة الزيارة للبطاركة والحاخاميين ، واخبارهم بأن علماء الكاظمية قد كتبوا إلى .. الشيرازي .. ما عرضوه أمس [1] .

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٤٥ – ١٤٦ .

عندما وصلت انباء تهيج الرأي العام في النجف الأشرف ، والفرات الأوسط ــ الى الكاظمية ــ وكانت يومذاك عاصمة الشعور الوطني ، وتوجيه الرأي العام في منطقة بغداد ؛ هاجت الجماهير وماجت . واعرضوا عن الاستفتاء سائرين وراء علماء الكاظمية . فلم ير علماء الكاظمية بدأ من الإلتجاء إلى وطن الثورة .. وهذه رسالة من العلامة الشيخ محمد الخالصي الى ميرزا محمد تقي الشيرازي ؛ تعبر عن هذه الاحاسيس والعواطف ...


العلامة الشيخ محمد الخالصي

« ... ثم لا يخفى على حضرتكم ؛ وقوع الهرج والمرج في بلادنا ، من طرف مسألة الانتخاب . حتى ان جملة من اهالي بلادنا كتبوا الاعلانات ووضعوها في الاسواق والطرقات . وكان حاصلها ؛ انا لا نريد هذه الحكومة ، ونريد رئيساً علينا من عنصرنا ؛ رجلاً عربياً ... فالرجاء ... أن تبينوا تكليفنا . وبماذا نتكلم ، وماذا نفعل. والمرجو ان يكون بكتاب موجه إلى عموم المسلمين .. [١] » .

*

(اجتمع الزعماء مع عبدالواحد الحاج سكر . وبعد المداولة ، قرروا تنفيذ عدة قضايا ..) و أرسلوا .. إلى مندوبي الكاظمية وبغداد : .. حيث انكم نواب الأمة ، وممثلوها ، وان سياستكم تقضي بالمواظبة على العمل السلمي ، والمطالبة الأدبية البحتة ؛ فقد رأينا أن نخبركم بأن صبرنا قد عيل .

---

(١) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٧٧ – ١٧٩ .

وها إننا مستعدون للقيام بوجه السلطة .. [١] .

* * *

كان السيد عبد المهدي (المنتفكي) قد ذهب إلى بغداد ، واجتمع – في الكاظمية – مع آية الله الشيخ مهدي الخالصي ، وجماعة آخرين من رجال الكاظمية وبغداد . فوجدهم على جانب عظيم من التهيؤ لطلب الاستقلال . وكان ذلك في عام ١٩٢ . ولما كان السيد عبد المهدي ممن ينشدون هذه الغاية .. فقد زاد ايمانه بوجوب الجهاد .. فاتصل مع رسل النجف الأشرف ، وزعماء الثورة في الشامية وأبي صخير . ثم أشار عليه الامام الخالصي وأصحاب السيد .. ببغداد .. أن يعود إلى لواء المنتفك ليفاتح العشائر بوجوب الثورة .



السيد عبد المهدي المنتفكي

ترك السيد عبد المهدي الكاظمية ؛ قاصداً الناصرية يوم ٢٣ رمضان [٢] .

*

غادر الشيخ رحوم (الظالمي) النجف .. فجمع الرؤساء والشيوخ .. ثم سلمهم نسخة من فتوى ... الشيرازي . وبعد ذلك سلم إلى المرحومين شعلان (ابو الجون)و (غثيث الحرچان) كتاب آية الله الشيرازي : « ... أما بعد ؛ فإن اخوانكم المسلمين في بغداد ، والكاظمية ، والنجف ، وكربلاء ، وغيرها من أنحاء العراق ، قد اتفقوا – فيما بينهم – على الاحتجاج ، بمظاهرات سلمية ... » [٣] .

*

---

(١) الحقائق الناصعة ج١ ص١٨٠ – ١٨١ . (٢) الحقائق الناصعة ج ١ ص ٣٤٠ . (٣) الحقائق الناصعة ج ٢ ص ٤٥١ .

ولم يقف الأمر عند الطبقة الروحانية والعلمية في النجف الأشرف ، وكربلاء ، والكاظمية على الأئمة المجتهدين فحسب ، بل ان العلماء والفقهاء .. قد عملوا الشيء الكثير .. كما ان المنابر الحسينية قد قامت بواجبها أحسن قيام .. والشعر — وهو لغة العاطفة — وقد قام بواجباته في الثورة أحسن قيام .. كما ... كانت لاقلام الأدباء حصة في هياج الرأي العام ، واثارة الشعور .. ومن هؤلاء .. السيد محمد عبدالحسين .. وسلمان الصفواني .. الذي لازم آية الله الخالصي — رحمة الله عليه بالكاظمية [1] .

* * *

عندما انتهت الثورة ... وتشكلت الوزارة النقيبية ، تحت ظل الانتداب .. في الوقت الذي اتفق فيه العراقيون — وعلى رأسهم الأئمة المجتهدون ، وبقية رجال الدين ، وزعماء العشائر — على انتخاب فيصل بن الحسين ملكاً . وارسلوا الشيخ محمد رضا الشبيبي — في أثنـــاء الثورة — إلى مكة المكرمة ؛ لمقابلة الملك حسين ، وتقديم المضابط إلى جلالته ؛ ملتمسين إرسال ولده فيصل إلى العراق .

وبعد ذلك اجتمع رجال الدين ، وزعماء العشائر في الكاظمية ، بدار آية الله الشيخ مهدي الخالصي — قدس الله سره — وبعد أن تداولوا بالامر ملياً ، برعاية الخالصي ، وبحثوا نوايا الانكليز للطعن بالأغراض الوطنية ، والتنكر لمبادىء الثورة العراقية . فقر رأيهم أن يبرقوا إلى الملك حسين طالبين في برقياتهم إرسال نجله الأمير فيصل ؛ ليكون ملكاً على العراق ؛ مقيداً بمجلس نيابي .

وصلت الأخبار إلى الدوائر المسؤولة ، فأوعزت إلى دوائر البرق بعدم استلام هذه البرقيات ... وأحس الزعماء بوجود لعبة بريطانية جديدة .. فاجتمعوا مرة اخرى في دار الامام الخالصي — رضوان الله عليه — وبعد

---

(١) الحقائق الناصعة ج ٢ ص ٥٠٠ — ٥٠٢ .

أن درسوا الموضوع قرروا رفع احتجاج إلى المندوب السامي . غير ان الخالصي . أوقفهم وأخذ الأمر على عهدته ، ورأى ان يكتب إلى نوري السعيد .. فكتب إليه .. (في ١٠ شعبان ١٣٣٩) .. وعندما سلم رسول الخالصي الكتاب .. تلقى ..« ... انه لا يوجد ادنى مانع .. » وعند وصول الرسالة أمر الزعماء والرؤساء بإرسال برقياتهم ، فأرسلت المئات منها ، فالألوف .. [١] .

* * *

ان الذين كانوا عيون الانكليز وجواسيسهم ، والساخطين على الثورة والثوار ؛ هم الذين يحكمون ، وينعمون بنتائج الثورة .. فتذمر الاحرار من هذا الحال .. وقد اجتمع الزعماء والاحرار عند العلماء الاعلام ؛ وذلك في دار .. الشيخ مهدي الخالصي بالكاظمية .. ولم يسمع الانكليز بذلك الا وضاقوا ذرعاً ، فألقوا القبض على الامام الشيخ مهدي الخالصي ، وبعض العلماء من أعوانه ، والزعماء ، والأحرار ، ونفوهم إلى خارج العراق .. [٢، ٣]

---

(١) الحقائق الناصعة ج ٢ ص ٥١٦ – ٥١٨ . (٢) الحقائق الناصعة ج ٢ ص ٥٩٢ – ٥٩٣ .

(٣) لا تنسى مواقف الآخرين ؛ من اعلام بيوتات الكاظمية ، وعلمائها ، وادبائها ، وشعرائها ، ورجالها – ولا سيما السيدين الرئيسين الفقيهين المجاهدين السيد محمد مهدي الصدر والسيد مهدي الحيدري واعيان عترتهما ، والشيخ عبدالحميد الكليدار ، والشيخ عباس أسعد ، والشيخ محسن الخالصي وسائر البيت الخالصي ... والحاج محمد حسن الحداد وأمثالهم ؛ في العمل الصالح ، والجهاد المقدس – الذين لم تتعرض لهم المراجع المطبوعة .

الكاظمية في التواريخ البغدادية

تاريخ مساجد بغداد وآثارها

جامع الكاظمية

.. إن هذا الجامع ؛ رحب الفناء ، مشيد الأرجاء ، رصين البناء . قد زخرفه الشيعة أتم الزخرفة ، وزينوه بأبدع النقوش .

وفيه قبر الامام موسى الكاظم ، والإمام محمد الجواد . وعليهما قبة عظيمة ، غشي سطحها بالذهب . وترى الشيعة يطوفون حولهما طواف الحجيج بالكعبة المعظمة . ولهم مواسم للزيارة . يجتمع منهم هنالك الالوف المؤلفة . ويحضرون لها من بلاد شاسعة . وكانت هذه المقبرة تسمى مقابر قريش . فلما توفي موسى الكاظم –رحمه الله– دفن خارج القبة ؛ قبة جعفر بن أبي جعفر المنصور . وذلك لخمس بقين من رجب سنة ١٨٣ من الهجرة .

ثم وسع المحل بموت الأمين محمد بن هرون الرشيد ، وأمه زبيدة بنت جعفر . وبني على قبري موسى ومحمد مشهد ؛ علقت فيه القناديل ، وأنواع الآلات ..

ولما استولى الشاه اسماعيل الصفوي على العراق ، سنة ٩١٤ هـ ؛ نقض

المشهد والقبة. وأعاد بناءها على وضع بديع. وغشيت الجدران بالذهب الخالص داخلاً وخارجاً. وعلقت النفائس والتحف، ولما تم ذلك حسبما أمر؛ كتب على جدرانها ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بانشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم، ظل الله على جميع بني آدم، ناصر دين جده الأحمدي، رافع أعلام الطريق المحمدي، ابو المظفر الشاه اسماعيل بن الشاه حيدر بن جنيد الصفوي الموسوي – خلد الله تعالى ألوية الدين المبين بملكه وسلطانه، وأيده لهدم قواعد اهل الضلال بحجته وبرهانه – وحرر ذلك، في سادس شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين وتسعمائة الهلالية».

ويقال: ان كثيراً من المباني، التي أمر بانشائها وعمارتها لم تكمل. وانه مات سنة ثلاثين وتسعمائة.

فلما استرد العراق السلطان العادل الغازي سليم خان العثماني، وجاء بنفسه الى بغداد وذلك سنة ٩٤١ ﻫ أمر حينئذ، باكمال تلك العمارة. وأنشأ حولها جامعاً عظيماً تقام فيه الجمع والجماعات. وهو – إلى اليوم – على رصانته ووضعه.

وبنى منارة في الركن الذي بين الشرق والشمال. وهي أول منارة شيدت هناك. وتحتها – عند باب الدرج الأسفل، على ارتفاع قامة عن الأرض – صخرة منقوش فيها بحروف بارزة أبيات باللغة التركية [١].

وفي صحن جامع الكاظمية، حجرة صغيرة. فيها قبر ابراهيم، وقبر أخيه جعفر؛ ابني موسى الكاظم. وقد عمرها سليم باشا الفريق. وشاد القبة التي عليها. وذكر ذلك عبد الباقي الفاروقي بأبيات نذكر منها شطر التاريخ، وهو قوله: «شاد سليم مرقد الفرقدين» [٢].

---

(١) وهي للشاعر فضلي بن فضولي؛ البغدادي. تراجع كتاب (فضولي البغدادي)؛ للدكتور حسين علي محفوظ، طبعة بغداد، سنة ١٣٧٨ ﻫ، ص ٣٨.

(٢) تراجع الترياق الفاروقي؛ ديوان عبد الباقي العمري، طبعة مصر سنة ١٣١٦ ﻫ، ص ٣٣١ والتاريخ؛ هو (١٢٦٤ ﻫ).

وفي سنة ثلاثمائة والف [1] ؛ استأذن من الحكومة العثمانية « فرهاد ميرزا » ، أحد اكابر الفرس ؛ أن يجدد سور الجامع ، المشهد . وان ينشيء بعض العمارات . فأذنت له ، فبنى السور كله بالحجر الكاشاني الملون ، وفرش الساحة بالمرمر . وعمق الأسراب ؛ التي هي مدفن أموات الشيعة . وكتب على السور سورة العاديات ، والقدر . والضحى ، والحاقة ، وبعض الأخبار ، نحو ما يعزى إلى النبي – صلى الله عليه وسلم ، انه قال : « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا . ومن تخلف عنها غرق » [2] .

وكتب – من جهة – تاريخ العمارة ، وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . وقع الفراغ من هذا الصحن ؛ بأمر من قصد بعمله وجه المنان ؛ وبلوغ غرفات الجنان ؛ الجناب المستطاب الأشرف الأمجد ؛ معتمد الدولة فرهاد ميرزا – أدامه الله تعالى ، وأعز إجلاله وإقباله ، بجاه محمد وآله الطاهرين – سنة ثمان وتسعين بعد المائة [3] والألف من الهجرة النبوية المقدسة على صاحبها آلاف التحية والثناء » .

وقد اتصل بهذا الجامع والصحن جامع الامام أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم ، صاحب أبي حنيفة ، وقبره عن شمال مصلاه ، وعليه قبة كبيرة . والجامع تقام فيه الجمع ، والأعياد ، والصلوات ، وهو رصين البناء ، قويم الأرجاء [4] .

---

(١) هذا اشتباه . فقد أرخ جدنا السيد محسن الصائغ بن السيد هاشم أبي الورد الحسيني الكاظمي « ابتداء تعمير سور الصحن الكاظمي . في يوم السابع عشر من شهر ذي القعده من شهورسنة ١٢٩٦ ».

(٢) تراجع الحديث في الجامع الصغير ، للجلال السيوطي ، طبعة مصر ، سنة ١٩٣٩ ، ج ٢ ص ١٥٥ . ولاحظ المراجعات، للسيد عبد الحسين شرف الدين ، طبعة صيدا ، سنة ١٩٣٦ ، ص ١٧ – ١٩ . والحديث صحيح يتعجب من السيد الالوسي أن يقدمه بقوله : يعزى ..

(٣) كذا – والصواب بعد المائتين .

(٤) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ؛ للسيد محمود شكري الالوسي ؛ تهذيب محمد بهجة الاثري ؛ طبعة بغداد سنة ١٣٤٦ هـ ، ص ١١٦ – ١١٧

بغداد مدينة السلام

أشهر المساجد القديمة (في الجانب الغربي) مسجد الكاظمين. وهو المسجد المشتمل على ضريح الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وحفيده. محمد الجواد — عليهم الرضوان — وهو مسجد واسع الأكناف، واقع في وسط بلدة الكاظمين، التي تقابل بلدة الأعظمية. ويربط بينهما جسر عائم على دجلة. وبينها وبين الجانب الغربي من بغداد — اليوم — نحو ثلاثة أميال.

ولا يعلم بالضبط التاريخ الذي أقيم فيه هذا المسجد؛ غير ان المؤرخين يذكرون أن الخليفة الطائع (٣٦٣ — ٣٨١) صلى الجمعة إماماً، في هذا المسجد أكثر من مرة.

وقد ذكر ابن جبير هذا المسجد، في جملة المشاهد التي زارها. وقد ذكر المؤرخون أن النار قد التهمت هذا المسجد سنة ٦٢٢ — في خلافة الظاهر بالله — فأسرع الخليفة إلى إعادة بنائه. ولكن المنية عاجلته، فأتمه ابنه المستنصر وعند حصار المغول لبغداد، سنة ٦٥٦؛ أصيب هذا المسجد بتدمير كبير. ولكن هولاكو أمر — بعد ذلك — بإصلاح ما دمّر. وقد أصيب بالغرق عدة مرات. ولكنه استمر ثابتاً.

ويقوم — اليوم — على هذين الضريحين مسجد؛ واسع الأكناف؛ رفعت قبابه في السماء، وزينت بضروب من الزينة. وأحيطت بأربع مآذن شوامخ. وقد غشي كل ذلك بصفائح من النحاس، مطلية بالذهب؛ تظهر للناظر على مسافة أميال من بغداد؛ يكاد لمعانها يأخذ الأبصار.

وزينت سائر جدران المسجد بالقاشاني الجميل. أما داخل المسجد، فيقصر الوصف عما فيه من ضروب الزينة، وصنوف الفن[1].

---

(١) بغداد مدينة السلام، لطه الراوي؛ سلسلة «اقرأ» ٢٧، ص ٨٤ — ٨٥.

تاريخ الامامين الكاظمين ـ عليهما السلام
وروضتهما الشريفة

الظاهر أن قبور (جعفر بن ابي جعفر المنصور .. ومحمد الأمين بن هرون الرشيد .. والست زبيدة بنت جعفر .. زوجة هرون الرشيد) .. وغيرهم ، من الهاشميين والقرشيين . هي في قبلة الامام موسى بن جفر ـ عليه السلام ـ .. وتسمية الشونيزي بمقابر قريش كانت لهذه المناسبة ، أي مناسبة دفن الهاشميين وغيرهم ، من قريش ، فيها[١] .

*

أما البقعة الخاصة بالامامين ـ عليهما السلام ـ فقد نقل عن كتاب (الدر النظيم) ؛ للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي ؛ تلميذ المحقق الحلي .. « ان الامام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ ابتاع البقعة التي دفن فيها ، لنفسه ، قبل وفاته » ... ولما توفي الامام محمد الجواد ـ عليه السلام ـ كان مدفنه عند جده الامام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ وفي مقبرته الخاصة ، خلف ظهره .

وبنيت على قبريهما بنية ، وسميت البقعة بـ (الكاظمين) من باب التغليب . وكان الزائرون من الشيعة يزورون الامامين ـ عليهما السلام ـ من مسجد كان هناك ؛ يعرف بمسجد باب التبن ، أو من وراء حجاب آخر ؛ خوفاً من ذوي الأغراض والأمراض .

وكانت قطيعة للسيدة زبيدة بنت جعفر ؛ زوجة الرشيد ، قريبة من هذه المقبرة ؛ تسكنها جماعة من الشيعة . فاتخذ قوم منهم السكنى حول بنية الامامين ، يحترفون غسل الأموات ، وحفر القبور ، وغير ذلك من المهمات . وجاورهم غيرهم من الشيعة لتأمين راحة زوار الامامين .

---

(١) تاريخ الامامين ص ٥٢ .

وفي قليل من الزمن ، أصبحت مقابر قريش ، وحواليها ، شبه قرية من قرى بغداد . ووضع – على القبرين الشريفين – ضريحان ، بعد قلع البنية وتجديدها . وكان الضريحان منفصلين عن بعضهما .

ولما كان زمن الديالمة ، وارتفع الخوف والحذر عن الزائرين ، وكثر الازدحام ، من الشيعة ؛ لزيارة الامامين عليهما السلام – كثرت البيوت حول بقعتهما المباركة .

وفي سنة ٣٣٦ ، أمر معز الدولة ؛ السلطان ابو الحسين ، أحمد بن بويه ، بقلع العمارة المبنية على القبرين ، ورفع الضريحين المذكورين ، وبنى عمارة جليلة في مكانها . ووضع على القبرين الشريفين ضريحاً خشبياً من الساج ، جميل الشكل ، حسن الطراز . وتعلو العمارة قبتان بديعتان ؛ إحداهما ؛ لمولانا الكاظم – عليه السلام – والثانية لمولانا الجواد . وامام العمارة القائمة صحن واسع ، رفيع الجدران ، محكم البنيان .

وزين داخل العمارة بالتزيينات ، وعلق فيها المعلقات ، والأضوية ، وغير ذلك ؛ مما يزيد في حسنها ، وروعتها .

وأنزل ثلاثة من الجنود الديالمة ، وغيرهم ، مقابل المشهد المبارك ؛ للخدمة ، وللمحافظة أولاً ، ولتأمين الزائرين ثانياً .

فكان الناس يقصدون الزيارة أفواجاً أفواجا ، وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم . وكثرت المجاورة ، حول المشهد الشريف . وصار الإمامان – عليهما السلام – ملجأ للخائفين ، وكعبة للطائفين .

وكان معز الدولة – مع وزرائه ، وأعيان دولته – يزور الامامين – عليهما السلام – في كل خميس . وكان يبيت – مع هؤلاء – ليلة الجمعة ، في بيت فخم ؛ كان اتخذه حول المشهد ، ثم يرتحل نهار الجمعة – بعد تجديد الزيارة – إلى محل الحكم .

وفي سنة ٣٥٢ ، أمر بإقامة العزاء ، لسيد الشهداء الحسين بن علي – عليهما السلام – في شهر محرم .

وأمر الناس ببغداد أن يغلقوا دكاكينهم — في اليوم العاشر منه — ويبطلوا الأسواق ، والبيع والشراء . وأن يظهروا النياحة . ويُلبسوا قباباً — يحملونها — بالمسوح . وأن يخرج الرجال والنساء لاطمي الصدور والوجوه .

وكانوا — بهذه الحالة — يأتون مشهد الإمامين — عليهما السلام — يعزونهما ، بالحسين — عليه السلام — .

وبقيت هذه السُنّة في العراق مدة الحكم البويهي ، والعزاء الحسيني ؛ الذي يقام اليوم ، من آثار تلك السُنّة الكريمة .. [١] .

*

وفي سنة ٣٦٩ ، بنى (عضد الدولة) سوراً حول أبنية المشهد الكاظمي . وزاد في تعمير داخل المشهد وخارجه . وأضاف إلى التزيينات ، والأضوية ، وغيرها ؛ أضعافاً مضاعفة .

وفتح المارستان العضدي ؛ في غربي بغداد ؛ بين الكرخ والكاظمية ؛ سنة ٣٧١ ، ونقل إليه جميع ما يحتاجه من الأدوية والآلات وغيرها . وذلك ؛ تسهيلاً للكرخيين ، والزائرين [٢] .

وفي سنة ٣٧٧ ، أوصل الماء إلى الكاظمية — مشهد الامامين ؛ موسى والجواد عليهما السلام — أبو طاهر ، سعيد الحاجب ، مولى شرف الدولة بن عضد الدولة ؛ بحفره نهراً كبيراً ، ساقه من دجيل ، إلى داخل صحن المشهد . وأصبح مجاورو المشهد والزائرون غير محتاجين إلى نقل الماء من بغداد ، ولا إلى حفر الآبار . وكثرت الهجرة إلى المشهد المقدس ، من بغداد ، ونواحيها ، وزادت البيوت هناك [٣] .

*

وفي سنة ٤٤١ ؛ منعت الشيعة — في الكرخ ، ومشهد الكاظمين من

---

(١) تاريخ الامامين ص ٥٣ — ٥٥ .
(٢) تاريخ الامامين ص ٥٧ .
(٣) تاريخ الامامين ص٥٧ — ٥٨ .

النوح ، والعزاء على الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء ، وعن قول : «حيّ على خير العمل» من الأذان . وذلك في ايام وزارة رئيس الرؤساء ، أبي القاسم بن مسلمة ؛ الذي كان شديد التعصب على الشيعة . واستوزر للخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٣٧ هـ .

وقامت — في أيامه — فتن عديدة بين الشيعة والسنة . ومن جملتها الفتنة القائمة بعد هذا المنع (سنة ٤٤٣) ، التي قتل فيها خلق كثير ، من الطرفين ، وتلفت أموال كثيرة [١] .

*

وفي سنة ٤٤٥ ، عادت الفتنة ، وحصل قتال شديد بين الفريقين ، وبقي الأذان على حاله ، في الكرخ ومشهد الكاظمين [٢] .

*

ومنذ وقوع الحريق ، والتهديم ، والخراب ؛ في المشهد المقدس ؛ أخذ ابو الحارث ارسلان بن عبد الله ؛ المعروف بالبساسيري — القائد العظيم للجيش التركي — في تعميره ؛ بين آونة وأخرى . واستعان بأبي نصرفيروز ابن ابي كليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ؛ الملقب بـ (الملك الرحيم) ؛ فنصبت — على القبر الشريفين — صندوقان من الساج ، أفخم من الصندوقين الأولين وعمر الصحن الشريف ، والمئذنتان . واعيدت الزينة للقبة الشريفة ، وداخل المشهد . إلى غير ذلك ، من الخدمات المشكورة . وذلك في سنة ٤٤٤ . وقيل إن إتمام هذا التعمير كان سنة ٤٤٥ [٣] .

*

وفي سنة ٤٩٠ ، قام مجد الملك ، أبو الفضل ، الأسعد بن موسى القمي ؛ أحد وزراء بركياروق بن ملكشاه السلجوقي . وعمر المشهد الكاظمي الشريف

---

(٢) تاريخ الامامين ص ٥٨ .

(٣) تاريخ الامامين ص ٦٢ .

(١) تاريخ الامامين ص ٦٢ .

ـ على مشرفيه الصلاة والسلام ـ وبنى الروضة المقدسة ، ببناء محكم الاساس ، وزين الجدران بالقاشاني ، ووضع صندوقين من الساج ، على القبرين الشريفين . وعمر مسجداً شمال الروضة ، ومئذنتين رفيعتين ـ حول الروضة المقدسة ـ وبيتاً وسيعاً كثير الغرف ؛ لراحة زوار الإمامين ـ عليهما السلام ـ .

وبقي هذا التعمير ـ الذي قام به مجد الملك ، لم يمد احد إليه يداً بسوء . وبواسطته كثرت البيوت والعمارات حول المشهـد المقدس ، إلى سنة ٥١٧ . وقع حرب بين الخليفة المسترشد بالله ، وبين دبيس بن صدقة .

وكان دبيس ـ قبل نشوب الحرب ـ أودع بعض نسائه في مشهد الكاظمين ـ عليهما السلام ـ .. [١] .

وفي سنة ٥٦٩ ، طغى شط دجلة طغياناً عظيماً . وزاد الماء زيادة لم يسبق بمثلها ، ونبع الماء في البلاليع .

وخربت بيوت كثيرة ببغداد . ودخل الماء إلى البيمارستان الذي ـ كان بناه عضد الدولة ـ بين الكرخ والكاظمية ـ ودخلت السفن من الشبابيك . لأن الماء قلعها من أساسها .

وسرى الماء إلى الكاظمية ، حتى دخل الصحن الشريف ، ومنه الى الروضة المقدسة . وهدم بعض الأبنية ، ثم نقص الماء ، وزال الخطر [٢] .

*

وفي سنة ٥٧٥ ، قام بالخلافة بعد (المستضيء) ولده الناصر لدين الله . وكان من الموالين للأئمة المعصومين ..

وأول ما بدأ بالمشهد الكاظمي الأنور ، وتدارك ما أتلفته يد الغير ، من تعمير ، وزينة للصندوق الشريف ، والرواق ، والمآذن . ووسع الصحن . وزاد في الحجرات . وكل ذلك ؛ بمراقبة وزيره السعيد ، مؤيد الدين ،

---

(١) تاريخ الامامين ص ٦٣ .

(٢) تاريخ الامامين ص ٦٤ .

محمد بن محمد ؛ القمي — رحمه الله — . وجعل المشهد المبارك ؟ أمناً لمن لاذ به . فكان الناس يلتجئون إليه في حاجاتهم ، ومهماتهم وجرائمهم ؛ فيقضي الناصر لهم حوائجهم ، ويعفو عن جرائمهم [1] .

*

وفي سنة ٦٠٤ ، في شهر رمضان ؛ أمر الناصر ببناء دور ؛ في المحال ببغداد — ومن جملتها ؛ الكاظمية — ليفطر فيها الفقراء ، وسميت « دور الضيافة » يطبخ فيها اللحم الضأن والخبز الجيد .

وجعل في كل دار ؛ من يوثق بأمانته ؛ يعطي كل انسان قدحاً مملوءاً من الطبيــخ ؛ واللحم ، ومقداراً من الخبز . فكان كــل ليلة يفطر — في هذه الدور — خلق من الناس ، لا يحصى عددهم .

وفي أيامه ؛ بني سور حول بلدة الكاظمية ؛ لأن سور الصحن لم يكن كافياً لرد الأيدي الفاسدة عن الروضة المنورة . وأحكم ليكون سداً لطغيان الماء [2] .

*

وفي سنة ٦٠٨ ؛ اتخذت حجرات الصحن الشريف الكاظمي مدرسة للعلوم الدينية والعربية ؛ بأمر الخليفة الناصر . ومن كتب السنة ؛ أمر بقراءة مسند الامام أحمد بن حنبل — رضي الله عنه — على صفي الدين ؛ محمد بن معد الموسوي الفقيه الإمامي .

ووقف جماعة من الفقهاء والعلماء كتباً كثيرة على هذه المدرسة ، وأجرى الخليفة أرزاقاً لطلابها .

ومن آثار الناصر لدين الله ؛ أنه بنى داراً للأيتام ، تحاذي الصحن الشريف ، تصلها الأرزاق من ناحيته الخاصة [3] .

*

---

(١) تاريخ الامامين ص ٦٥ . (٢) تاريخ الامامين ص ٦٥ — ٦٦ .(٣) تاريخ الامامين ص ٦٦.

وفي سنة ٦١٤ . زادت دجلة زيادة عظيمة .. ووصل الماء إلى المشهد الكاظمي ، وعم الغريق الدور والبيوت ، وتلاشى السور الجديد ، وسور الصحن ، وداخل الروضة ، وتهدمت الحيطان ، وخربت الجدران . وبعد أن أغار الماء ، جدد الخليفة الناصر البناء[1] .

وكانت وفاة الناصر .. آخر ليلة من شهر رمضان سنة ٦٢٢ . وقام بالأمر ولده الظاهر .. وفي أيامه ، وقع حريق عظيم في مشهد الكاظمين – عليهما السلام – فاحترق الأثاث ، والفرش ، والمصاحف ، والكتب . وسرت النار إلى الصندوق ، والضريح ، والقبة الشريفة . فأمر الخليفة وزيره مؤيد الدين القمي ؛ بتعمير المشهد المقدس . وفي أثناء التعمير مات الخليفة . وذلك سنة ٦٢٣ .

وقام – بعده – ولده المستنصر .. فأكمل التعمير بأروع مما كان . والصندوق الساج المستنصري باقٍ إلى يومنا هذا ، في المتحف العراقي . لأن الشاه اسماعيل الصفوي – بعد أن جاء بصندوقي الخاتم المرصعين بالعاج ، ونصبهما على قبري الإمامين (عليهما السلام) – أرسل هذا الصندوق إلى المدائن ، ونصب على قبر سلمان الفارسي ؛ صاحب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وعند تأسيس دار الآثار العراقية ، نقل من المدائن إليها .

وعلى هذا الصندوق ؛ كتابات لطيفة . وفيه من حسن الفن ودقائقه مالا يوصف ؛ من تذهيب وتحسين . وفي كتائبه اسم المستنصر بالله ، وتاريخه سنة ٦٢٤ .

وللمستنصر خدمات أخرى للروضة الشريفة الكاظمية ؛ من قناديل ذهب ، وفضة ، وشمعدانات ، ومعلقات ، وستائر ، وغيرها[2] .

*

لما فتح هولاكو خان بغداد ، أحرق معظم محلات البلد من البيوت

---

(١) تاريخ الامامين ص ٦٦ – ٦٧ . (٢) تاريخ الامامين ص ٦٧ – ٦٨ .

والأسواق . ووصلت النار إلى مشهد الكاظمين ـ عليهما السلام ـ وعبثت فيـــه .

ولما ولي علاء الدين عطا ملك الجويني العراق ، سنة ٦٥٧ ، من قبل السلطان هولاكو خان ؛ قام بترميم المشهد الشريف ، وزين الجدران من داخل الروضة وخارجها ، والرواق ، والصحن ؛ بالقشاني النفيس ، وزاد في الزينة والمعلقات وغيرها [١] .

*

وفي سنة ٧٦٥ ، حصل طغيان عظيم بدجلة . وعم الغرق بغداد . وهدمت الدور ، والأسواق . وعبث الماء في مشهد الكاظمين . وحصلت من ذلك أضرار كثيرة ، بقيت على حالها . حتى جاء السلطان اويس بن الحسن الجلايري سنة ٧٦٩ ؛ فقام في تعمير ما كان يحتاج إلى التعمير ، وترميم ما كان يحتاج إلى الترميم [٢] .

وعمّر الرواق والصحن . وبنى هناك رباطاً ؛ لاستراحة الزائرين . ووضع صندوقين من الخاتم على المرقدين الأنورين ، عليهما النقوش الجميلة ، والكتائب الجليلة ، من الآيات القرآنية وغيرها .

وكذلك ؛ زين الروضة الشريفة بالقاشاني البديع . وبنى قبتين ومنارتين رفيعتين . وبذل الأموال الكثيرة لخدام الروضة ، ولفقراء الساكنين في

---

(١) تاريخ الامامين ص ٧١ .

(٢) وفي هذا الموسم من الفيضان مر شاعر الفرس (عبيد زاكاني) ببغداد ورأى بعينه طغيان دجلة فكان له شعر فيها نقله إلى العربية مؤلف الموسوعة (جعفر الخليلي) بهذه الصورة :

ما مشى نهر دجلة مثل هذا	العام يوماً كمشية السكران
جامح والحديد في قدميه	شفتاه بالغيظ مزبدتان
تلك حال تحكي المجانين في	الدنيا فهل جن دجلة ؟ خبراني ؟
مثل دوامة يطوف ببغداد	ويشتد في حصار المباني
فكأني به فراشة انهار	وبغداد شمعة البلدان

المشهد . وبنى لهم بعض البيوت ، وأصلح في المشهد ما يحتاج إلى الإصلاح من الدور [١] .

*

وفي سنة ٧٧٦ ، زادت دجلة زيادة عبثت ببغداد عبثاً لم يترك في دور محلاتها ، ودكاكين أسواقها إلا القليل .

وهلك تحت الانهدام خلق كثير ، لا يحصى عددهم ، وغرق المشهد الشريف . وانهدمت بعض بنايته ، وتشوق ما بقي منها . وخربت دور كثيرة من المجاورين . فقام بتعمير ما انهدم . واصلاح ما بقي ؛ وجيه الدين اسماعيل بن الأمير زكريا الوزير ، الذي حكم العراق ، من قبل السلطان اويس — يومئذ — وخدم الروضة المقدسة ، وسائر المشهد الشريف ؛ بخدمات مشكورة [٢] .

*

وفي سنة ٩٢٦ ؛ قام في تجديد عمارة المشهد الشريف الشاه اسماعيل الصفوي . وقلع جميع البناء من أساسه .

وبنى الروضة والرواق ، والصحن الأقدس ؛ ببناء مشيد . جاد في إحكامه الأساسي وفي تزويقه .

وبنى القبتين الشريفتين بطرز جميل ، وزينهما بالقاشاني الملون . وعوّض المنارتين بأربع منائر . وزين الجدران — داخلها وخارجها — بالقاشاني الملون .

وبنى الجامع المعروف — اليوم — بالجامع الصفوي ، في شمال الروضة المطهرة . ووسع الصحن ، وبنى فيه حجرات لأهل العلم والزائرين . وفضض أبواب الروضة بصفائح من الفضة الخالصة .

ونصب على القبرين الشريفين صندوقين ؛ من النوع المعروف بالخاتم ،

---

(١) تاريخ الامامين ص ٧١ — ٧٢ .
(٢) تاريخ الامامين ص ٧٢ .

وعلق على سقف الروضة القناديل والمعلقات وفرش الروضة ورواقها بالفرش الثمين .

وكان إكمال هذه الخدمات ، سنة ٩٣٥ ؛ على يد أخيه السلطان محمد خدابنده – الذي كان يحكم العراق يومئذ – وهذا التاريخ ، كتب في الكتيبة التي داخل الروضة المنورة .

وكان إنعام الشاه اسماعيل الصفوي على السدنة ، والمعتكفين ، والخدمة ، والمؤذنين كثيراً ؛ يتجدد عليهم مدة أيامه [١] .

وفي سنة ٩٤١ ، استرد العراق – من ايدي الفرس – السلطان سليمان العثماني (القانوني) أمر ببناء المنبر الموجود اليوم في الجامع الصفوي [٢] ، [٣] .

* * *

وفي سنة ٩٧٨ ، ورد ولده السلطان سليم الثاني بغداد . وبعد زيارته الكاظمية ، أكمل بناء المنارة الواقعة ما بين المشرق والشمال [٤] .

*

وفي سنة ١٠٣٢ ، زار الشاه عباس الصفوي الكبير العتبات العالية . وهي المرة الثانية لزيارته . أمر بأن يصنع للكاظمين – عليهما السلام – ضريح من الفولاذ ؛ لحفظ صندوقي الخاتم ... فصنع ، ووضع على الصندوقين الكريمين .

وعلق بعض النفائس والمعلقات في الروضة ، وزين الرواق ، والروضة بشيء من الزينة فوق ما كان لها [٥] .

*

وفي سنة ١٠٤٢ ، زادت دجلة زيادة هائلة ، وعبث الماء ببغداد ، والكاظمية . وحصلت أضرار كثيرة . فأمر الشاه صفي الصفوي ؛ بترميم

---

(١) تاريخ الامامين ص ٧٢ – ٧٣ . (٢) وقد ازيل قبل بضع عشرة سنة . (٣) تاريخ الامامين ص ٧٣ . (٤) تاريخ الامامين ص ٧٤ (٥) تاريخ الامامين ص ٧٤ .

الروضة ، والرواق ، والصحن ، وارجاع الزينة لها [١] .

*

وفي سنة ١٠٤٥ ، أمر الشاه صفي المزبور ، بإحكام المنائر — التي في المشهد الكريم — وأحدث أربع منائر صغيرة ، في زوايا سطح الروضة المقدسة . [٢] .

وفي سنة ١٠٤٧ ، دخل السلطان مراد الرابع بن السلطان أحمد الأول بغداد — بعد أن حاصرها أربعين يوماً — فنهب الجنود والعساكر البلدة . ودخلوا المحلات ، وقتلوا من وجدوه أمامهم من الناس . وازدحموا على مشهد الكاظمين — عليهما السلام — ونهبوا قناديل الذهب والفضة ، وجميع ما كان في الروضة المقدسة من النفائس والستائر وغيرها [٣] .

*

وفي سنة ١١١١ أو سنة ١١١٢ ، جدّد الوزير حسن باشا سقف الروضة شريفة . وعمل فيها بعض الترميمات [٤] .

*

وفي سنة ١١١٥ ؛ في أيام الشاه سلطان حسين الصفوي ... في جمادى الثانية من هذه السنة ، حج بيت الله الحرام محمود آقا التاجر — ومعه الشباك لحرم الكاظمين — عليهما السلام — . وكان معه من أهل حرم السلطان وأعيان الدولة وغيرهم زهاء عشرة آلاف . الحجاج منهم ثلاثة آلاف.. [٥] .

وفي سنة ١٢١١ ، أمر السلطان محمد شاه الأول ؛ رأس الدولة القاجارية ، وأول ملوكهم .. بتذهيب القبتين الكريمتين ، ورؤوس المنائر الشريفة .

---

(١) تاريخ الامامين ص ٧٤ .
(٢) تاريخ الامامين ص ٧٤
(٣) تاريخ الامامين ص ٧٤ — ٧٥ .
(٤) تاريخ الكاظمين ص ٧٥
(٥) تاريخ الكاظمين ص ٧٥ .

وأضاف إليها ثلاث منائر اخرى ، على طرز المنارة ، التي بناها السلطان سليم العثماني . وأمر بتذهيب الايوان الصغير الذي في طريق الرواق الجنوبي . وأمر بفرش الرواق والروضة بالمرمر الأبيض الجذاب . وعمر من الصحن ما هدمته أيدي الحوادث . وزاد في سعته بابتياع بعض البيوتات المجاورة له ، من الجنوب والغرب [١] .

*

وفي سنة ١٢٣١ ، قام السلطان فتحعلي شاه القاجاري بشيء من التعمير ؛ داخل الروضة المنورة . وغشى الجدران بقطع المرايا الصغيرة لإكمال زينتها . ونقش باطن القبتين بالنقوش الجميلة ؛ بالميناء ، وماء الذهب ، وأنواع الأصباغ الخلابة .

وفي مجموعة .. السيد علي الصدر .. : ان الزخرف الذي داخل القبة من المرايا والنقوش ، هو من الميرزا شفيع ، وزير الشاه محمد المزبور [٢] .

*

وفي سنة ١٢٥٥ ، غشى الوزير معتمد الدولة منوچهر خان ، ايوان الروضة المقابل للجنوب بوجهه ، بالذهب الابريز . وزين صدره بأسماء الأئمة الاثني عشر — عليهم السلام — ثم عمل الصفة الشرقية (طارمة باب المراد) ، وبعد هذه أقيمت الصفة الجنوبية (طارمة القبلة) [٣] ، [٤] .

*

وفي سنة ١٢٨٢ ، تغشى الايوان الشرقي بالذهب ، من فاضل قبة العسكريين — عليهم السلام — بأمر ناصر الدين شاه القاجاري . وذلك قبل زيارته العتبات العالية .

---

(١) تاريخ الكاظمين ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢) تاريخ الامامين ص٧٦ . (٣) تاريخ الامامين ص ٧٧ . (٤) اما الطارمة الغربية ؛ فهي من اثار العلامة الحجة المحقق الفقيه الزاهد ، الميرزا حسين الخليلي المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ . تراجع هامش ٢ ص ١٥٠ . ج ١ معجم ادباء الأطباء ، طبعة النجف ، سنة ١٩٤٦ . محفوظ

وكذلك رممت السقوف ، والمرايا ، والنقوش — التي عليها — داخل الروضة . وزينت جدران الرواق الخارجية بالقاشاني [١] .

*

وفي سنة ١٢٨٣ ، أمر السلطان ناصر الدين المذكور ، بنصب ضريح فضي ، على الضريح الفولاذي . وذهّب جملة من كتابات الروضة الشريفة ، واماكن من الرواق الأقدس ، وترميم ما يحتاج إلى الترميم منها [٢] .

*

وفي سنة ١٢٧٨ ، زار السلطان المزبور : ناصر الدين شاه العتبات المقدسة ؛ فقيل عن لسانه في تاريخ زيارته ، أو هو قال مؤرخاً : « تشرفنا بالزيارة » ١٢٨٧ وكانت الروضة الشريفة ، تحتاج إلى شيء من الاصلاح ، فأمر بذلك ، وأنعم على العلماء ، والسادن ، والخدمة ، المبالغ الطائلة .. [٣]

*

وفي سنة ١٢٩٣ ؛ ابتدأ اعتماد الدولة فرهاد ميرزا بن العباس ميرزا ابن فتحعلى شاه القاجاري عم السلطان ناصر الدين شاه ، ببنـــاء الصحن الكاظمي الأنور ، وتجديد عمارته . فقلع البنيان السابق من أساسه ، وابتاع جملة من البيوت المجاورة بأثمان باهظة ، وأضافها إلى سعة الصحـــن ، وطوله وعرضه . وفي ابتداء هذا التعمير يقول .. امام الحرمين الميرزا محمد آل داود الهمداني ، رحمه الله :

لما بنى سبط ملوك الفرس ... صحناً يضيء نوره للكرسي
لنور عرش الله موسى الكاظم ... وسبطه الجواد ذي المكارم
فاق على الفردوس والقصـــور ... قلت مؤرخاً (رياض النور)

وقد أنشأ بدل الصحن القديم صحناً مشيداً ، رفيع البنيان ، محكـــم الأساس والأركان . وأنشأ في اطرافه الحجرات الجميلة ، والأواوين البديعة ؛

---

(١) تاريخ الامامين ص ٧٦ . (٢) تاريخ الامامين ص ٧٧ . (٣) تاريخ الامامين ص ٧٧ .

فوقانية وتحتانية . والجميع مزدانة بالقاشاني .

ونظّم السراديب التي في الصحن ؛ لدفن الأموات، وفرش الصحن بالصخور الثمينة ، التي جلبها من ايران ، ونصب ساعتين كبيرتـين في الصحن ـ أيضاً ـ .. وفي تاريخ انتهاء عمارة الصحن الشريف ، يقول الميرزا محمد المذكور :

صحن موسى حظيرة القدس　　فاق طور الكليم في سعد
يا لها من بنيّة شهدت　　كعبة ، انها منى الوفد
حرم فاق حسنه إرماً　　ليس فيه ذكرى سوى الحمد
صرح هامان خرّ من خجل　　مذ بناه (فرهاد) ذو المجد
قلت لما شاد البنا أرخ　　« هو صحن كجنة الخلد »[1]

وفي سنة ١٢٩٩ ، جدد المرحوم فرهاد ميرزا تذهيب المآذن المقدسة . ووكل المرحوم الحاج عبد الهادي الاسترابادي ؛ أحد أعيان البلد في ذلك .

وكان إتمام خدمات فرهاد ميرزا ، سنة ١٣٠١ . وقد أجاد المرحوم الشيخ صادق الأعسم ؛ في قوله مؤرخاً ذلك العام ؛ يخاطب الإمامين ـ عليهما السلام ـ :

خذا بيدي (فرهاد) في يوم حشره　　فقد تم عن سرّ بتاريخه (خذا)
١٣٠١[2].

*

في المجموعة .. « الحقيبة » للسيد .. علي الصدر : الباذل لفضة الضريح الكاظمي، الموجود ـ الآن ـ الحاجة سلطان بيكم بنت المرحوم مشير الملك الشيرازي ؛ على يد المرحوم الميرزا كاظم الطباطبائي ، الأصبهاني ، التاجر .

---

(١) تاريخ الامامين ص ٧٧ – ٧٨ .
(٢) تاريخ الامامين ص ٧٨ – ٧٩ .

والذي صاغ هذا الضريح ثلاثة من الصاغة : السيد محسن بن السيد هاشم آل ابي الورد الكاظمي . والسيد محمد علي الصائغ الكاظمي . والميرزا محمد الشيرازي النجفي ... وأما النجار : الذي صنع الخشب . الذي تحت فضة الضريح : فكان الحاج محمدعلي النجار رحمه الله .

أما مقدار فضة هذا الضريح . فهو مائتان وخمسون ألفاً مثقال وربع مثقال . وكانت مصارفه من الصياغة والنجارة . وغير ذلك حتّى نصبه خمسين ألف تومان . عدده ثمانية عشر شباكاً .

وكان نصبه في اليوم السادس . من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ . في زمان الكليدار المرحوم . الشيخ عبدالحميد بن الشيخ طالب »[١] .

---

(١) تاريخ الامامين ص ٧٩ — ٨٠ .

الكاظمية في الموسوعات والمراجع العامة

احسن الوديعة

كاظمين - مدينة الخير والسرور . وبلدة طيبة ورب غفور . كثيرة البساتين والأشجار . وافرة الفواكه والثمار . رخيصة الأسعار . صحيحة الهواء . عذبة الماء . قليلة الداء . جيدة التّربة . رافعة الهم والكربة .

ليس فيها حرّ يؤذي في القيظ . ولا برد يؤذي في الشتاء .

معدن الشيعة والأبرار . ومركز العلماء والأخيار . فيها أسواق كثيرة : سوقها الكبير . ليس لها في العراق نظير : معروفة بسوق الاستّرابادي . اسسها بيت الاسترابادي . بعد سنة ١٣٣٩ هـ . مقابلة لباب القبلة من صحن الكاظمين . وكان محل هذا السوق قبلاً خاناً وخلفه - الى ان ينتهي الى آخر السوق - بستاناً خلفه خان المرحوم السيد صالح الجراغجي . وكان من أشراف سدنة الكاظمين - ع - فلما نقل مركز السكة الحديدية في هذا الموضع الحالي . صار الخان سوقاً . وكان مركز السكة الحديدية - الممتدة إلى بغداد سابقاً - قرب سراي الحكومة الحالي . الواقع على طريق الأعظمية . وقرب تل الأحمر : مقبرة الكاظمين - ع - .

وأما بيت الاسترابادي : فمن البيوتات الكبيرة في الكاظمين . وهم بيت نجابة تقيم العزاء الحسيني . في أيام محرم وصفر . ويطعمون الطعام

في هذه الأيام ، للسادة والعلماء وسائر طبقات أهل البلدة ؛ من ثلث آبائهم . وكان جدهم الكبير الحاج عبد الهادي الاستّرابادي ، المعروف بالورع والايمان ، هو الذي سعى [1] في عمارة الصحن الكاظمي .

وفيها — أيضاً — حمامات كثيرة :

احداها — حمام الدروازة ، وهو أقدمها .

والثاني — حمام الأمير ، واقع ، في محلة القطانة ، قرب العلاوي .

والثالث — حمام الميرزا هادي ، واقع خلف صحن الكاظمين ، من الجانب الغربي .

والرابع — حمام الجرموقة . بناه شيخنا العلامة الشيخ مهدي الجرموقي — رض — في ايام تركيا — قبل حادثة المشروطة . وكان دائراً برهة من الزمان ، لكنه خرُب واساسه باق حتى اليوم .

الخامس — حمام الملوكي ؛ الواقع مقابل مدرسة المرحوم الخالصي . بني سنة ١٣٤٩ واليوم دائر .

وفي هذه البلدة ؛ مساجد كثيرة ، وخانات غفيرة . وفي دورها سراديب تحت الأرض ..

ومن هذه البلدة إلى بغداد طريقان ؛ احدهما من الجانب الغربي ، وفيها السكة الحديدية .. والثاني من الجانب الشرقي ، الواقع على طريق تل الأحمر ..

أخذت هذه البلدة في الرقي ، واجتمعت الشيعة من جميع الأقطار يوماً فيوماً وقطنوا في جواره ، ولاذوا بقبره ، واستفاؤوا بأشعة أنواره ، وبنوا دوراً لأنفسهم .

قال في ص ٣٠٧ ، س ٩ ، من كتاب رياض السياحة ؛ المطبوع في طهران .. سنة ١٣٣٨ هـ مـا ترجمته : « الكاظمين ؛ قصبة تفتح القلب ،

---

(١) كان الحاج عبد الهادي الاستّرابادي متولياً .

ومكان يمد الروح . على فرسخ من بغداد . جوانبها الأربعة واسعة ؛ على الضفة الغربية من الشط . اكثر فواكهها .. غاية في الجودة ولا سيما تمرها .. وتشتمل على حوالي ثلاثة آلاف دار »[1] .

اعيان الشيعة

الكاظمية ــ أو بلد الكاظمين (عليهما السلام) بلد كبير . كثير الخيرات . وهي التي كان يقال لها مقابر قريش . وباب التبن . ولما دفن الإمامان موسى بن جعفر ؛ الكاظم ، وحفيده محمد بن علي الجواد ــ عليهما السلام ــ صارت حضرتهما مزاراً . وسكن الناس في جوارهما . حتى صارت بلدة كبيرة . وجميع أهلها شيعة . وخرج منها كثير من اعاظم العلماء[2] .

تاريخ الشيعة

الكاظمية ــ مرقد الامامين موسى الكاظم ، وحفيده محمد الجواد ــ عليهما السلام ــ وكانت تعرف بمقبرة قريش قبل أن يقبرا فيها . واتخذت مقبرة بعد سكنى بغداد . وتمصرت بعد أن تشرفت بجسديهما الطاهرين . وصارت مسكناً للشيعة ، شأن البلاد المقدسة ، التي يرغب الشيعة بسكناها لجوار ضرائح الأئمة من أهل البيت ؛ لأنهم يرون ان في مجاورة وزيارة تلك المشاهد الكريمة فضلاً ــ عند الله تعالى ــ وجاءت من طرقهم أحاديث جمة تدلهم على ذلك الفضل .

وسكنها الشيعة ، ايام بني العباس ، وتمصرت من ذلك العهد ؛ كما

---

(١) احسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة ، السيد محمد مهدي الاصفهاني ، طبعة بغداد سنة ١٣٤٨ هـ ، ج ٢ ص ٢٣٦ – ٢٣٨ .

(٢) أعيان الشيعة ، السيد محسن الامين العاملي ، طبعة دمشق سنة ١٩٤٤ ، ج ١ ق ٢ ط ٢ ، ص ٣٧٨ .

هو الشأن في غيرها من مراقد الأئمة من اهل البيت . وقد منيت كما مني سواها من مدن العراق الشيعية بشيء من زلازل السياسة المذهبية زمن بني العباس وآل عثمان . غير ان الشيعة في بغداد كانوا اشد محنة وبلاء من شيعة الكاظمية . وكثيراً ما تسلم من تلك المعارك الدموية المذهبية في بغداد أيام العباسيين والعثمانيين على قربها من بغداد .

نعم ، حادثة عام ٤٤٣ ؛ التي وقعت بين الشيعة والسنة ببغداد . والتي قال عنها ابن الاثير : وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر مثله في الدنيا .. تطاير شررها العظيم ، حتى بلغ الكاظمية ، فأحرق قبر الامامين – عليهما السلام – فكأنما أبت الناس إلاّ ان تقتدي بالرشيد ، والمتوكل [1] في الجرأة على القباب الرفيعة لأهل البيت . وقد يمنع العباسيون الشيعة ؛ في محلات بغداد الشيعية ، كمحلة الكرخ ، والمختارة ، وغيرهما ، عن قراءة مقتل الحسين – عليه السلام – واظهار شعائر الحزن عليه ، وقد يحدث الشغب والاضطراب من جراء ذلك المنع ، إلا انهم قد يرخصون ذلك في مشهد الامامين – عليهما السلام – كما فعل ذلك المستعصم آخر ملوكهم ... عام ٦٤١ و ٦٤٨ و ٦٥٣ . وكانت لها أمثال أيام الملوك من أسلافه كما جرى على تلك السيرة آل عثمان في بعض السنين .

وما زالت ، ولم تزل – شأن غيرها من البلاد المقدسة – مورداً من موارد العلم الجعفري . ونبغ فيها من العلماء الجم الغفير ؛ ممن كان منهلاً لعلوم اهل البيت ، ومصدراً لأهل الفضل ، ومقصداً لطلاب العلم ... ولكل من هؤلاء الأعلام ذرية من اهل العلم ؛ أصبحت أسراً واسعة ، تحتفظ بكرامتها . وهي ما تزال تقطن بلد الكاظمية .

وهي غير ناضبة من الأدب . وقد نبغ فيها شعراء عديدون ؛ أمثال

---

(١) كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علي وعن الطائفة ، ، وفعل من حرث قبر الحسين – عليه السلام – ما فعل .

الشيخ جابر (الكاظمي) الطائر الصيت ، وعبد المحسن الكاظمي ، الذي قطن مصر ؛ وسارت الركبان مغنية بشعره . وافتخرت الصحف بنشره . وفيها اليوم حركة أدبية محمودة [١] .

زهر الربيع

قبر (أبو يوسف) لم يكن معروفاً . وفي عشر السبعين بعد الألف . حفروا حفراً متصلاً بفناء الروضة الموسوية — على مشرفها السلام — فظهر قبر عليه صخرة ، فيها اسم (أبو يوسف) ، فبنوا عليه بنياناً ، مجاور القبة المقدسة [٢] .

نزهة الالباء في طبقات الادباء

أبو معاوية ، شيبان بن عبد الرحمن التميمي . النحوي . توفي ببغداد ، سنة ١٦٤ ، .. ودفن في مقابر قريش بباب التبن [٣] .

معجم الأدباء

علي بن عبد الله بن وصيف الناشيء .. كان يعمل الصفر ، ويخرّمه . وله فيه صنعة بديعة .. ومن عمله قنديل بالمشهد ، بمقابر قريش ، غاية في حسنه [٤]

الفتح القسي في الفتح القدسي

وصل يوم الاثنين ، سادس عشر ربيع الأول (سنة ٥٨٦ هـ) رسول

---

(١) تاريخ الشيعة ، لمحمد حسين المظفر ؛ طبعة النجف سنة ١٣٦١ هـ ظ ، ص ٩٩ — ١٠١ .
(٢) زهر الربيع ، للسيد نعمة الله الجزائري ، طبعة بمبي سنة ١٣٤٢ هـ ، ص ٢٤٣ .
(٣) نزهة الألباء في طبقات الادباء ، لابن الانباري ، طبعة بغداد سنة ١٩٥٩ ، ص ٢١
(٤) معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، طبعة رفاعي بمصر ، ج ١٣ ص ٢٨٥ .

دار الخلافة .. وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن بمدينة السلام . فتلقاه السلطان (صلاح الدين الأيوبي) بالاحترام والاكرام ، واحتفل لوصوله ، واستقبله لقبوله .. [١]

وفيات الاعيان

معز الدولة .. عم عضد الدولة ، أحد ملوك الديلم ، وكان صاحب العراق والأهواز .. كانت مدة ملكه العراق احدى و عشرين سنة وأحد عشر شهراً .

توفي يوم الاثنين ١٧ شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ، ببغداد ، ودفن في داره ، ثم نقل إلى مشهد بني له في مقابر قريش [٢] .

*

ابو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن جعفر بن محمد ؛ ابن الحجاج ، الكاتب الشاعر المشهور . توفي يوم الثلاثاء ٢٧ من جمادى الآخرة ، سنة ٣٩١ ، بالنيل . وحمل إلى بغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن عند مشهد موسى بن جعفر – رضي الله عنه – وأوصى أن يدفن عند رجليه ، وأن يكتب على قبره : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » [٣] .

*

ابو الحسن سريّ بن المغلّس ، السقطي ؛ أحد رجال الطريقة ، وأرباب الحقيقة . وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين . وقيل : يوم الأربعاء ، لست خلون من شهر رمضان ، بعد الفجر سنة ست وخمسين ، وقيل ٢٥٧ ،

---

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ، لعماد الدين الاصفهاني ؛ طبعة اوربا سنة ١٨٨٨ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٢) وفيات الاعيان ، لابن خلكان ؛ طبعة مصر ١٩٤٨ ، ج ١ ص ١٥٧ – ١٥٩ . والبداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦٢ .

(٣) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٢٧ – ٤٢٨

ببغداد. ودفن بالشونيزية.. وراء المحلة المعروفة بالتوثة.. و.. مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقابر الشونيزي، والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير [١].

*

ابو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي، التميمي، الملقب شهاب الدين، المعروف بحيص بيص، الشاعر المشهور.

كانت وفاته ليلة الأربعاء، ٦ شعبان سنة ٥٧٤، ببغداد، ودفن من الغد في الجانب الغربي، في مقابر قريش [٢].

*

ابو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف، المعروف بالناشيء الأصغر، الحلاّء، الشاعر المشهور. وهو من الشعراء المحسنين.

توفي سنة ٣٦٦. وقيل: انه توفي يوم الاربعاء لخمس خلون من صفر، سنة خمس وستين. [٣، ٤].

*

ابو القاسم علي بن اسحاق بن خلف، البغدادي، المعروف بالزاهي، الشاعر المشهور. ولد يوم الاثنين، لعشر ليال بقين من صفر، سنة ٣١٨. وتوفي يوم الأربعاء، لعشر بقين من جمادى الآخرة، سنة ٣٥٢ ببغداد. ودفن في مقابر قريش [٥].

*

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٠١ — ١٠٣.
(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٠٧ — ١٠٨
(٣) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٥١ — ٥٣.
(٤) وتراجع؛ صدا الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد؛ للشيخ محمد السماوي؛ طبعة النجف سنة ١٩٤١، ص ٦٨.
(٥) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٥٣ — ٥٥.

ابو طالب ، يحيى بن ابي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن فرغلي بن زبادة ، الشيباني ، الكاتب ، المنشيء الواسطي الأصل، البغدادي المولد والدار والوفاة . كان من الأعيان الأماثل ، والصدور الأفاضل . انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والانشاء والحساب .

ولد يوم الثلاثاء ٢٥ من صفر ، سنة ٥٢٢ . وتوفي ليلة الجمعة ، ٢٧ من ذي الحجة ، سنة ٥٩٤ ، وصلي عليه بجامع القصر ، ودفن بالجانب الغربي ، بمشهد الإمام موسى بن جعفر – رضي الله عنهما –[١] .

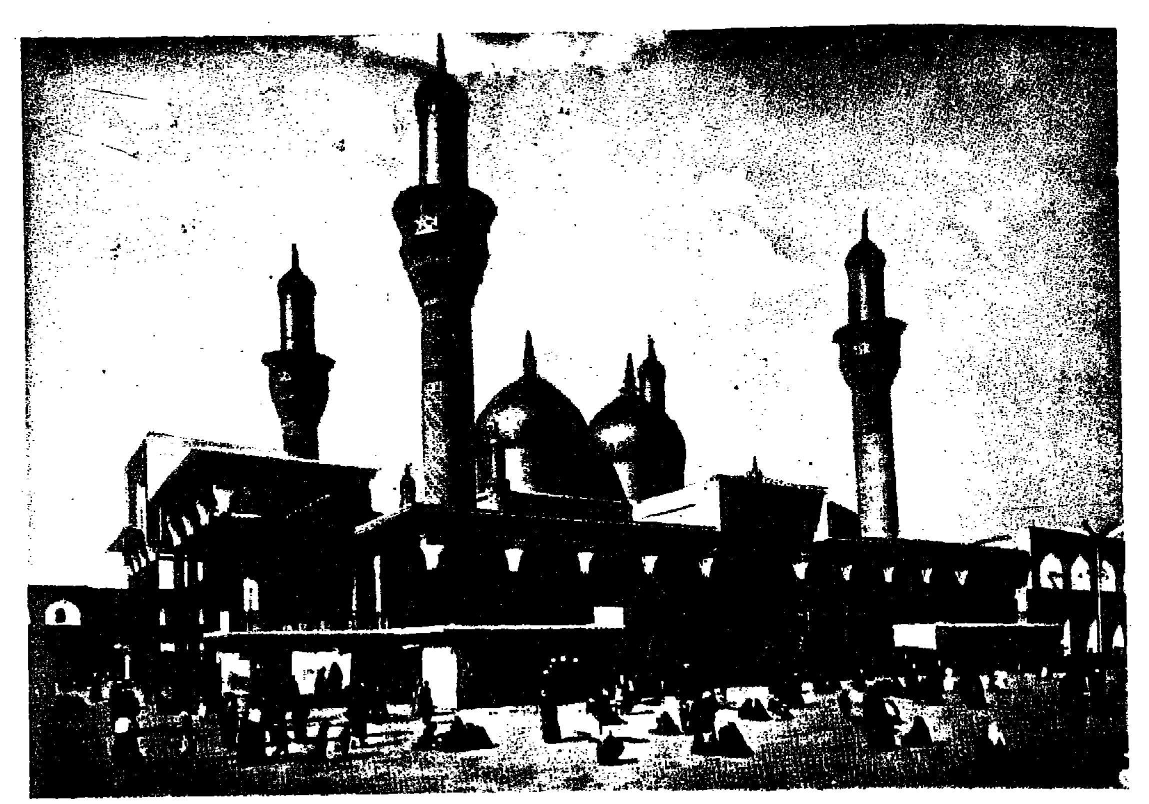
ابو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن عمان بن علي بن الحسين بن علي بن حوثرة ، الحرّاني الأصل ، البغدادي المولد والدار ، المنجنيقي ، الملقب نجم الدين ، الشاعر المشهور .

توفي .. في ليلة ٢٨ من صفر ، سنة ٦٢٦ ، ببغداد . ودفن يوم الجمعة ، غربيها بالمقبرة الجديدة ، بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر[٢] .

---

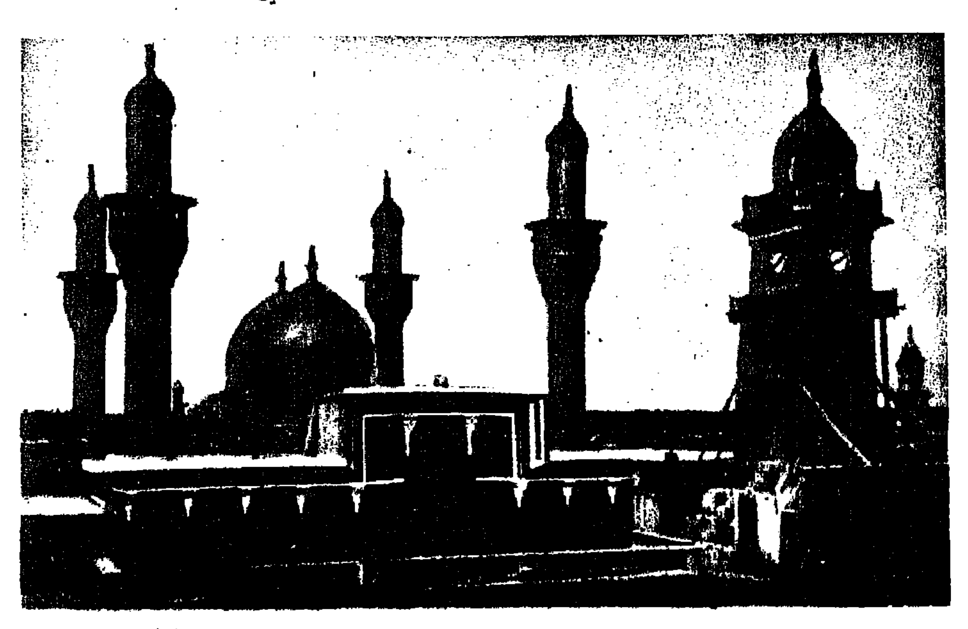
(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨٨ – ٢٩٢ .

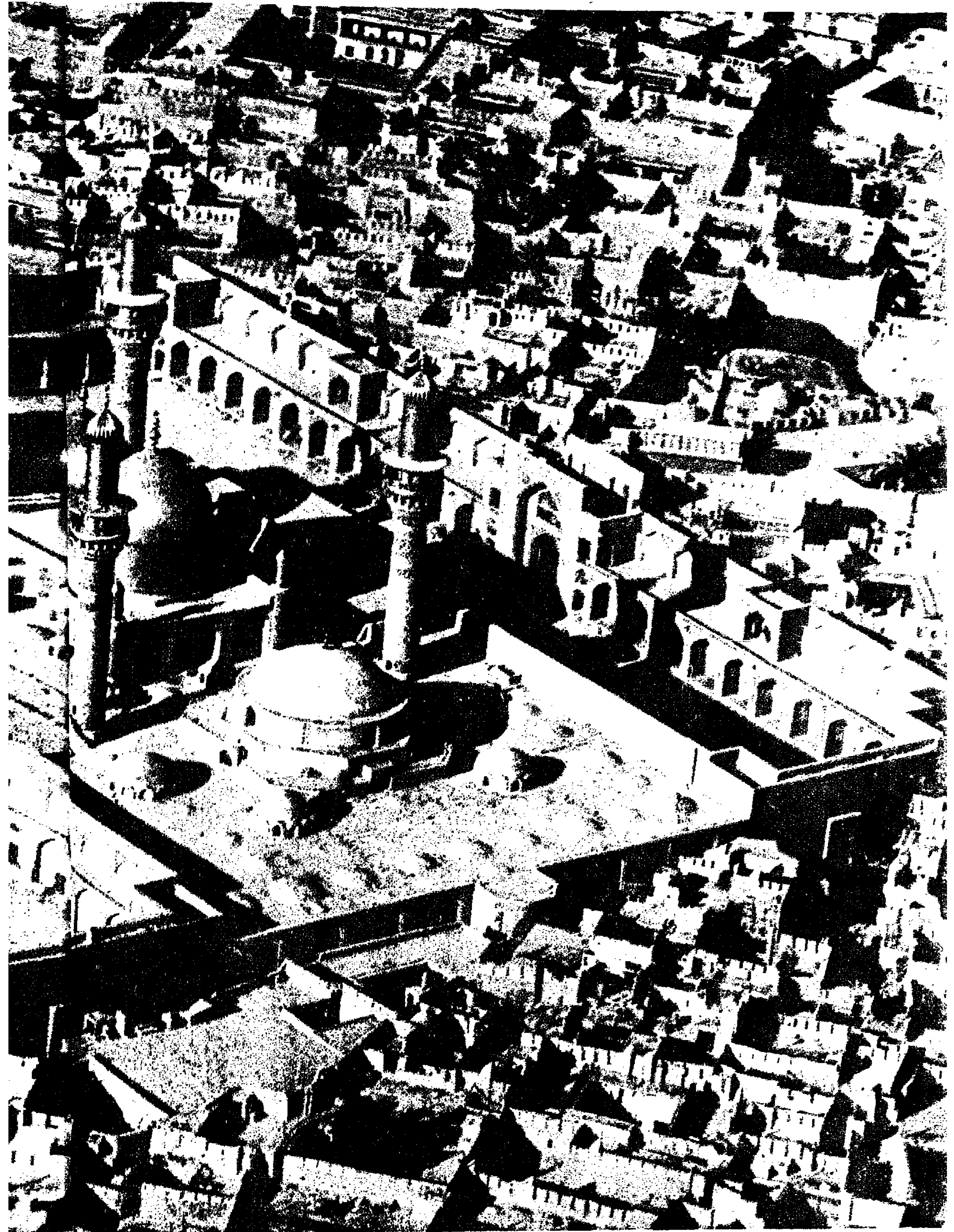
(٢) وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٥ – ٤٥ ، وتراجع الحوادث الجامعة ص ٨ .

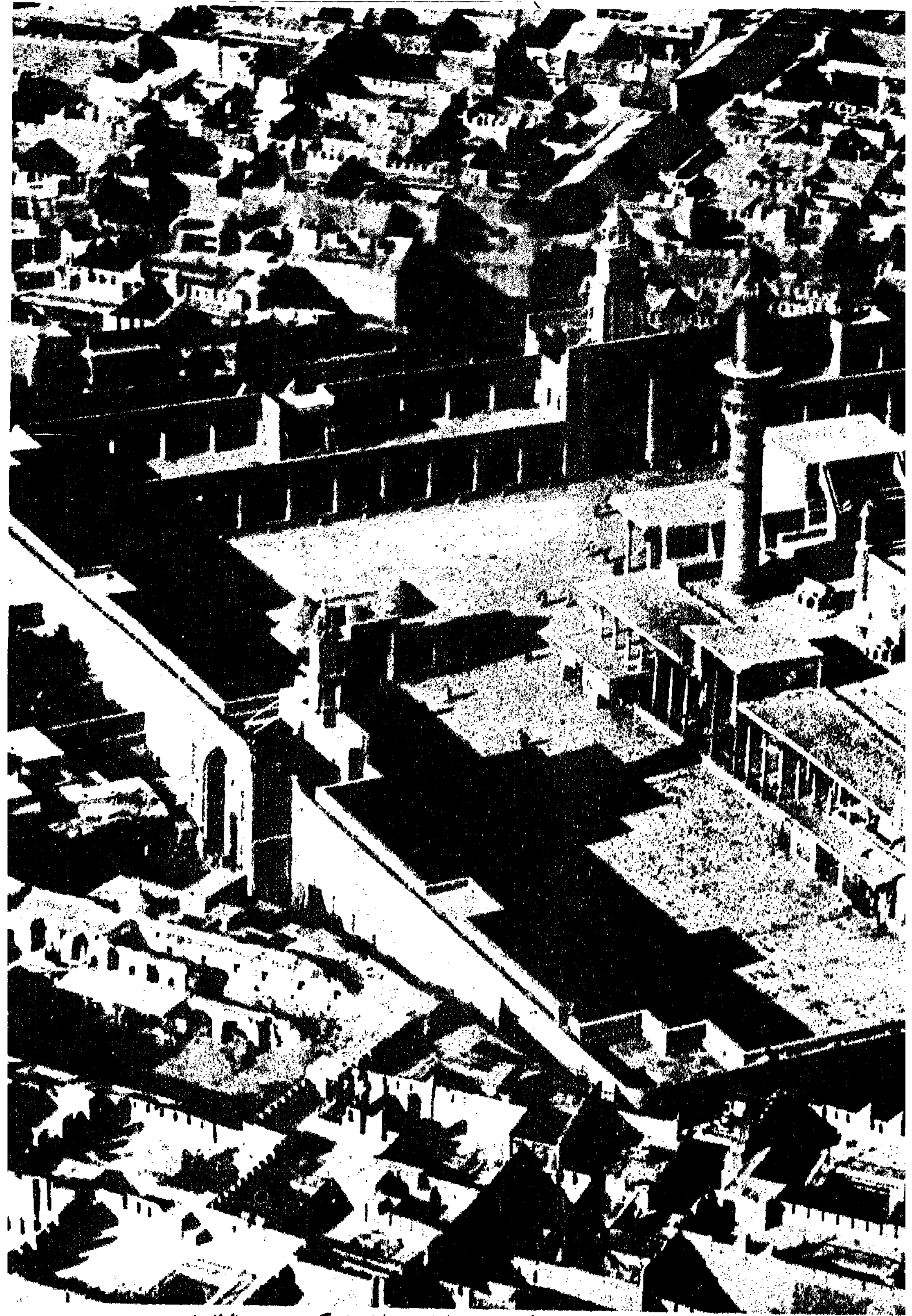


مرقد الامامين موسى بن جعفر وحفيده محمد الجواد

الساعة والمنائر والقبتان الذهبية من مرقد الكاظمين



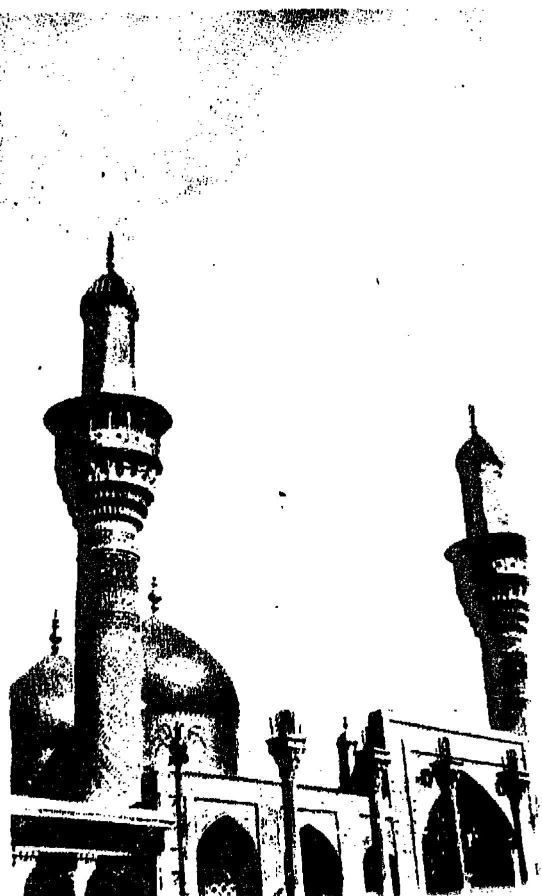




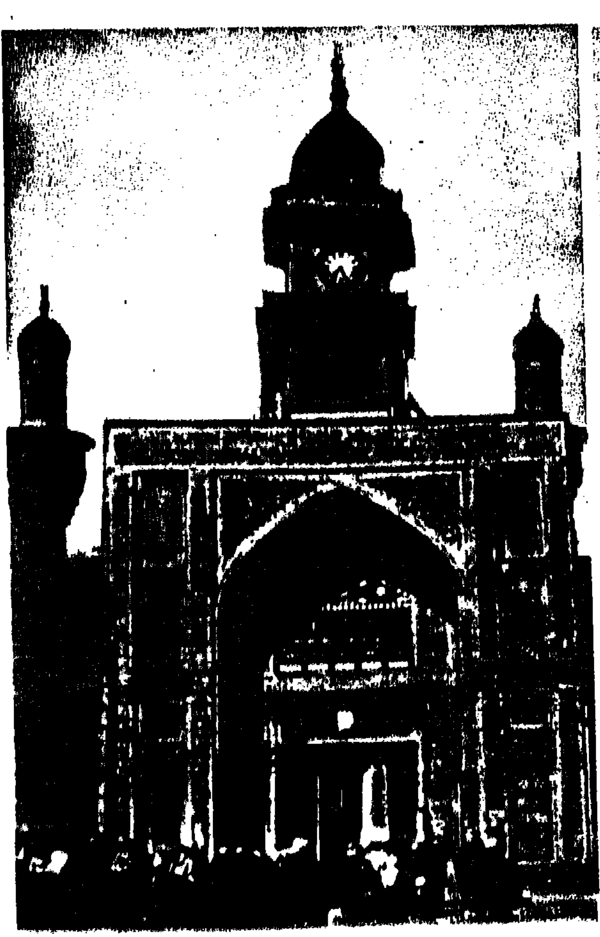
مدينة الكاظمين والمرقدان المطهران كما تبدو من الطائرة



احد مداخل صحن الكاظمين من المدينة



لمنارتان المواجهتان لباب الساعة من صحن الكاظمين



باب الساعة من صحن الكاظمين

الكاظمية في الرحلات

رحلة ابن جبير

عدّ ابن جبير قبر موسى بن جعفر [1] من مشاهد الجانب الغربي المعروفة في بغداد ، ومحلاّتها ، التي (كل محلة منها مدينة مستقلة) [2] .

« وفي الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام ، عليه مكتوب : هذا قبر عون ومعين ، من اولاد امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ، وفي الجانب الغربي ايضاً قبر موسى بن جعفر ، رضي الله عنه ، الى مشاهد كثيرة ممن لم تحضرنا تسميته من الأوليـــاء الصالحين والسلف الكريم رضي الله عن جميعهم » .

الاشارات إلى معرفة الزيارات

وأشار ابو الحسن علي بن أبي بكر الهروي إلى قبر الامام الكاظم ، والامام الجواد ، والأشراف ، في مقابر قريش ببغداد [3] .

رحلة ابن بطوطة

«وفي هذا الجانب (الغربي ، من بغداد) قبر موسى الكاظم .. وإلى

---

(١) رحلة ابن جبير ، طبعة اوربا سنة ١٩٠٧ ، ص ٢٢٦ . (٢) رحلة ابن جبير ص ٢٢٥ .
(٣) الإشارات الى معرفة الزيارات ؛ للهروي ، طبعة دمشق سنة ١٨٥٣ ، ص ٧٣ .

جانبه قبر الجواد . والقبران داخل الروضة ؛ عليهما دكانة ملبسة بالخشب ، عليه ألواح الفضة .. »[١]

رحلة المنشيء البغدادي

في الجانب الغربي من بغداد ؛ مرقد الامام موسى الكاظم ، والامام محمد .. (الجواد) ، وأبي يوسف القاضي الحنفي .

ومن بغداد اليها[٢] مسافة فرسخ . وهناك نحو ثلاثة آلاف بيت ، من العرب والعجم . كلهم شيعة أخبارية المذهب[٣] ، [٤] .

رحلة اديب الملك
سنة ١٢٧٣ هـ

في الكاظمين ١٠٠٠ بيت غير ان اهلها لا يتوسدون مخدة الراحة .. والسارقون لا يعدّون .. فيها خمسة رباطات (خانات) ، وأربعة حمامات ، حدائقها كثيرة ، ونخيلها أكثر من القول والبيان .

صحن الكاظمين المبارك ١٣٠ ذراعاً .. والامام موسى ، والامام (الجواد) مدفونان في ضريح واحد من الفولاذ .. القبة واحدة ، ولكنها في الخارج إثنتان . وهما من الذهب . وفيها أربع منارات كبيرة ، طول كل واحدة ٥٠ ذراعاً . وأربع منارات صغيرة . مذهبة من النصف إلى الأعلى . وكل ما كان من الجواهر ؛ فهو في محله ، خلف رأس الامام مسجد كبير جداً ، إحدى ابوابه من وسط القبة المطهرة . وقد صنع القبة المطهرة — أيضاً — سلاطين الصفوية .. وايوانان مباركان واحد في طرف القبلة ، والآخر في طرف المشرق .

يأتي كل سبت — من دار السلام بغداد — نحو ألفين او ثلاثة آلاف

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، طبعة مصر سنة ١٣٥٧ هـ ، ص ١٤١ . (٢) أي ؛ إلى الكاظمية .

(٣) لم تكن الكاظمية كلها أخبارية .

(٤) رحلة المنشيء البغدادي ؛ السيد محمد بن احمد الحسيني ، طبعة بغداد ، سنة ١٩٤٨ ، ص ٢٤ — ٢٥ .

امرأة ورجل يزورونها .. من بغداد القديمة إلى الكاظمين عليهما السلام اكثر من فرسخ واحد [١] .

رحلة ناصر الدين شاه
سنة ١٢٨٧

اول آثار العمران ، التي شاهدتها منائر الكاظمين وبقاعها .. جاء اهالي الكاظمية لاستقبالي ، وكانت النسوة يهلهلن .. ترجلت قبل باب الصحن وخرج الشيخ طالب الكايدار ، وجمع من الخدّام . طرفا القبلة المطهرة ، والايوان ، والعمود . والسقف ، صنعت بجودة ، والكاشي جيد جداً . ويعنون الآن بتذهيب الايوانات من فاضل ذهب قبة العسكريين –عليهما السلام– لم يكن فرش الروضة والرواق جيداً . فأمرت ان تقاس ، وان يجلب لها من زوالي فراحان . وكانت الجدران حول الصحن تحتاج إلى الترميم . وقلت للشيخ أخي المرحوم الشيخ عبدالحسين (الطهراني) أن يحسب نفقة ذلك .. ذهب محيط القبة .. من الشاه محمد الشهيد . وبناء القبة الأصلي صنعه الشاه اسماعيل الصفوي، تزجيج وسط القبة من ميرزا شفيع الصدر الأعظم للخاقان المغفور له .

الكاظمان في ضريح فولاذ واحد ، كبير جداً . والصندوقان الفضة في وسط الضريح الجديد بينهما فاصل صغير .

ازار الروضة من الكاشي المعرّق الممتاز جداً ، الذي يمكن أن يُعَدّ من الجواهر .. دعا السيد صادق علماء الكاظمية . وكان يعرّف بهم .. وأسماء العلماء والوجوه الذين كانوا حاضرين هم :

الشيخ محمد حسن ياسين . الشيخ حسن الشوشتري . الاقا السيد احمد . الاقاميرزا اسماعيل، امام الجماعة . الاقا الشيخ محمد بن الاقا الشيخ محمد علي .

---

(١) نسخة المؤلف بخطه ؛ عند حفيده ؛ استاذنا الدكتور محمد مقدم بطهران .

الاقا الشيخ صالح ، امام الجماعة . الاقا السيد محمد بن السيد محسن . الحاج ميرزا باقر . الاقاميرزا محمد الهمداني . الاقا الشيخ مهدي الشيخ عبد الغفار . الاقا الشيخ محمد بن المرحوم سيد العلماء . الاقا السيد ابو الحسن . صهر الشيخ محمد حسن القزويني . وخدام الكاظمين . الشيخ طالب الكليدار . الشيخ حسن بن الكليدار . الشيخ جواد ؛ رئيس الخدّام . الشيخ سلمان بن الكشيك . الحاج محمد هادي چراغچي باشي . الشيخ محمد مؤذن باشي . الشيخ هادي قابوچي باشي . الشيخ محمد ؛ اخو الكليددار . الخدام ٧٠ شخصاً ... [١] .

رحلات عبد الوهاب عزام

قصدنا الكاظمية ، وهي على مقربة من بغداد ؛ غربي دجلة . وبها مسجد الإمام الكاظم ، والإمام الجواد .

بلغنا المسجد المبارك ؛ فلما دخلنا ، بهرنا مرآه جمالاً وزينة . رأينا فناء واسعاً ، يحيط به أبنية ، فيها مكتبات ومدارس . ويحيط الفناء بمسجد رائع . يواجه القادم بباب جميل ، قد غشيت علياؤه بصفائح الذهب ، وارتفعت من فوقه ظُلة عظيمة من الخشب . ينهض بها عمودان رفيعان ، يغشيهما البلور .

وقد لاحت — فوق المسجد ، وعلى جانبيه — قبة ومنارتان في حلة من الذهب الوهاج .

وقفنا عند الباب ، فدعونا . ثم اجتزنا العتبة ، فاذا قباب صغيرة ، حول القبة الكبيرة ، في لألاء من البلور ، والذهب ، والفضة ؛ يحسر الطرف دون تأملها . وليس يفي الوصف بهذه المشاهد الجميلة .. [٢]

---

(١) رحلة ناصر الدين شاه « سفر نامه ناصر الدين شاه » سنة ١٢٨٧ هـ ، ص ١٠٦ — ١١١ — ١٢٥ .

(٢) رحلات عبد الوهاب عزام ، طبعة مصر ، سنة ١٩٣٩ ، ص ٤٤ — ٤٦ .

الكاظمية في الادلة وكتب الجغرافية

دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ – ١٩٣٦

ان عدد سكان [الكاظمية] الذين يسكنون المنازل ، هم : ٤٧٧٩٥ [١]

الدليل العراقي الرسمي
لسنة ١٩٣٦

جامع الكاظمين :

جامع عظيم ، فخم ، رحب الفناء ، مشيد الأرجاء ، رصين البناء ؛ مزخرف بأتم الزخرفة ، ومزين بأبدع النقوش .

وفيه قبر الامام موسى الكاظم ، والامام محمد الجواد – عليهما السلام – تعلوهما قبتان عظيمتان ، غشي سطحاهما بالذهب الخالص .

اعتنى فيه الملوك ، فعلقوا فيه النفائس داخلاً وخارجاً . وشيدوا المآذن الذهبية الوهاجة ، التي تخلب الألباب .

يؤمه عشرات الألوف من الزوار ؛ سنوياً [٢] .

---

(١) دليل المملكة العراقية ، لسنة ١٩٣٥ – ١٩٣٦ ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٥ ، ص ٨١٦

(٢) الدليل العراقي الرسمي ، لسنة ١٩٣٦ ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٦ ، ص ٦٦٧

بعد تأسيس الحكم الوطني — في العراق — سعى بعض المتمولين لإنشاء المعامل. وقد كانت فاتحتها .. معمل فتاح باشا بالكاظمية، لنسج الأقمشة وجدل الغزل.[1] ـ [2] .. الذي يزود العراق ـ والممالك المجاورة له بالأقمشة الصيفية، والشتوية؛ القطنية منها، والصوفية. والتي صارت تضاهي بشكلها ومتانتها أحسن الأقمشة الأوربية.

كما ان هذا المعمل يزود الجيش والشرطة، وطلاب المدارس العراقية قاطبة [3].

دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق

مرقد موسى الكاظم

هذا المرقد، الكثير الزخرف، قائم في مقابر قريش — في اصطلاح الخطط البغدادية. وقد سمي أولاً؛ (قبر موسى)، ثم (مشهد موسى) ـ ثم (المشهد الكاظمي)؛ نسبة إلى لقب الإمام المذكور.

ثم أسست حوله قرية، فنسبت إلى اللقب، وقيل لها الكاظمية. وهي بهذا الاسم معروفة اليوم.

صمم هذا البناء — وهو التربة، ذات الأروقة، التي يصح عليها أن تعد من الآثار. وقد تم بناؤها في سنة ٩٢٦ هـ — ١٥١٥ م كما جاء في نص الكتابة التي في كاشي بابها الشرقي.

وقد اضيفت إليها طرمات، وأكشاك، ومآذن صغيرة وكبيرة. وزخرف أكثرها بالزخارف الزجاج، والمعدن الوهاج؛ على الطريقة الفارسية الحديثة.

---

(١) اسس سنة ١٩٢٦ تلاحظ دليل المملكة العراقية ص ٤٦٩.

(٢) الدليل العراقي الرسمي ص ٨٨٧.

(٣) الدليل العراقي الرسمي ص ٧٩٠.

وعشر — تحت صندوق الروضة — على صندوق ؛ مرضع بالعاج ؛ يع آية من آيات الفن . وهو من آثار الشاه اسماعيل الصفوي ؛ المتوفى سنة ٩٣٠ هـ-١٥٢٣ م[1] .

اطلس بغـــداد

مدينة الكاظمية

عدد المحلات	٥			
مساحة اراضي المحلات	١٢	اولك	١٤٤٩	دونم
مساحة المزارع المجاورة للمحلات	١٢	اولك	١٠٩٢٧	دونم
مساحة نهري دجلة والخر	١٣	اولك	٩٢٣	دونم
مجموع المساحة	١٢	اولك	١٣٣٠٠	دونم
عدد النفوس « العراقيون »		٤٢٢٧٢		
	« الأجانب »	٦٤٠٤		
مجموع عدد النفوس		٤٨٦٧٦		
عدد الدور والقصور		٤٢٦٤[2]		
عدد الاكواخ والصرائف		٩٧٩[3]		
معدل الكثافة		٣,٤ لكل دونم عراقي ...[4]		

(١) دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق ؛ لجنة ابن سينا العراقية ، طبعة بغداد سنة ١٩٥٢ ، ص ١٢ .

(٢) نفوسها ٤٠٠٥٣ .

(٣) نفوسها ٥٥٢٠ .

(٤) اطلس بغداد ؛ الدكتور احمد سوسة ، طبعة بغداد سنة ١٩٥٢ ، ص ٢٤

المساحـــات والسكان
لمحلات الكاظمية وضواحيها

التسلسل	اسم المحلة	المساحة		عدد النفوس «العراقيون»	الكثـافة عددالسكان لكل دونم عراقي	الدور والقصور والعمارات		الاكواخ والصرائف وبيوت الشعر	
		اولك	دونم			العدد	النفوس	العدد	النفوس
١	الشيوخ	١	١٦٤	١٣٩٤٩	٨٥,٠	١٥٧٢	١٤٦٠٥	٢٥	١٩٠
٢	التـل	١	٦٠	٤٥٤٥	٧٥,٧	٥٦٥	٥٣٧٨	٤	٤٨
٣	الدباغخانة	١٧	٥١	٦٩١٠	١٣٥,٤	٧٨٩	٧٣٧٥	٣	١٣
٤	القطانـة	٢٠	٦٧	٧٠٤٤	١٠٣,٥	٧١٠	٧٩٨٣	—	—
٥	العطيفيـة	٢٣	١١٠٥	٩٨٢٤	٨,٩	٦٢٨	٤٧١٢	٩٤٧	٥٢٦٩
٦	المزارع والبساتين المجاورة الى المحلات الشمالية(١)	١٢	١٨٩٢	—	—	—	—	—	—
٧	الشالجية ومدينة المنصور ومايجاورهامن مزارع(٢)	٠	٩٠٣٥	—	—	—	—	—	—
	المجمـوع	٢٤	١٢٣٧٦[٣]	٤٢٢٧٢[٤]	٣,٤	٤٢٦٤	٤٠٠٥٣	٩٧٩	٥٥٢٠

(١) أحصي عدد سكان هذه المنطقة الريفية ضمن المحلات المجاورة .

(٢) احصي عدد سكان هذه المنطقة ضمن محلة العطيفية .

(٣) تبلغ مساحة نهري دجلة والحر – ضمن حدود الكاظمية – (٩٢٣) دونماً و (١٣) اولك وبهذا يكون مجموع مساحة هذا القسم من العاصمـــة (١٣,٣٠٠) دونم ، و (١٢) اولكاً .

(٤) بلغ عدد الأجانب في هذه المحلات (٦٤٠٤) نسمة . منهم (٣٣٥٧) من الذكور ، و (٣٠٤٧) من الإناث .

وبذلك يكون مجموع عدد نفوس المحلات المذكورة (٤٨٦٧٦) نسمة ، منهم (٢٤٣٦٣) من الذكور ، وما تبقى وهو (٢٤٣١٣) من الاناث .

وقد دلّ الإحصاء على أن حوالي (٩١٣٠) يقرأون ويكتبون . أي نسبة الذين يقرأون ويكتبون تبلغ (١٩) في المائة من السكان [١] .

(١) اطلس بغداد ص ٢٥ .

الدليل العام لتسجيل النفوس العام
لسنة ١٩٥٧

قصبة الكاظمية « مركز قضاء الكاظمية » :

شرقاً : نهر دجلة .

غرباً : أراضي الغرابية ؛ الفاصلة بين مركز شرطة الكاظمية ومركز شرطة الهور .

شمالاً : أراضي التاجية ، الفاصلة بين مركز شرطة الكاظمية ، ومركز شرطة التاجي .

جنوباً : منطقة الباغات ، وأراضي العكيدات ؛ الفاصلة بين مركز شرطة الكاظمية ومركز شرطة الوشاش .. [1]

دليل خارطة بغداد المفصل

خرج المنصور بنفسه يرتاد له موضعاً يسكنه ويبني فيه مدينة له ، ولعياله ولأهله ، ولجنده .. ثم أرسل جماعة من الحكماء.. فاختاروا له مدينته التي تسمى « مدينة المنصور » . وهي بالجانب الغربي ، قريبة من مشهد موسى والجواد ـ عليهما السلام ـ.. وفي هذا النص ما نستدل به على أن مدينة المنصور كانت قريبة من مقابر قريش التي دفن فيها الإمامان المذكوران .. [2]

ومن اهم المواضع التاريخية في هذه المنطقة ؛ المشهد الكاظمي . فهو زيادة على قدسيته ـ أهم مرجع خططي في تاريخ بغداد الغربية ؛ لمحافظته على موقعه الأصلي ؛ لمدة أكثر من الف ومائة وخمسين عاماً .

---

(١) الدليل العام لتسجيل النفوس العام لسنة ١٩٥٧ ، ص ١٣٩٩ .

(٢) دليل خارطة بغداد المفصل ؛ للدكتور مصطفى جواد ، والدكتور احمد سوسة ؛ طبعة بغداد سنة ١٩٥٨ ، ص ٤٥ . وتلاحظ ص ٤٨ و ٢٤٠ .

وكان المنصور أول من جعل هذا الموضع مقبرة . لما ابتنى مدينته . وأول من دفن فيها كان ابنه جعفر الأكبر . فقد توفي سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) . ثم صارت تدعى بالكاظمية ؛ نسبة إلى الامام موسى الكاظم . ودفن معه حفيده محمد الجواد –ع– فالأول دفن فيها في سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) ، والثاني في ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م).

وكانت تعرف هذه المقبرة بمقابر قريش . كما كانت تسمى أحياناً « مقبرة الشونيزي الصغيرة » ؛ لتمييزها عن مقبرة الشونيزي الكبير ، التي دفن فيها الشيخ جنيد . ولا يزال القسم الغربي من صحن المشهد يسمى « صحن قريش » إلى اليوم . ويروي المؤرخون أن زبيدة –زوجة هرون الرشيد ، وقد توفيت في سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) – وابنها الخليفة الأمين ، دفنا في هذه المقبرة أيضاً .

ودفن فيها –أيضاً– الأميران البويهيان . معز الدولة ، وقد توفي سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) ، وجلال الدولة ، المتوفى سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٤ م) .

وكان قد دفن فيها –قبلاً– القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفي ؛ صاحب كتاب الخراج ، المتوفى سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م) .

والإمام ابو يوسف من أصحاب الإمام أبي حنيفة . وقد تولى القضاء في بغداد سنة ١٦٦ هـ . فكان أول من دعي قاضي القضاة في الإسلام .

ولا يزال قبره ملاصقاً لسور المشهد الكاظمي من جهة الشرق .

وقد احتوت هذه المقبرة على قبور كثير من الوزراء ، والأعيان ، والسادة ، والعلماء . فمن أبناء الامام يوسف بن جعفر ابو شجة موسى ابن ابراهيم . كان متعبداً صالحاً ورعاً فاضلاً ، راوياً للحديث . قال مؤلف غاية الاختصار : « توفي أبو شجة [١] –ببغداد– وقبره بمقابر قريش ، مجاوراً لأبيه وجده –عليهما السلام– فحصت عن قبره ، فدللت عليه

---

(١) المعروف – عند النسابين – انه « ابو سبحة » لكثرة تسبيحه .

وإذا موضعه في دهليز حجرة صغيرة ملك مبارك الجوهري الهندي » .

قال : « وأبوه الامام إبراهيم المرتضى . كان سيداً أميراً ، جليلاً عالماً ، ، فاضلاً . روى الحديث عن آبائه — عليهم السلام — مضى ، إلى اليمن ، وتغلب عليها — في ايام أبي السرايا . ويقال إنه ظهر داعياً إلى أخيه الرضا — عليه السلام — فبلغ المأمون ذلك ، فشفعه فيه وتركه .

توفي في بغداد . وقبره بمقابر قريش عند أبيه — عليهم السلام — في تربة مفردة معروفة — قدس الله روحه وضريحه — » .

والظاهر أن لقب ابراهيم (المرتضى) التبس باسم الشريف المرتضى علم الهدى ، علي بن الحسين أخي الشريف الرضي ؛ المدفونين في حائر كربلاء ؛ عند جدهما الإمام الحسين بن علي . فظن بعضهم أن قبر ابراهيم هو قبر المرتضى علم الهدى ، أو قبر ابن المرتضى الآتي ذكره .

وممن دفن في مقبرة الامام موسى بن جعفر « ابن المرتضى » ابو الحسن علي بن المرتضى بن علي العلوي الحسني ؛ المعروف بالأمير السيد .

قال محب الدين ابن النجار : « ولد جده بنيسابور ، وكذلك والده المرتضى . ونشأ باصبهان ، ثم قدم بغداد . وولد له علي هذا بها . وقــرأ الفقه على مذهب أبي حنيفة ، حتى برع فيه وفي الخلاف . وقرأ الأدب ، وحصل منه طرفاً صالحاً . وسمع الحديث . ثم ولي التدريس بجامع السلطان (ملكشاه في محلة المخرم قرب دار السلطنة السلجوقية) وانتهت إليه رياسة أصحاب الرأي . وكان عالماً بالمذهب ، متديناً زاهداً في الرتب ، والولايات المنيفة ، كريم النفس . كانت داره مجمعاً لأهل العلم والأدب . وكان يكتب خطاً مليحاً . وله كتب كثيرة أصول ، بخطوط العلماء ، أسمع .. وحدّث باليسير .. مولده .. في ليلة الثلاثاء ١٢ ربيع الآخر ، سنة ٥٢١ ، ببغداد بدرب الشاكرية . توفي .. في ليلة الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من رجب ، سنة ٥٨٨ ، ودفن من الغد بمقابر قريش ..

وكان في الشمال الشرقي من مشهد الكاظمين مقبرة تدعى مقبرة باب

التبن . تقع في القطيعة الزبيدية . وكان قد دفن فيها عبدالله بن احمد بن حنبل، في سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) ؛ بوصية منه . إلاّ ان توغل نهر دجلة – في الجانب الغربي من هذه المنطقة – وفيضان المياه أديا إلى انهيار قبره في الماء . وكان ذلك ، في حدود منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، قبيل زيارة نيبهر لبغداد .. [١] .

الدليل الجغرافي العراقي

ويقع في الجانب الغربي من دجلة ، شمال غربي الكرخ . ويتكون من مدينة الكاظمية ، ومن مدينة المنصور وما يجاورها من مزارع وبساتين . ويرتبط هذا القسم بجانب الأعظمية بجسر حديث ؛ يعرف بجسر الأئمة .

واهم ما في هذا القسم بلدة الكاظمية . وهي احدى المدن المقدسة في العراق . يقع وسطها المشهد الكاظمي ، الذي يضم ضريحي الامامين ؛ موسى الكاظم ، ومحمد الجواد – عليهما السلام – .

ويقال : ان المنصور كان اول من جعل هذا الموضع مقبرة ، لما ابتنى مدينته المدورة ، في جواره . وان اول من دفن فيها كان ابنه جعفر الأكبر . ثم صارت تدعى بالكاظمية ؛ نسبة إلى الامامين الكاظم والجواد (ع) ؛ اللذين دفنا فيها ، في سنة ١٨٣ ، سنة ٢٢٠ هـ (٧٩٩ و ٨٣٥ م) على التوالي . وكانت هذه الترب ، تسمى قبل ذلك « مقابر قريش » [٢] .

*

مشهد الكاظمية – وهو يقع في الكاظمية ، في شمال غربي بغداد . ويعد هذا المشهد من أهم المواضع التاريخية .. [٣]

---

(١) دليل خارطة بغداد المفصل ص ١٠٠ – ١٠٢ .

(٢) الدليل الجغرافي العراقي ؛ للدكتور احمد سوسة ، طبعة بغداد سنة ١٩٦٠ ، ص ٢٢ .

(٣) الدليل الجغرافي العراقي ص٢٤ .

الموسوعة الإحصائية
عن التقسيمات الادارية في الجمهورية العراقية

الكاظمية (نفوسها)	١٢٦٤٤٣ [١]
مركز القضـــاء	٩٣٦٧٦ [٢]

في تقويم العراق

تألف الفوج العراقي الأول (موسى الكاظم)، في بغداد، في ٢٨ تموز، سنة ١٩٢١. وانتقل الى الكاظمين، في ١٧ آب.

ثم انتقل من ٧ إلى ٩ تشرين الأول، من الكاظمين إلى الحلة؛ حيث حل محل الحامية البريطانية، وفي سدة الهندية. ومنحه جلالة الملك فيصل، حين مغادرته الحلة لقب «فوج الكاظم» [٣].

وتألف فوج المشاة العراقي الثاني، في ١٠ آب، سنة ١٩٢١، وتوجه إلى الكاظمين، في ٧ تشرين الثاني، سنة ١٩٢١ [٤].

وتألفت «البطرية الجبلية الأولى» في بغداد، في ١٢ تشرين الأول، سنة ١٩٢١، وتوجهت إلى الكاظمين، في ١٢ تشرين الثاني [٥].

وتألفت البطرية الجبلية الثانية، في الكاظمين، في ١ كانون الثاني، سنة ١٩٢٢ [٦].

وتألف القسم الطبي، في بغداد، في تموز، سنة ١٩٢١، وأرسل منه

---

(١) الموسوعة الاحصائية عن التقسيمات الادارية في الجمهورية العراقية؛ وزارة الداخلية، طبعة بغداد سنة ١٩٦٢، ص ٢٩.

(٢) الموسوعة الاحصائية ص ٤٥.

(٣) تقويم العراق؛ دائرة معارف عامة لسنة ١٩٢٣؛ طبعة بغداد سنة ١٩٢٢ (؟)، ص ٣٦

(٤) تقويم العراق ص ٣٧. (٥) تقويم العراق ص ٣٧. (٦) تقويم العراق ص ٣٧.

مفرزات ، إلى الموصل ، والحلة ، والكاظمين .[١]

*

تأسست الكشافة في بغداد ، في زمن الحكومة التركية ، سنة ١٩١٥ وقد انتشرت في أنحاء العراق سنة ١٩١٦ .. وبعد ان تقدم المنخرطون في سلك الكشافة .. اقامت نظارة المعارف احتفالاً للكشافة سنة ١٩١٩ .. وعلى اثر احتفال الكشافة الأول ، انتشرت حركة الكشافة في بغداد .. حيث تألفت فرقة دار المعلمين ، الكاظمية ، السريان .. وأخيراً اقامت نظارة المعارف احتفالاً ثانياً للكشافة ، سنة ١٩٢٠[٢] .

* * * *

قدرت نفوس بغداد بـ ٢٠٠,٠٠٠ نسمة .. والكاظمية بـ ١٥,٠٠٠[٣] .

جغرافية العراق الثانوية

تقع قصبة الكاظمية ، في شمالي مدينة بغداد ، على ضفة دجلة اليمنى ، وبعيدة عنها .

وتحيط بها البساتين ، من جميع الجهات . وفيها مرقد الإمامين موسى الكاظم ، ومحمد الجواد ، اللذان يحيط بهما صحن واسع ، مستطيل الشكل . وزينت جدرانه بالكاشي المزخرف البديع .

وفوق المرقدين قبتان مذهبتان ، في أطرافهما أربع مآذن عالية ، مغطاة بصفائح ذهبية .

وبناء الحضرة من أفخم الأبنية المشيدة على الطراز الفارسي ، بالعواميد الخشبية العالية ، والسقوف المزخرفة المطعمة . أما الجدران ، فمزينة بالكاشي المزخرف .

ويؤم القصبة الزوار ، من جميع الأنحاء ، لزيارة الإمامين ، والتبرك

---

(١) تقويم العراق ص ٣٧ . (٢) تقويم العراق ص ٢٤٤ — ٢٤٥ . (٣) تقويم العراق ص ٢٥٤ .

بمرقديهما . وقد جاورهما العلماء الأعلام ، ورجال الدين الكرام . وتعد القصبة من المراكز الدينية الخطيرة . وتتصل ببغداد بخط ترام[١] ..
(ونفوسها ٢٨,٠٠٠)[٢] .

العراق قديماً وحديثاً[٣]

قضاء الكاظمية

الكاظمية – ويسميها البعض « الكاظم » ، و « الكاظمين » ؛ إحدى المدن المقدسة في العراق .

تحيط بثلاث جهات منها البساتين الكثيرة ، ذات الأشجار المختلفة ، والنخيل الوارف . وتجاورها من الجهة الرابعة مستنقعات[٤] ومدابغ . وكور عديدة للطاباق .. تبعد عن بغداد شمالاً خمسة كيلومترات . وكانت تربطها بها سكة ترام ... رفعت عام ١٩٤٦ م ...

أما شوارعها الحديثة ؛ فعريضة مزفتة ، وفنادقها الحادثة أنيقة . فهي تجمع بين القديم والجديد ..

وتدل إحصاآت سنة ١٩٤٧ .. أن عدد نفوس قضاء الكاظمية كانت (١١٥,٧٦٠) نسمة ..

ويروي حمد الله المستوفي .. أنّ الكاظمية بلدة قائمة بنفسها يقدر محيطها

(١) جغرافية العراق الثانوية ؛ لطه الهاشمي ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٣٩ ، ص ١٢٠
(٢) جغرافية العراق الثانوية ص ١١٥ .
(٣) كذا نقلنا صفة النجف من دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ – ١٩٣٦ ، في ص ١٨٣ – ١٨٩ من الجزء الاول من قسم النجف من موسوعة العتبات المقدسة ، وطرفاً من وصف كربلاء في ص ١٥١ – ١٥٢ من الجزء الاول من قسم كربلاء . وقد كتب الينا السيد عبد الرزاق الحسني : ان ما في الدليل هو مستفاد من كتابه الجامع « العراق قديماً وحديثاً » . فاقتضت الاشارة لذلك .
(٤) كانت قديماً وقد ازيلت قبل نحو من ربع قرن .

بستة آلاف خطوة ، وفي وسطها قبر الإمامين [١] ..

يقع المشهد الكاظمي في وسط مدينة الكاظمية . ويحيط به سور ضخم مستطيل ؛ طوله ١٢٣ متراً ، وعرضه ١١٨ متراً . وله تسعة ابواب ذوات أسماء خاصة لدى الأهلين [٢] .

وفي كل من ضلعيه الكبيرين ٢٥ إيواناً ، وفي ضلعه الشرقي ٢٣ إيواناً .

(و) لقضاء الكاظمية ناحيتان ؛ هما :

١ — ناحية الطارمية .

٢ — ناحية أبي غريب .. [٣]

---

(١) عبارة حمد الله المستوفي ؛ في كتابه نزهة القلوب — الذي الفه سنة ٧٤٠ هـ : انها « بليدة » .. تراجع نزهة القلوب طبعة اوروبا سنة ١٩١٣ ، ص ٣٥ .

(٢) منها ؛ باب القبلة ، الشارعة إلى الجنوب ، وباب المراد في الجانب الشرقي ، وباب صاحب الزمان في الجهة الغربية . والابواب الصغار ؛ اثنان في الجنوب ، واثنان في الشرق ، وواحد في الغرب ، واثنان في الشمال .

(٣) العراق قديماً وحديثاً ، للسيد عبد الرزاق الحسني ، طبعة صيدا ، سنة ١٩٥٦ ، ص ١١٦ — ١٢٢ .

الكاظمية في المراجع الغربية

كتبه وترجمه

من مختلف المصادر الغربية

جعفر الخياط

الحائز على درجة استاذ علوم M. S. C. من جامعة كليفورنيا

ومدير التعليم الثانوي والمفتش الاختصاصي في وزارة التربية سابقاً

ومدير التعليم المهني العام حالاً

١٩٦٧



الكاظمية في المراجع الغربية

مقدمـــة

يعد المشهد الكاظمي في مقدمة العتبات المقدسة التي يقصدها المسلمون للزيارة والتبرك ، ويتعبد فيها الزوار للأجر والثواب . ولم يكتب لهذا المشهد المطهر بأن تحظى تربته الزكية بمثل هذا التقديس والاعتبار إلا لكونها تضم بين طياتها رفات الامامين الكاظمين ، الذين جاهدا في سبيل العقيدة الحقة والدين القويم ، وحملا مشعل الامامة المضطهدة عالياً في أحلك الاوقات وأصعبها . ولئن شاء الله العلي القدير أن يلاقي الامامان الكاظمان ما تنوء به الكواهل من العنت والاضطهاد ، ويلاحقا في كل مكان او بلد ، فقد كتب لهما في الوقت نفسه ان يخلدا في قلوب الناس الى الابد ويقدسهما المسلمون الى يوم الدين .[1]

ولذلك فليس من المستغرب ان يقصد هذا المشهد القاصدون من غير المسلمين ايضاً ، فيزور الكاظمية الرحالون والمستشرقون ، ويمر فيها التجار والمسافرون ، ويتطرق الى ذكرها الكتاب والباحثون ورجال السياسة من الغربيين الذين كانت ولم تزل تجتذبهم هذه البلاد بما فيها من مزايا وكنوز . وقد تكون الكاظمية اكثر حظاً من سائر المدن المقدسة في هذا الشأن :

---

(١) راجع سيرة الامامين في صدر هذا الكتاب .

لموقعها القريب من بغداد مدينة الخلفاء واتصالها الوثيق بتاريخ العباسيين حضاراتهم .

وقد كتب عن الكاظمية عدد غير يسير من المؤرخين الغربيين ، كما أشار اليها او تطرق الى ذكرها في مختلف المناسبات عدد آخر غيرهم ، ولذلك سنحاول في بحثنا هذا أن نورد أهم ما كتب في هذا الشأن ولاسيما ما تكون له قيمة تاريخية أو أهمية انسانية حضارية في الأعم الأغلب ، الى جانب ما كتبه الموظفون الانكليز في ايام احتلالهم للعراق ، وفي خلال كفاح العراقيين لتكوين الحكم الوطني في البلاد .

الكاظمية في بداية عهدها

أن أهم ما كتب عن الكاظمية في اول أمرها ما كتبه المستشرق الانكليزي المعروف غي لسترنج في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية) [١] . فقد أفرد في كتابه القيم هذا ، الذي يبحث فيه عن خطط بغداد في بداية عهدها بالتفصيل ، فصلاً خاصاً (الفصل الثاني عشر) بعنوان « براثا ، والمحول ، والكاظمين » . ومما جاء فيه قوله [٢] :

وتقع شمال مقبرة الشهداء في باب حرب ، وأمام ضفة النهر ، مقبرة قريش الكبرى ، وكان يعرف قسمها الشرقي على الأغلب بمقابر « باب التبن » ، وكانت تتصل بقطيعة الزبيدية الواقعة بالقرب من هذا الموضع . وكان المنصور أول من جعلها مقبرة حينما ابتنى مدينته ، وأول من دفن فيها كان أبنه جعفر الأكبر الذي توفي سنة ١٥٠ (٧٦٧ م) . ولم يمض زمن

---

(١) Le Strange, Guy - Baghdad during the Abbasid Caliphate (Oxford 1900).

وهو الكتاب الذي نقله إلى العربية الاستاذ بشير فرنسيس ونشره في بغداد سنة ١٩٣٦ .

(٢) الص ١٤١ من الترجمة العربية .

طويل عليها حتى صارت تدعى بالكاظمية وما زالت تعرف بهذا الأسم ، نسبة الى الأمامين المدفونين فيها . وكان بالقرب منها قبر زبيدة أرملة هارون الرشيد ، وقبر ابنها الخليفة الأمين ، وكان يقع بجوارها كذلك قبرا الأميرين البويهيين معز الدولة المتوفى سنة ٣٥٦ (٩٦٧ م) وجلال الدولة المتوفى سنة ٤٣٥ (١٠٤٤ م) .

اما الأمامان اللذان نسبت اليهما الكاظمية فهما موسى الكاظم حفيد حفيد الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد الجواد أو التقي حفيد موسى الكاظم الذي سبق ذكره . وأولهما هو سابع أئمة الشيعة ، وثانيهما تاسعهم . وكان مقتل موسى على يد هارون الرشيد سنة ١٨٦ (٨٠٢ م) ، ويقال ان محمداً التقي توفي مسموماً في سنة ٢١٩ (٨٣٩ م) في عهد خلافة المعتصم .[١]

وقد تذكر الكاظمية أحياناً بانّها قائمة في الشونيزية ، فتكون مرادفة لمقابر قريش . ويروي الخطيب (مؤرخ بغداد) قائلاً « .. سمعت بعض شيوخنا يقول ان مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير . فقد كان هناك اخوان يقال لكل منهما الشونيزي ، ودفن واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين فنسبت المقبرة اليه » .

وقد عرفت المقابر الشمالية في بغداد الغربية بعد ذلك بمقابر « باب التبن » ، غير انه يظهر من موقع باب التبن ان هذا الأسم كان قد أطلق بوجه الأجمال على القسم الشرقي منها فقط[٢].

ولا يعلم من هو الذي قام بتشييد الكاظمية أولاً ، غير ان ياقوت يصفها في سنة ٦٢٣ (١٢٢٦ م) بقوله « .. وهي مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور » ، وتقع دورها في هذا التاريخ على مسافة من دجلة تقدر بألف ياردة تقريباً . ويروي المؤرخ الايراني حمد الله المستوفي الذي

---

(١) راجع سيرة الأمامين في صدر هذا الجزء وفي المدخل من موسوعة العتبات المقدسة .
(٢) راجع بحث الدكتور مصطفى جواد في اول هذا الجزء

جاء بعد ياقوت بقرن ، ان الكاظمية كانت بلدة قائمة بنفسها وكان محيطها يقدر بستة الاف خطوة ، وكان في وسطها ضريحا الأمامين الكاظمين . وقد أصبحت في عهودها الأولى مركزاً للشيعة في أثناء الخلاف الذي حصل بينهم وبين أهل السنة . وفي خلال المنازعات التي أعقبت ذلك هوجمت الكاظمية ونهبت ، غير ان أمراء آل بويه كانوا من جهة أخرى يقدمون الهدايا لهذه العتبة المقدسة على الدوام . والمقول أن الخليفة الطائع ، الذي حكم من ٣٦٣ الى ٣٨١ (٩٧٤ – ٩٩١ م) ، كان قد أم صلاة الجمعة في جامع الكاظمين أكثر من مرة .

وقد نهبت الكاظمية وأحرقت في سنة ٤٤٣ (١٠٥١ م) ، ثم أعيد بناؤها بعد مدة وجيزة لأن الملحوظ ان ملكشاه السلجوقي قد زارها سنة ٤٧٩ (١٠٨٩ م) ، وان الرحالة ابن جبير ذكرها باكبار واجلال خلال وصفه لبغداد . وقد التهبت النار قبة الأمامين سنة ٦٢٢ (١٢٢٥ م) ، في خلال حكم الخليفة الظاهر القصير الأمد ، فبدأ الخليفة بأعادة تعميرها غير ان المنية عاجلته في السنة التالية ، فأتم المستنصر الذي تولى الخلافة بعده عمل أبيه .

على أن اعظم ما حل بالكاظمية من نهب وتدمير ما حصل في فتنة سنة ٤٤٣ (١٠٥١ م) ، فورد بالمناسبة ذكر قبر زبيدة وقبر ابنها الخليفة الأمين للمرة الأولى بأنهما كانا قائمين فيما يقرب من هاتين التربتين الشيعيتين . والمعروف ان الأمين ، بعد ان قطع رأسه وبعث به الى المأمون في خراسان ، قد دفنت جثته فوراً في بستان قريب من باب الحديد على خندق طاهر . وأبعدت زبيدة مع أحفادها أبناء الأمين في أول الأمر ، الى الهمانية في منحدر دجلة ، ولكنه سمح لهم أخيراً بالعودة الى بغداد حيث توفيت زبيدة سنة ٢١٦ (٨٣١ م) أي بعد الحصار العظيم بنحو سبع عشرة سنة وقبل وفاة المأمون بسنتين . وقد جاء في الطبري ذكر وفاتها ، لكنه لم يتطرق الى موضع دفنها ، غير اننا نتذكر ان قطيعة زبيدة التي أقامت حاشيتها فيها ، تقع عند

باب التبن تماماً وتتصل بالكاظمية . ولذلك فمن المرجح ان تكون قد دفنت في هذه المقبرة .

وحدث في سنة ٤٤٣ (١٠٥١ م) خلاف بين السنة والشيعة في بغداد الغربية ، على باب في الكرخ اراد الشيعة نقش كتابة عليها لم يوافق أهل السنة على ما جاء فيها . وقتل زعيمهم خلال النزاع فدفن في اليوم الثاني في مقبرة الشهداء عند قبر ابن حنبل ، وتجددت الاضطرابات في هذا اليوم مرة أخرى فقصد أصحابه مشهد الكاظمين ونهبوا ما فيه من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك . ولما كان الغد قصدوا المشهد ثانية وأشعلوا النار فيه فاحترقت قبابه [١] المصنوعة من خشب الصاج ، وامتد لهيب النار أيضاً الى

(١) الص ١٦٤ من الأصل الانكليزي .

مقبرة الست زبيده وهي على مقربة من مدينة الكاظمين .



القبرين المجاورين للأميرين البويهيين معز الدولة وجلال الدولة . وحينما استنفدت النار هذين القبرين التهمت قبر جعفر بن الخليفة المنصور وقبر الأمين مع قبر أمه زبيدة . وكانت الجموع تقوم بأعمال وحشية مرعبة في الوقت نفسه . ويعد ابن الأثير الذي يصف لنا هذا الحادث بأسهاب أول مؤرخ يعين موضع قبر زبيدة . ولما لم يكن هناك سبب يدعونا الى الشك في هذه المعلومات فيمكننا ان نقول ان قبر زبيدة كان موجوداً بالقرب من الكاظمين في منتصف القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي) . ولا ريب في ان ذلك يقضي على الزعم الشائع الآن بأن قبر زبيدة هو البناء الحديث القائم بالقرب من قبر معروف الكرخي على بعد ثلاثة أميال جنوبي الكاظمية ..

وآخر ما يورده لسترنج في هذا الشأن كذلك ما يشير الى وجود قبر مشهور آخر في مقابر قريش ، وهو قبر عبدالله بن أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٩٠ (٩٠٣ م) . فهو يقول ان عبدالله هذا كان قد أوصى بأن يدفن هنا أي في المقبرة التي وراء باب التبن وليس بالقرب من قبر أبيه لأنه كان يقول: (صح عندي ان بالقطيعة نبياً مدفوناً ، ولأن أكون في جوار نبي أحب الي من ان أكون في جوار أبي .) وعلى هذا فقد كان قبره ما بين الكاظمية وقطيعة زبيدة ، وقد ظل قائماً الى حين قيام ياقوت بتدوين كتابه في القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) ولو انه كان متهدماً معظمه .

ويشير لسترنج في موضع آخر من كتابه هذا (الفصل الرابع والعشرون) الى ما أصاب المشهد الكاظمي من حريق وتدمير في أثناء استيلاء هولاكو على بغداد . فيقول ان فتح هولاكو لبغداد أعقبه نهبها وأباحتها لمدة أربعين يوماً وان النيران التي اندلعت السنتها بهذه المناسبة التهمت ما جاء أمامها وخربت جامع الخليفة ومشهد الأمام موسى الكاظم ، مع قبور الخلفاء في الرصافة .

وفي كتابه الآخر (بلدان الخلافة الشرقية)[1] يشير لسترنج كذلك الى ان

---

(١) Le Strange, Guy - The Lauds of the Eastern Caliphate (Cambridje 1930). الص ٣١ .

المقابر الشمالية التي كانت تقع ما وراء محلة الحربية من بغداد الغربية في عهد العباسيين ، اشتهرت موخراً بأسم الكاظمين وسميت بهذا الأسم نسبة الى أثنين من أئمة الشيعة العظام .

ويؤيد ذلك أيضاً ما جاء في كتاب (الرافدان) [1] لمؤلفه المستر سيتون لويد ، الذي عمل خبيراً لمديرية الآثار القديمة في العراق مدة طويلة من الزمن . فهو يقول بعد الأشارة الى نشوء القسم الشرقي من بغداد في بادىء الأمر . ان مقبرتين قد دشنتا فيها : أحداهما في موقع مقبرة زردشيته قديمة تسمى الأعظمية في يومنا هذا ، والأخرى في شمال المدينة المدورة حيث تحوط جامع الكاظمين اليوم بضريحي أثنين من الأئمة الأثني عشر . ثم يشير الى ان الخليفة المنصور نفسه قضى نحبه بعد الانتهاء من تشييد بغداد ، ولئلا يتسنى لأي عدو من أعدائه العبث برفاته في يوم من الايام حفر له مئة قبر ثم دفن سراً في قبر آخر غيرها . ويقول لويد في مناسبة [2] أخرى ان المنصور حينما عزم على أنشاء بغداد انتخب لها بعد مداولات متطاولة مع مشاوريه ، ومع الفلاحين النازلين في دورة من دورات دجلة على مقربة من جنوبي الكاظمية الحديثة .

الكاظمية فيما كتبه دونالدسون وريشارد كوك

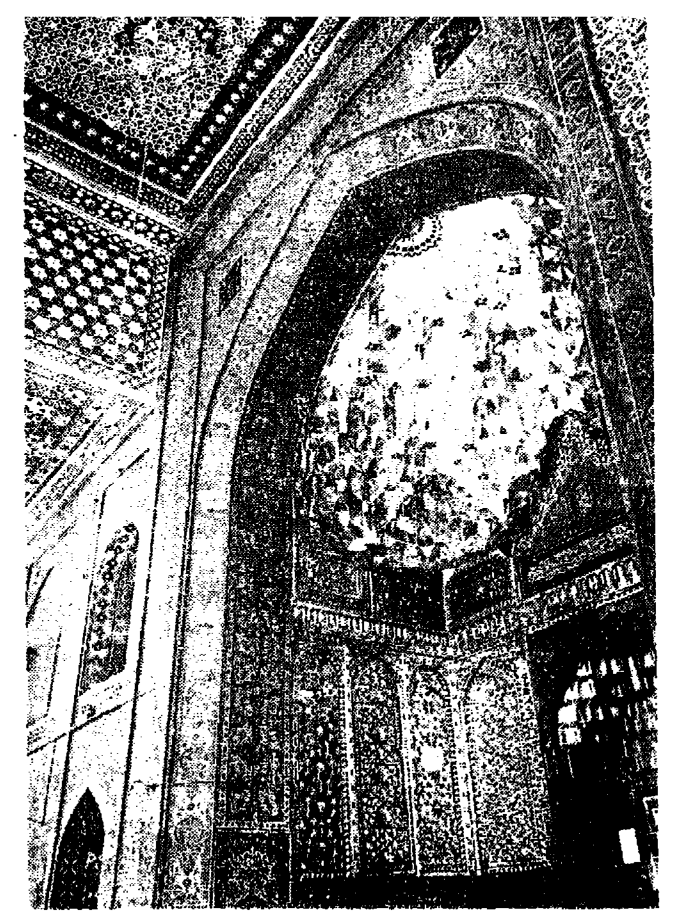
ويأتي الدكتور دوايت دونالدسون في كتابه (عقيدة الشيعة) [3] الذي سبقت الأشارة اليه بكثرة في هذه الموسوعة ، على الكثير مما يلقي الضوء على الكاظمية في بداية عهدها كذلك . فقد زارها مع زوجته في ١٩٢٨ ، وهو يقول ان كل

---

(١) Lioyd, Seton Twin Rivers (Oxford University Press 1943) الص ١٥٨ .

(٢) المرجع الاخير ، الص ١٥٥ .

(٣) Donaldson, Dwight M The Sh'ıte Religion, A History of Islam in Persia & Iraq (London 1933). الفصل ١٢ ، الص ١٩٨ .



سقف المدخل لضريح الامامين الكاظمين

من يصل الى بغداد من الشمال أو الغرب لا بد من أن يجتذبه منظر المآذن المذهبة الأربع في الكاظمية التي يوجد فيهـــا المشهد الكاظمي المشهور في العالم الأسلامي .

ثم يقول عن المشهد المطهر نفسه ان البنيان بشكله الحالي يرجع بتاريخه الى بداية القرن السادس عشر ، وقد أبقي بحالة ممتازة من العمران حتى اليوم . وهو يمثل التجديد الذي كان قد أمر بأجرائه الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٢ — ١٥٢٤) ، برغم التزيينات التي أدخلها فيه السلطان سليمان القانوني حينما فتح بغداد سنة ١٥٣٤ ومكث فيها أربعة أشهر قام خلالها بزيارة العتبات الشيعية المقدسة . على أن الألواح او الصفائح الذهب التي كسيت بها القبتان كان قد صرف عليهـــا في ١٧٩٦ أغا محمد خان أول شاهات الأسرة القاجارية المالكة . وفي سنة ١٨٧٠ أمر ناصر الدين شاه بأصلاح هذه الصفائح في المآذن وأحدى القبتين . ويستند دونالدسون في قوله هذا على ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية .١

ثم يتابع دونالدسون بحثه في تاريخ المشهد الكاظمي فيقول أنه يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار ان الأمامين الكاظمين المدفونين في هذا المشهد قد توفيا في بداية القرن الثامن للميلاد ، وأنه يلاحظ من هذا ان سبع مئة سنة كانت

---

(١) Gible, H. A. R. & Kramero, G. H. — Encyclopedia of Islam, art. «Kaz imain ».

قد مرت على الضريحين المطهرين قبل ان يقوم الشاه اسماعيـل الصفوي بتجديدهما . وكان الأمامان عليهما السلام قد عاشا في ايام بغداد الأولى حينما كانت أسوار مدينة المنصور المدورة لا تزال قائمة في الجانب الغربي من دجلة . وكانت هناك مدافن في شمالها وشمالهـا الغربي تسمى بأسماء مختلفة : مقبرة باب الشام ، ومقبرة العباسيين ، ومقبرة باب التبن . وقد دفن الأمامان الكاظمان في غرب مقبرة باب التبن مباشرةً . ولكن المنطقة الشمالية كلها أصبحت تسمى مقبرة قريش بوجه عام حينما كتب ياقوت كتابه المعروف . هذا ويذكر دونالدسون كذلك ان الشيعة يدعون بأن الأمامين قد قتلا بالسم ، بأمر من الخليفتين الحاكمين . لكنه من المهم ان يذكر أيضاً بالنسبة لوفاة الأمام الجواد ان مراسيم الدفن والفاتحة كان قد قرأها على روحه الطاهرة ممثل عن الأسرة المالكة ، وهذا من شأنه ان يميز الأمام عليه السلام باعتباره من الشخصيات المهمة . ويستند دونالدسون في روايته هذه على خبر يرويه الكليني في كتابه (اصول الكافي الص ٢٠٣) .

اما ما يختص بزيارة الضريحين المقدسين في المشهد الكاظمي المطهر ، والوقت الذي بدأ فيه الناس بها ، فيقول دونالدسون ان المعلومات الوحيدة المتيسرة بشأنها هي ما يروى عن ما قاله الأمام الرضا عليه السلام لأتباعه عن كيفية زيارة قـبر والده الأمام الكاظم في الظروف التي كانت السلطات الحكومية في بغداد تمنع الناس فيها عن الزيارة . فقد أشار عليهم بتأدية واجب الزيارة ، والصلاة عليه ، من وراء سور المشهد المطهر او في المساجد المجاورة له . وقد أخبرهم أن ذلك يعادل زيارة قبر الأمام الحسين في كربلاء ، أو ضريح الأمام علي في النجف . وما يستنتج من هذا هو ان نوعاً من أنواع البناء حول الضريح المطهر كان قائماً في ذلك الوقت المبكر من تاريخ المشهد المقدس ، وأن سوراً كان يقوم من حوله . والمعروف ان هناك رواية مماثلة أخرى تروى عن الأمام علي الهادي الذي بدأت أمامته بعد ذلك ، في أواخر

خلافة المعتصم . أذ يروى عنه أنه أوصى بالتوصيات التالية من أجل زيارة الضريح المقدس :

« فأذا أردت زيارة قبر موسى بن جعفر وقبر محمد بن علي بن موسى فعليك أولاً أن تستحم وتطهر نفسك ، وأن تتضمخ بالطيب وتلبس البستك النظيفة ، وعليك بعد ذلك ان تقول ما يأتي عند قبر الأمام موسى :

السلام عليك يا صديق الله
السلام عليك يا دليل الله
السلام عليك يا نور الله
ايها النور الذي ينير الظلمة في أنحاء الأرض
جئتك زائراً ، معترفاً بحقك
كارهاً لأعدائك ، ومصادقاً لأصدقائك
فتشفع لي عند ربك .

وحينما تسنى للبويهيين ان يأخذوا زمام السلطة في بغداد بأيديهم ، أعلنوا اعتبار العشرة الأولى من شهر محرم الحرام من أيام الحزن والحداد على الحسين عليه السلام ، وكثيراً ما كانوا يتحفون المشهد الكاظمي بالهدايا والهبات . ويروى عن الخليفة الطائع أنه كان يوم المصلين في جامع الكاظمية أيام الجمع ولذلك يلاحظ ان المشهد الكاظمي قد أصبح له شأن يذكر في ظل البويهيين .

ويقول [١] دونالدسون ان هذه الفترة بالذات ألفت فيها الكتب الشيعية الأربعة ، التي تحتوي على معظم عقائد الشيعة وتقاليدهم . فقد توفي الكليني في بغداد سنة ٩٣٩م بعد الأنتهاء من تأليف كتابه العظيم (الكافي في أصول الدين) . وكان ابن بابويه قد جاء الى بغداد من خراسان في ٩٦٦ فكرّس وقته كله للكتابة والتعليم ، حتى أصبح كتاب (من لا يحضره الفقيه) الذي

---

(١) الص ٢٠٢ .

ألفه من أعظم كتب الشيعة في الفقه والعقائد . وبعد ان توفي ابن بابويه بستة عشر عاماً قدم الطوسي الى بغداد من خراسان كذلك ، وفيها كتب الكتابين الآخرين من كتب الشيعة الكبيرة الأربعة ، وهما كتاب (تهذيب الأحكام) وكتاب (الاستبصار) .

على ان هذا الدور الذي استطاع فيه الشيعة ان يمارسوا عباداتهم وطقوسهم بحرية ، تحت ظل البويهيين ، لم يمر بسلام عليهم في بغداد . فقد هوجموا سنة ١٠٥١ في الكرخ ، وهوجم المشهد الكاظمي فنهب وأحرق كما مر ذكره فيما كتبه لسترنج عن الموضوع . لكن هذا الحادث الأليم لم يمر عليه سوى مدة وجيزة حتى حل سلاطين الأتراك السلجوقيين في محل البويهيين الفرس في الاستئثار بالسلطة ، وعزل الخليفة عن شؤون الدولة ومهامها الجسيمة . غير ان السلجوقيين هؤلاء لم يصدر منهم ما يسيء الى المشهد الكاظمي بشيء ، وحينما زاره السلطان ملكشاه في سنة ١٠٨٦ كانت الأضرار التي لحقت به من جراء مهاجمته قبل خمسة وثلاثين عاماً قد تلوفيت على ما يبدو .

وقبل ان تنقضي مئة عام على هذا الحادث ، قدر للمشهد الكاظمي المطهر ان تشب فيه النيران من جديد فتنزل به أضراراً فادحة . وقد اعتبر هذا شيئاً بالغ الأهمية بحيث أصبح أمر إعادة تعميره المشهد المهمة الكبير الوحيدة التي اضطلع بها الخليفة الظاهر خلال مدة حكمه القصيرة ، كما يذكر ابن الطقطقي في (الفخري) . وكان ابن الطقطقي هذا قد خلف يومذاك والده في الأشراف على شؤون العتبات الشيعية القريبة من بغداد . ويقول الدكتور دونالدسون ان هذا مع أنه يدل على تمتع الأقلية الشيعية في بغداد بشيء من الحقوق في نطاق ضيق ، فأن مقرهم لم يعد له وجود في بغداد نفسها وانما انتقل الى الحلة وأعطيت أهمية أكبر الى النجف وكربلاء باعتبارهما من مراكز الزيارة المهمة .

وتعليقاً على ما يذكره دونالدسون حول التعميرات التي أجريت في المشهد الكاظمي بأمر من أقا محمد شاه القاجاري نقول ان المراجع العربية (العراق

بين احتلالين) تذكر ان العمل بدأ بها في سنة ١٢٠٧ هـ ، وكان يتضمن أتمام ما كان الصفويون قد بدأوا به من قبل . وتشتمل هذه التعميرات على أنشاء المنائر الكبرى الثلاث ، وكانت الرابعة قد شيدت في عهد السلطان سليم العثماني كما مر سابقاً . ومن تلك الأعمال كذلك تأسيس صحن واسع يحيط بالحرم من جهاته الشرقية والجنوبية والغربية ، وتخطيط الصحن بحيث اتخذ شكله الحالي . وقد استمرت التحسينات والتعميرات في ايام فتح علي شاه كذلك بعد ان توفي أقا محمد شاه ، فنقش باطن القبتين بماء الذهب والميناء وقطع الزجاج الملون . على أن أبرز أعمال هذا الشاه كان عمله في تذهيب القبتين والمنائر الصغار الأربعة ، وكان ذلك في سنة ١٢١١ للهجرة .

اما المستر ريتشارد كوك فيورد في كتابه (بغداد مدينة السلام) [١] كثيراً مما يختص بتاريخ الكاظمية وأحوالها ، مما يقارب بوجه العموم ما يورده المؤرخون الغربيون الآخرون . فهو يقول عن نشوء الكاظمية ، في معرض بحثه عن خطط بغداد ، ان مقبرة كبيرة كانت قد اتخذت في خارج باب التبن فكان من اول من دفن فيها جعفر بن الخليفة المنصور . وقد أصبحت هذه المقبرة فيما بعد مدفناً لأمامين من أئمة الشيعة ، وتسامت فوق ضريحها عتبة الكاظمية الفخمة ، التي لا تزال من ابرز المعالم في يومنا هذا .. واستدعت كثرة العبور والتنقل بين جانبي المدينة أنشاء جسرين آخرين من الزوارق : أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب ، وصار الجسر الشمالي يربط القسم الشمالي من ربض الحربية ، أي الزبيدية وباب التبن ، بالقسم الشمالي من الرصافة .ويمثل هذا الجسر اليوم على وجه التقريب الجسر الذي يربط الأعظمية بالكاظمية . اما الآخر فقد كان يربط الكرخ بالقسم الجنوبي من المخرم ، ويمثله تقريباً

---

(١) Cope, Richard — Baghdad The City of Prace (London 1935)

هذا اليوم معبر القطار[1] (اي الجسر الحديد في الصرافية الذي أنشيء بعد كتابة ريتشاردكوك لكتابه).

ثم يقول في موقع آخر[2] .. وفي هذه المقبرة الكائنة في خارج باب التبن، ربض بغداد الغربية، دفن في سنة ٨٠٢ موسى الكاظم سليل الحسين من الظهر الرابع وشهيد كربلاء الذي يقدسه الشيعة باعتباره الأمام السابع من أئمتهم وقد كانت وفاته تعزى الى الحبس الذي فرضه عليه هارون الرشيد بعد ان صار يخشى نفوذه وتأثيره في الناس. وبعد ثلاثين سنة دفن حفيده محمد التقي تاسع أمام، في البقعة نفسها فأصبحت تسمى في النهاية «الكاظمين». ودفن هنا أيضاً القاضي الحنفي المشهور أبو يوسف معتمد الرشيد وموضع ثقته، وما زال قبره قائماً هناك حتى اليوم. وبانحطاط بغداد الغربية في السنين المتأخرة، وتقلص حجمها. بطل استعمال المقبرة للدفن فنشأ ربض مستقل حول ضريحي الأمامين له اسواقه واسواره. ومن المحتمل ان تكون زبيدة زوجة هارون الرشيد قد دفنت هنا، وكذلك ابنها الخليفة الأمين السيء الطالع، لكن قبورهم قد اختفت وقت الاحتلال المغولي في القرن الثالث عشر الذي دمر المشهد الكاظمي فيه تدميراً غير يسير .. وأخيراً فأن أحد المؤرخين في القرن الثالث عشر، وهو ابن الأثير، يذكر بالفعل ان زبيدة كانت قد دفنت في الكاظمية صراحة، مع انه الوحيد في ايراد هذا الخبر.

ويشير المستر كوك كذلك (الص ١٠٨)، عند بحثه عن البويهيين وتشيعهم الى ان معز الدولة قد دفن بعد موته في الكاظمية، وكان متطرفاً في تشيعه بحيث كان يفكر عند دخوله الى بغداد في عزل الخليفة العباسي لكنه عدل عن ذلك برأي من مشاوريه السياسيين—كما يشير في موضع آخر الى ان الخليفة الطائع العباسي كانت له ميول شيعية قوية، حتى انه كان في بعض

---

(١) الص ٤٤ و ٤٥.

(٢) الص ٦٦ و ٦٧.

المناسبات يؤم الناس في صلاة الجمعة في جامع الكاظمية .

وحينما يأتي المستر كوك على أخبار سنة ١٠٥١ للميلاد (في الص ١١٤) يقول انها عرفت في تاريخ بغداد بوقوع شغب فيها ما بين السنة والشيعة بسبب كتابة خاصة كان يراد كتابتها على احد الابواب في الكرخ فاعتبرها اهل السنة شيئاً وثنياً في لهجته . وقتل في اثناء النزاع رئيس من رؤسائهم ، فاغتنم انصاره فرصة تشييع الجنازة في اليوم الثاني في مقـــبرة باب حرب وجددوا النزاع فهاجمت الجموع الكاظمية واحتلت المشهد المقدس ، وبعد أن نهبوا الذهب والنفائس جميعهـــا اضرموا النار في البناء . فلحقت اضرار واسعة بجميع القبور المجاورة بما فيها قبر زبيدة وابنها الخليفـــة الأمين .

ويتطرق كذلك (الص ١٣٢ و ١٣٣) الى وصف الرحالة ابن جبير لبغداد ، ثم يذكر الحريق الشهير الذي وقع في الكاظمية فدمر قبتي الأمامين عليهما السلام في عهد الخليفة الظاهر الذي أسرع في المباشرة بأعادة البناء المقدس في عهده . ويقول المستر كوك كذلك ان جامع قمرية المشهور في الكرخ ، والذي كان يعرف بأن أصح قبلة توجد فيه ، كان قد بني في ذلك الوقت أيضاً .

الكاظمية في عهد المغول

وحينما شاخت دولة العباسيين وأخذ نجمهم بالأفول قيض الله لدولتهم جموع المغول المتوحشة ، فزحفت على بغداد أم البلاد بجيش عرمرم يكتسح الأخضر واليابس ، وعلى رأسه هولاكو حفيد جنكيز خان . فلم تسلم الكاظمية مما أصاب بغداد من سلب ونهب وتدمير عند فتحها بالطريقة الأثيمة المعروفة . ويقول المستشرق لسترنج في (بغداد في عهد الخلافة العباسية) [١] أن هولاكو أمر بنهب الكاظمية وأضرام النار فيها في أثناء حصار المغول لبغداد سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) ، غير أنها أعيد تشييدها في الحال .

وحينما ألف صاحب كتاب المراصد كتابه سنة ٧٠٠ (١٣٠٠ م) كان الجامع الكبير ما زال قائماً على مقربة من دجلة برغم ان القسم الأعظم منه كان قد تهدم من جراء ما أصابه من الغرق مرتين متتاليتين.

اما دونالدسون فيشير الى التدمير الذي أصاب الكاظمية كذلك عند استيلاء المغول على بغداد، مستنداً على ما جاء في كتاب هاورث في تاريخهم [٢]. فهو يقول ان المغول حينما جاؤوا الى بغداد بجموعهم الكاسحة سنة ١٢٥٨ أنزلوا الدمار التام فيها وما حولها. على ان المقول هوان تفاهماً كان قد حصل حول عدم التعرض للعتبات الشيعية المقدسة بشيء، لكن الحقيقة ان الكاظمية كانت العتبة الوحيدة التي أصيبت بالخراب والتدمير في هذه الأثناء. وقد يعزى السبب في ذلك الى تدمير القسم الغربي من بغداد قبل غيره. وربما كان قد حصل، خلال المدة التي ضرب فيها الحصار حول أسوار بغداد الشرقية بعد ذلك، أن وفداً شيعياً وصل من الحلة فتوفق في اجراء ترتيب خاص معه يحافظ فيه على سلامة كربلا والنجف، وعلى كل فالمعروف ان بغداد قد دمرها المغول تدميراً كاملاً، وأن الضريحين في الكاظمية قد أضرم النار فيهما، فهلك في أثناء ذلك جميع سكان بغداد تقريباً الذي كان يبلغ عددهم حوالي ثمان مئة ألف نسمة على ما يقول المؤرخ رشيد الدين. ويقال ان الغنائم التي غنمها المهاجمون المتوحشون منها كانت عظيمة بحيث ان الكرج والتتار في الجيش المغولي كانت تنوء كواهلهم بحمل الذهب والفضة والأحجار الكريمة وغير ذلك من النفائس التي حملوها منها. وقد أثري أولئك الجنود بحيث صاروا يطعمون سروج خيولهم وبغالهم وحتى لوازمهم الاعتيادية بالأحجار الكريمة والذهب واللؤلؤ.

---

(١) الص ١٤٣ من الترجمة العربية.

(٢) Howarth. History of the Mongols, vois III & IV (London 1927) الص ١٢٦ – ١٢٧.

وقبيل انتهاء حكم المغول من أحفاد هولاكو ـ الذي دام اثنتين وثمانين سنة ـ زار الرحالة المستوفي بغداد (١٣٣٩) وذكر انه شاهد ضريحي الأمام الكاظم وحفيده الجواد عليهما السلام ، ثم أشار الى ان الكاظمية كانت ضاحية مستقلة بنفسها من ضواحي بغداد ، يبلغ طول محيطها حوالي ستة الآف خطوة ، وعدد سكانها حوالي ستة الآف نسمة .

ويذهب ريتشارد كوك الى تأييد ما مر ذكره حول تدمير الكاظمية عند استيلاء الجموع المغولية المتوحشة على بغداد . فيقول[1] ان الخراب النهائي الذي أصاب مدينة الخلفاء ، قد تم بحريق كبير انتشر انتشاراً سريعاً في تلك الفوضى فدمر الأبنية الرئيسية . اما في الضواحي فقد دمر المشهد الكاظمي ، وجامع الرصافة ، وقبور الخلفاء في الرصافة ، ومعظم البيوت والمخازن . ويذكر كذلك ان شيعة الحلة بعثوا الى هولاكو خلال الحصار وفداً يسترحم عدم التعرض بالعتبات الشيعية المقدسة ، فما كان منه ألا أن بعث مع الوفد ابن أخيه الى الحلة وتم الاتفاق معه فيها على أن يرابط مئة مغولي في كل من النجف وكربلاء للمحافظة على المشاهد المقدسة .

ويروي في موضع[2] آخر عن حكم غازان خان في العراق ان ايامه عرفت بتفشي الطاعون بنوعيه : الأسود والاحمر ، وبحصول فيضان هائل في بغداد أحدث أضراراً محلية فادحة واستحال به المشهد الكاظمي ، الذي كان قد أعيد بناؤه من عهد قريب ، الى انقاض متهدمة .

وتعليقاً على ما جاء عن المشهد الكاظمي في عهد المغول نقول انه ورد في المراجع العربية ان الامير قره طاي وصل الى بغداد بعد ان احتلها المغول فعين عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائباً عنه ، وعين القزويني بدوره

---

(١) الص ١٤٩ .
(٢) الص ١٦٤ .

شهاب الدين علي بن عبدالله صدراً في الوقوف ، وتقدم اليه بعمارة جامع الخليفة ومشهد موسى والجواد[١] .

ويذكر كذلك ان السلطان اويس الجلائري قام في ٧٦٩ هجرية بتعمير المشهد الكاظمي فبنى قبتين ومنارتين ، وأمر وضع صندوقين من الرخام الجيد على القبرين الشريفين ، وزين الحرم بالطابوق الكاشاني الذي كتبت عليه سور من القرآن المجيد ، كما عمّر الرواق ورباطاً كان في الصحن ، وأمر بأطلاق الأموال للخدام والسدنة .. وفي يوم السبت السابع من ذي القعدة سنة ٨٠٣ دخل تيمور بغداد فاتحاً لها للمرة الثانية بعد محاصرة دامت اربعين يوماً وخرج منها في العشرة الأولى من ذي الحجة ، ومن هناك زار مشهد الأمام الكاظم ومضى الى الحلة[٢] .

على ان دونالدسون يذكر ان تيمورلنك حينما هاجم بغداد سنة ١٣٩٣ دمرها تدميراً فظيعاً أصاب الكاظمية شيء غير يسير منه ، وبعد أن أقام فيها ثلاثة أشهر غادرها هارباً من الروائح الكريهة التي تتصاعد من جثث الضحايا المتكدسة في كل مكان . غير أنه أمر قبل أن يغادر بغداد بتعميرها وإزالة معالم الخراب الذي حل فيها ، لكن الكاظمية لم يصبها شيء من هذا التعمير والتجديد . وقد بقيت على تلك الحال خلال المدة التي حكمت العراق فيها القبائل التركمانية المتنازعة من بعده (الجلائريون وقبائل الخروف الأسود والخروف الأبيض) حتى تسنى للشاه اسماعيل الصفوي ان ينتزع بغداد منها في أواخر ١٥٠٨ ، ولم ينته هذا الشاه من تجديد المشهد الكاظمي وأعادة تعميره الا في ١٥١٩ . وبذلك أخذ هذا المشهد المطهر الشكل الذي نراه فيه اليوم بوجه عام .

---

(١) الحوادث الجامعة ، الص ٣٣٣ وجامع التواريخ .

(٢) الص ١٥٨ مجلة سومر ج ١ و ٢ سنة ١٩٦٣ ، مقال للشيخ محمد حسن آل ياسين

والمعروف في بعض المراجع العربية ان استعمال لقب (كاظمي) لمن كان يسكن الكاظمية قد بدأ على الأرجح في أخـريات القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة . إذ يشير الشيخ محمد حسن آل ياسين في مقال له عن الكاظمية (مجلة الاقلام عدد ت ٢ ، ١٩٦٤) ان الحسن بن داود ذكر في ترجمة السيد عبد الكريم بن طاووس أنه حلي المنشأ بغدادي التحصيل كاظمي الخاتمة .

الأمام الكاظم

ان أهم من يتطرق الى البحث في حياة الأمام الكاظم عليه السلام في المراجع الغربية الدكتور دونالدسون المار ذكره قبل هذا في كتابه (عقيدة الشيعة) ، والدكتور جون هوليستر في كتابه (شيعة الهند)[١] الذي سبقت الأشارة اليـه في أجزاء هـذه الموسوعة الأخرى ، ودائرة المعارف الأسلامية في طبعتها الكبيرة غير المختصرة . والمستر كانون سيل في كتابه (الأثنا عشرية او أئمة الشيعة الأثنا عشر)[٢] .

وقد أفرد دونالدسون فصلاً بأكمله ، هو الفصل الرابع عشر[٣] ، لحياة الأمام موسى الكاظم . وهو يقول فيه ان الأمام عليه السلام كان قد ولد في أثناء النزاع الذي كان محتدماً بين الأمويين والعباسيين ، وكان قد بلغ الرابعة من عمره حينما تولى الخلافة ابو العباس السفاح وأصبح أول خليفة عباسي يتولى السلطة في الأمبراطوريـة الاسلامية . وظل يعيش مدة عشرين عاماً في كنف والده الأمام جعفر الصادق عليه السلام ، الذي توفي مسموماً

---

(١) Hollister, John Norman — The Shi'A of India, Luzac & Co, London 1953.

(٢) Sell, Canon — Ithna Ashariyya, or the Twelve Shi'ah Imams, Madras 1923.

(٣) الص ١٥٣ .

قبل انتهاء حكم المنصور الطويلة بعشر سنوات . وقد امتدت امامته خلال السنوات العشر التي بقيت من عهد الخليفة المنصور ، واستطالت بعد ذلك فشملت السنوات العشر التي تولى فيها المهدي . والسنة وبضعة الأشهر التي تولى خلالها الهادي ، وحوالي اثنتي عشرة سنة من حكم الخليفة هارون الرشيد . وبذلك بلغ مجموع المدة التي تولى فيها الأمامة ثلاثاً وثلاثين سنة ، فكانت أطول من أمامة والده الصادق (ع) بثمان سنوات .

وكانت والدته السيدة حميدة بربرية الأصل مثل الخيزران زوجة الخليفة المهدي ذات النفوذ المعروف . ويستند دونالدسون في قوله هذا على ما جاء في (بحار الأنوار ، الجزء التاسع) للعلامة المجلسي الذي ينقل بدوره عن (أصول الكافي) للكليني . على ان هناك من يدعي ان والدة الأمام الكاظم كانت من الأندلس التي تعرف نساؤها بكونهن أجمل نساء الأسبان . ويقول دونالدسون ان المؤرخ اليعقوبي لا يحاول الجزم بشيء في هذا الشأن . غير انه يذكر أنها كانت أم ولد ، وهذا ما كان يميزها عن زوجات وأماء الأمام الصادق الأخريات . وقد نشأ الأمام في بيت أبيه مع ستة أخوة آخرين وتسع أخوات . وكان أخوه الأكبر اسماعيل قد عين ليخلف والده في الأمامة ، غير انه مات في حياة والده فأربك ذلك وضع الشيعة يومذاك بأجمعه .

فقد اختلفوا فيما بينهم حول الشخص الذي يجب ان يحل في محله في استخلاف والده . فقال بعضهم ان اسماعيل كان آخر أمام من الأئمة (اي السابع) وانكروا وفاته برغم اعترافهم باختفائه وصاروا ينتظرون ظهوره في يوم من الأيام . بينما سلم آخرون بموته وأخذوا يعتقدون بتسلسل الأمامة من نسله هو . ولذلك عرف اولئك الذين يعتقدون بانتهاء الأمامة بالأمام السابع أسماعيل بأسم « السبعية » .

اما الشيعة الأثنا عشرية فيعتقدون بأن الأمام الصادق عليه السلام كان قد عين ابنه الأكبر اسماعيل ليخلفه في الأمامة حقيقةً . غير انه اضطر الى تغييره لأنه كان مدمناً على شرب الخمر . ثم عين في مكانه ابنه الرابع الأمام

موسى الكاظم [١] . ويقول دونالدسون ان النزاع الذي نشأ عن هذا الاختلاف بين الشيعة قد أدى الى حصول انقسام بارز بينهم ، وظهرت عدة فرق ونحل على أثره . ويفصل هذا كله الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) ، كما يوجد بحث مفصل عن فرق الأسماعيلية من وجهة نظر الأثني‌عشرية في الفصل التاسع من كتاب (تبصرة العوام) للسيد مرتضى علم الهدى المتوفى سنة ٤٣٦ (١٠٤٤ م) .

وهناك ثلاث وعشرون معجزة تنسب الى الأمام الكاظم على ما يقول دونالدسون ، وقد حصلت أولاها فيما جرى بينه وبين أخيه الأكبر عبدالله . فقد سارع هذا الى الادعاء بالأمامة حالما توفي والدهما الأمام الصادق ، لكن الأمام الكاظم طلب ان تشعل النار في كومة كبيرة من الأخشاب بحضور أخيه عبدالله وجمع كبير من الاصدقاء والاتباع . وبادر الى الوقوف في وسط النار المشتعلة من دون ان يصاب بشيء من الأذى او تحترق ملابسه . ثم تحدى أخاه عبدالله ان يفعل مثله اذا كان محقاً في ادعائه بالأمامة ، لكن عبدالله سرعان ما امتقع لونه وغادر الاجتماع [٢] .

ويقول دونالدسون ان الأمام الكاظم كان يشارك أباه في حياته الانعزالية المنصرفـــة الى الدراسة وشؤون العبادة والدين حينما عاش في المدينة المنوره. واستمر على تلك الحالة حتى بعد ان توفي والده وتولى زمام الأمامة من بعده . وكان على علمٍ تام بان كل خليفة من الخلفاء العباسيين في بغداد

---

(١) وهذا الرأي يخالف رأي الشيعة الاثني عشرية الذي يذهب إلى ان امامة موسى الكاظم كانت متعينة من الاول وان هناك نصوصاً على اقامته هو بالذات . الخليلي

(٢) ان مثل هذه الاخبار حاولنا عزلها عن الحوادث التاريخية فيما سردناه من تاريخ للعتبات المقدسة وقد اوردنا شيئاً منها على سبيل المثل لما يرد في الروايات. وايرادنا هنا ما يرويه (دونالدسون) هو ايضاً كمثل لما تقول به تلك الاخبار والروايات ولا علاقة له بالتاريخ الحديث الذي من طبيعة فصل اخباره عن الاخبار والروايات .

الخليلي

كان يتربص به الفرص ويتسقط عنه الأخبار لئلا تبدر منه أية بادرة يشم منها رائحة الانحراف عن الولاء لهم. كما كان يدرك – ولا سيما بعد ان علم بوفاة والده مسموماً بتدبير من الخليفة المنصور – ماذا ستكون عاقبته فيما لو صدر منه شيء من هذا القبيل. على ان ذلك القلق الاعتيادي لم يؤثر في حياة الأمام البيتية على ما يبدو، لأنه استطاع ان يعيل عائلة كبيرة هناك تتألف من ثمانية عشر ابناً وثلاث وعشرين بنتاً. وهنا يورد دونالدسون رواية عن المؤرخ اليعقوبي يقول فيها ان الأمام عليه السلام أمر بأن لا تزوج أية واحدة من بناته، وقد تم ذلك بالفعل ولم تتزوج منهن سوى أم سلمة التي كان زواجها في مصر.

اما سجايا الأمام وخصاله فقد كان أبرز ما فيه صبره واعتدال مزاجه حتى سمي «الكاظم» او «كاظم الغيظ»، كما سمي «العبد الصالح» أيضاً لكثرة تعبده وانصرافه الى أمور الدين. كما عرف بالسخاء الذي اطال في وصفه التاريخ.

وقد يكون هذا السخاء هو الذي أثار ريبة الخليفة المهدي تجاهه فأدى به الى استدعائه الى بغداد وتوقيفه فيها.

ويقول دونالدسون بعد ان يروي كيفية جلب هرون للأمام موسى بن جعفر من الحجاز وحبسه: وحدث بعد سجن الأمام هذا ان ظهر للرشيد في المنام عبد حبشي أسود وفي يده حربة حادة، فقال له «أطلق سراح موسى بن جعفر من السجن في هذه الساعة، وإلا سأذبحك بهذه الحربة.» فما كان من الرشيد الا ان يستدعي الخزاعي آمر الحراس في القصر ويطلب اليه ان يذهب فيطلق سراح الأمام في الحال، ويعطيه ثلاثين ألف درهم، ففعل.

وقد قدر للأمام الكاظم ان يسجنه الرشيد مرة أخرى [1]، وكان ذلك

---

(١) أكثر الروايات التاريخية على ان الامام موسى بن جعفر لم يسجن الامرة واحدة وهي المرة التي انتهت به إلى الموت مسموماً وعلى هذه الرواية جرى اعتماد اغلب المؤرخين الخليلي

على أثر وشاية من أقارب الأمام نفسه . فقد أخبر الرشيد بأن الناس أخذوا يدفعون الخمس الى الأمام ، وانه كان يعد العدة للأنتقاض عليه . وتكرر نقل هذا الخبر الى الرشيد عدة مرات حتّى قلق واضطرب . فقصد الحج في مكة تلك السنة ، وحينما زار المدينة أمر بتوقيف الأمام ، ثم جيء به الى بغداد محمولاً في محفة وأودع السجن فيها بعهدة السندي بن شاهك . ويقول دونالدسون ان هذه الرواية تتفق مع ما ذكره العلامة المجلسي الذي ذكر ان الرشيد أخذ الأمام الكاظم من المدينة قبل انتهاء شوال سنة ١٧٧ بعشرة أيام ، وبعد ذلك توجه الى مكة وعاد الى بغداد عن طريق البصرة فسلم الأمام الى أميرها عيسى بن أبي جعفر ليودعه في سجنه . ثم أخذه بعد ذلك الى بغداد وسجنه في سجن السندي بن شاهك . ويذكر المجلسي كذلك أن الأمام توفي في سجنه ودفن في مقابر قريش . اما كتاب الفخري فيضيف الى ذلك قوله ان الرشيد كان في الرقة فبعث يطلب منها قتل الأمام عليه السلام . وبعد ذلك جاءوا الى الكرخ بعدد من الرجال المعروفين ليشهدوا على ملأ من الناس بأن الأمام قضى نحبه بحالة طبيعية . ويؤيد اليعقوبي هذه الرواية كذلك مع شيء أكثر من التفصيل .

تعليقات على أقوال دونالدسون

يلاحظ مما أورده دونالدسون من الأخبار والروايات عن حياة الأمام الكاظم ان معظم ما جاء به يستند على ما هو مدون في المراجع العربية بطبيعة الحال . غير ان هذه الروايات تحتاج الى الكثير من التعليق والتوضيح . فقد ذكر دونالدسون نقلاً عن اليعقوبي ان الأمام الكاظم أوصى بعدم تزويج بناته فنفذت الوصية فيما عدا زواج أم سلمه التي تزوجت في مصر . ولا بد لنا هنا من أن نضيف الى ذلك ان ام سلمة تزوجت من القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد ، فجرى في هذا بينه وبين أهله شيء شديد حتى حلف انه ما كشف لها كنفاً ، وانه ما أراد الا ان يحج بها . غير ان هذا

بأجمعه يبدو غير منطبق على الواقع لأن وصية الأمام لم تنص على منع بناته منعاً باتاً من الزواج ، وانما جعلت ذلك منوطاً بالأمام الرضا (ع) . فقد جاء فيها « .. وان أراد رجل منهم ان يزوج اخته فليس له ان يزوجها الا بأذنه فأنه أعرف بمناكح قومه .. » يضاف الى ذلك ان رواية اليعقوبي في هذا الخصوص لم يذكرها سواه .

وتجمع الروايات العربية والأجنبية على ان الأمام الكاظم كان أعبد أهل زمانه ، ولذلك لقب بالعبد الصالح وبزين المجتهدين . وكل هذه المراجع تشير الى كثرة سجوده الذي أفضى الى توسع ثفنات جبينه بحيث كان يكلف غلامه بقص اللحم الزائد من جبينه وعرنين أنفه ، وتذكر بصورة خاصة السجدات الطويلة التي كان يسجدها ومنها سجدة استغرقت الليل بطوله على ما أشار إليها دونالدسون ، وهي التي سُمع يردد فيها وهو يبكي بخشوع قوله عليه السلام « الهي عظم الذنب عندي ، فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى وأهل المغفرة » . وقد كان يقضي مدة بقائه في السجن بالصلاة والتعبد ، حتى قال حينما سيق اليه يوماً « اللهم اني طالما كنت أسألك ان تفرغني لعبادتك ، وقد استجبت مني فلك الحمد » . وعلم هارون الرشيد بذلك فكان يقول « أما ان هذا من رهبان بني هاشم » .

اما ذرية الأمام الكاظم فقد اختلف في عددها الرواة اختلافاً كبيراً على ما يلاحظ في المراجع جميعها . غير ان الملحوظ هو ان عدد البنين والبنات كان شيئاً غير قليل (٣٧ او أكثر) . ومن البنين الأمام الرضا (ع) واسماعيل ، وابراهيم الأكبر ، وابراهيم الأصغر ، وصالح ، وشرف الدين ، وجعفر ، وعبدالله ، وعبيدالله ، وهارون ، وحمزة وأحمد ، ومحمد ، والقاسم ، وزيد وحسين . امـــا البنات فمنهن آمنـــة وفاطمة (الملقبة بمعصومة والمدفونة بقم في ايران) وفاطمة الصغرى وأم عبدالله

وقسيمة ولبابة وأم جعفر وأم سلمة وأمامـــة وكلثم وامينة الكبرى ورملة وحكيمة وعائشة واسماء وزينب وعلية [١] .

وقد كان من الطبيعي في تلك الظروف والأحوال ان يحصل التصادم ما بين الرشيد والأمام الكاظم لما بين الشخصيتين من اختلاف في الميول والاتجاهات ، وتناقض في النزعات والأهواء . فقد كان الرشيد رجلاً دنيوياً ، مغتراً بالسلطة الزائفة التي ورثها عن أسلاف اغتصبوها من العلويين ، مولعاً بالغناء والقيان وشرب الخمر على غير ما يقتضيه مركزه ومنزلته ، معتاداً على مظاهر الأبهة والبذخ ، ومجبولاً على الأسراف والتبذير . وكان الأمام الكاظم على النقيض من ذلك . فقد نشأ في البيت النبوي الطاهر المجبول على الخير والمكرمات ، ورضع لبان العلم والتقوى فانصرف الى الزهد والتعبد وإشاعة الفضيلة بين الناس . وكان الرشيد يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة ، ويحرص على الملك والسطوة ، فيرتاب من منافسيه وأنداده ، بينما كان الأمام قواماً صواماً يعمل للآخرة ويعاف الحياة الدنيا ، صلباً في مبادئه ، مستهيناً بالسطوة والملك ، لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا يداجي في دينه . ولذلك فليس من المستغرب ان يعيش الرشيد أيامه ولياليه وهو يضمر الحقد للعلويين الذين تتمثل فيهم المعارضة بطبيعتها ، ويحمل لزعيمهم وأمام المسلمين غير المنازع كل كره وضغينة . وليس من غير الطبيعي ان يعمد الى مراقبة الأمام في حركاته وسكناته ، ويتسقط عنه الأخبار أو يسمع الوشايات .

وقد كانت حصيلة ذلك كله ، بطبيعة الحال ، ان الرشيد أخذ يصب على العلويين وابلاً من العذاب الأليم ، ويسوقهم الى القبور والسجون ،

---

(١) يراجع بذلك سيرة الامام موسى بن جعفر في صدر هذا الجزء وفي (المدخل) من موسوعة العتبات المقدسة .

الخليلي

ثم يطاردهم حتى يهربوا هائمين على وجوههم خائفين وجلين . « .. وزاد هارون على اسلافه في إرهاق العلويين فدفنهم وهم أحياء ، وأشاع في بيوتهم الثكل والحزن والحداد ، واستعمل جميع امكانياته للبطش بهم ، ففرض عليهم الاقامة الإجبارية في بغداد ، وجعلهم تحت المراقبة ، ولم يسمح للاتصال بهم ، وحرمهم من جميع حقوقهم الطبيعية . وكان أبغض شيء عليه ان يرى عميد العلويين وسيدهم الأمام موسى (ع) في دعة واطمئنان وأمان فلم يرقه ذلك من دون ان ينكل به ، فدفعه لؤمه وعداؤه الموروث الى سجن الأمام (ع) وحرمان الأمة الأسلامية من الاستفادة بعلومه ونصائحه وتوجيهاته . »

وقد كانت للامام الكاظم عليه السلام مواقف عدة مع الرشيد تفضح هذا الحقد ، وتدل على مقدار الاختلاف بين الشخصيتين ، وما أدى اليه من عزم الرشيد على إيداعه السجن والتخلص منه بطريقة يندى منها جبين الانسانية خجلاً . ومن هذه المواقف موقف اشار اليه دونالدسون عن التقاء الأمام والرشيد حول ضريح الرسول الأعظم ، وهو ما يذكره جميع المؤرخين وقد ورد ذكره في هذا الجزء من سيرة الامام الكاظم .

وحين توفي الامام مسموماً بسجن السندي بن شاهك عمد هذا الى القاء جثة الامام فوق جسر الرصافة تحوطها الشرطة وتريها للرائح والغادي من الناس ، بعد ان أوعز للمنادين بأن يجوبوا الأزقة والشوارع وينادوا فيها بأعلى صوتهم « هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا اليه ميتاً » . وقد بقي الجدث على مثل هذه الحالة أياماً ثلاثة من دون أن يوارى التراب .

وفي زحمة هذه « التمثيلية » المحزنة سمع سليمان بن أبي جعفر المنصور من قصره المطل على دجلة لغط الناس وضوضاءهم ، ورأى بغداد قد ماجت واضطربت ، فسأل عن الخبر وأخبر بجلية الأمر . فثارت نخوته

وتدفقت عاطفته ، ثم استولت عليه موجة من الغيظ صاح على أثرها بولده « انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم ، فأن مانعوكم فاضربوهم وخرّقوا ما عليهم من سواد[١] . »

وقد قام سليمان بن أبي جعفر نفسه بتجهيز الأمام من عنده ، فغسله وكفنه ، ولفه بحبرة كتبت عليها آيات القرآن الكريم بأجمعها ، وقد كلفت ألفين وخمس مئة دينار . وهرعت بغداد الى تشييع الأمام عن بكرة أبيها ، فكان يوم التشييع يوماً مشهوداً حافلاً خرج فيه الصالح والطالح والبر والفاجر . وسار الموكب الحزين يجوب الشوارع وراء النعش يتقدمه الرشيد نفسه وهو واجم حزين ، يترحم على الأمام ويظهر البراءة من دمه ، ومن خلفه البرامكة وكبار الموظفين والمسؤولين من رجال الحكم ومعهم سليمان ابن أبي جعفر حافي القدمين . وكان من خير ما قيل من الشعر في هذا الخطب الجلل الأبيات الآتية :

قد قلتُ للرجلِ المولى غَسلَه ... هلا أطعتَ وكنتَ من نصحائه

جنّبه ماءَك ثم غسلّهُ بمــا ... أذرتْ عيونُ المجدِ عند بكائه

وأزِلْ أفاويه الحنوط ونحّها ... عنه وحنطّه بطيب ثنائــه

ومُرِ الملائكةَ الكرامَ بحملهِ ... كرماً ألستَ تراهمُ بأزائهِ

لا تُوهِ أعناق الرجالِ بحملهِ ... يكفي الذي حملوه من نعمائهِ

وكانت الجماهير وهي تسير الى محلة باب التبن حيث تقع مقابر قريش ، تتسابق الى حمل النعش وتتبرك به ، حتى أوصلته الى حيث حفر له القبر . وقد أنزله في مقره الأخير سليمان ابن أبي جعفر المنصور أيضاً وهو مذهول اللب ، وبعد الانتهاء من مراسيم الدفن أقبلت عليه الناس تعزيه وتواسيه

---

(١) عيون اخبار الرضا

ووقف يشكرهم ويتقبل العزاء[1]. وهكذا انتقل الأمام موسى الكاظم الى دار الخلود، وأصبح قاتلوه سبة للأجيال .

الأمام الكاظم في كتاب هوليستر

ويفرد الدكتور جون هوليستر في كتابه (شيعة الهند) المشار اليه من قبل فصلاً صغيراً عن الأمام الكاظم . وهو يستند في كثير مما أورده على كتاب دونالدسون ، ولذلك نجد معظم ما فيه مطابقاً لما أورده دونالدسون . على أنه يذكر أشياء أخرى لابد من الأشارة اليها هنا . فهو يبدأ الفصل بقوله ان وفاة الأمام الصادق أتاحت الفرصة لحصول أعظم انقسام في العالم الشيعي . ثم يستمر في شرح تكون الأسماعيلية وعقائدهم . لكنه يقول بالاستناد الى ما وجده في كتاب الأمير مأمور ، أحد امراء الهند المسلمين ، في كتابه (مناقشات حول أصل الخلفاء الفاطميين)[2] ، ان هذا الانقسام الذي حصل قد ساد على منوال قومي تقريباً . فقد قبل الأيرانيون بالأجماع بأمامة موسى الكاظم (ع) ، بينما التزم الشيعة في البلاد العربية والبلاد الواقعة في غربها بتابعية اسماعيل . وكانت الأسرة الصفوية المالكة التي نشأت في ايران خلال القرن السادس عشر تنتسب في أصلها اليه . ويذكر خلال بحثه عن ثورات العلويين في تلك الأيام أن أحدهم استطاع الفرار الى مصر فالمغرب بمساعدة من صاحب البريد حتى وصل الى طنجة فوضع فيها الأسس لنشوء أسرة الأدارسة . ويشير هوليستر كذلك الى حصول انقسام في صفوف الشيعة بعد وفاة الكاظم أيضاً ، فادعى بعضهم ان سلسلة الأمامة قد انقطعت بوفاته وصاروا يطلقون على أنفسهم اسم « الموسوية ».

---

(١) حياة الامام الكاظم ، الص ٤٨٩ - ٤٩١ ؛ ج ١٢ .

(٢) Mamour, Prince P. H – Polemics on the Origin of the Fatimid Caliphs, London 1934 .

بينما ادعى البعض الآخر بان الأمام عليه السلام قد اختفى ، وانه لابد من ظهوره في آخر الزمان .

الأمام الجواد

أن خير المراجع الانكليزية التي تبحث في حياة الأمام محمد الجواد ، ضجيع جده الكاظم في مقابر قريش ، هو أيضاً كتاب دونالدسون الذي يخصص فصلاً خاصاً (الفصل السابع عشر ص ١٨٨ – ١٩٧) عنه . وهو يبدأ الفصل المسهب بالبحث في وضع المأمون ودخوله المظفر الى بغداد ، وبالأشارة الى قول الشيعة بأنه هو الذي سم الأمام الرضا بعد ان قربه اليه وعينه ولياً للعهد ، والى كونه هو الذي أمر بقتل وزيره الفضل ابن سهل ، ثم يخلص من ذلك الى القول بأنه مع ذلك كله قد بقي على تقديره الأول للشيعة وميله اليهم ، حتى بعد ان استبدل اللون الأخضر باللون الأسود العباسي . وقد كان موقفه ذلك شيئاً بالغ الأهمية بالنسبة لحياة الأمام الجواد على حد قوله . ويقول دونالدسون ان المأمون فعل ما فعل ، واستبدل الأخضر بالأسود ، ضد رغبته الشخصية لأن ذلك كان ضرورة سياسية بالنسبة اليه في تلك المرحلة من مراحل خلافته وحكمه . فلم يستمر على تعيين الشخصيات الشيعية المرموقة في المناصب المهمة فقط ، وانما ظل يشمل أسرة الأمام المتوفى بفضله وعطفه علناً . فقد انتخب أخاً من أخوان الرضا عليه السلام وعينه أميراً للحج ، ولم تمض على ذلك غير فترة قصيرة حتى زوج ابنته أم الفضل الى الأمام الجواد . ويقول دونالدسون – مستنداً على اليعقوبي – أنه أنعم على الزوج النبيل بمئة ألف درهم في هذه المناسبة ، وصرح بأنه يريد ان يتشرف بأن يكون جداً في نسب يمت الى رسول الله والأمام علي بن ابي طالب بصلة .

وقد كان الأمام الجواد – المسمى بالتقي أيضاً – في التاسعة (او السابعة على قول البعض) من عمره حينما توفي والده الأمام الرضا . وكان يعيش

في المدينة يومذاك ، فكان الكثيرون من الشيعة يلاحظون صغر سنه ويشكون في كونه أصبح اماماً بعد والده . على ان عدداً من المتعلمين والرجال المرموقين كانوا يأتون سنوياً الى الحج من جميع الجهات فيتأثرون تأثراً بالغاً بشخصيته ومواهبه وتتبدد شكوكهم في صحة أمامته . ويقول دونالدسون ان الكليني يذكر ان المتولى امتحن الأمام الفتى امتحاناً استطال عدة أيام ، وقد أجاب فيه على ثلاثين ألف سؤال إجابةً كانت موضع اعجاب الجميع [1] .

ولم يكن الجواد عليه السلام ابن الرضا من زوجته ام حبيب بنت المأمون ، وانما كانت أمه جارية اختلف الرواة في اسمها وأصلها . فيقول الكليني انها كانت تسمى حبيبة ، وانها من أصلٍ نوبي ، لكن المرجع نفسه يذكر ايضاً آخرين كانوا يقولون انها كانت تدعى خيزران ، وانها كانت بنتاً رومية الأصل . وهناك رواية ثالثة تذكرها بعض المراجع ، مؤداها انها كانت من بيت مريم القبطية زوجة الرسول (ص) وأم ابنه ابراهيم [2] .

ويقول دونالدسون كذلك ان القصة التي يرويها الشيعة عن أول لقاء جرى بين المأمون والجواد عليه السلام ، هي قصة طريفة للغاية . فالظاهر ان الأمام الجواد كان قد قدم الى بغداد بعد وفاة والده بمدة قصيرة ، وبينما كان المأمون خارجاً للصيد مع حاشيته وبزاته مر بقرية كان عدد من الأولاد يلعبون في طريقها ، وكان من بينهم الجواد وهو في الحادية عشرة من عمره تقريباً . وحينما دنا موكب المأمون منهم عجل الأولاد بالفرار واختفوا عن الأنظار ، عدا الجواد الذي ظل واقفاً لا يريم . فلفت ذلك نظر المأمون ووقف يتمعن فيه ، ثم سأله « ما الذي أخرك عن الفرار يا ولدي ؟ »

---

(١) خلاصة الاخبار — الفصل ٣٧ المعجزه ١٥ — وهذا الخبر هو الاخر يجب ضمه إلى الاخبار والروايات غير التاريخية ، والذي نورده هنا على سبيل المثل لما يذكر في مثل هذه الحقول التي تخالف طبيعتها طبيعة التاريخ

الخليلي

(٢) اصول الكافي للكليني الص ٢٠٣ (الاشارة في الاصل الانكليزي) .

فأجاب الفتى السيد يقول «لم يكن الطريق ضيقاً يا أمير المؤمنين بحيث أخشى ان يتعذر عليك المرور . ولم اقترف ذنباً يخيفني ، ثم فكرت بانك لا تنزل الأذى بمن لم يرتكب أي خطأ . » فسر الخليفة جد السرور ،

وبعد ذلك الحادث بزمن غير طويل جمع المأمون مجمعاً حافلاً دعى اليه حشداً من العلماء والفقهاء ووجوه البلد وأعيانه ، واخذ يناقش الأمام الجواد بحضورهم وطلب توجيه الاسئلة اليه . فكان ما أبداه من علم وسداد رأي خلال الاجتماع الذي امتد الى أيام عدة موضع دهشة للجميع . وهناك أعلن المأمون رسمياً انه سيزوج الامام بابنته ويهبه مهراً كبيراً . والمقول ان الأمام نكس رأسه حياءً وخجلاً . فمات العباسيون الحساد بغيظهم .

وعلى هذه الشاكلة كان المأمون يبدي اهتمامه الدائم ، ورعايته البالغة للشيعة . وقد جعل ابن الأمام الرضا الراحل في عهدته وحمايته الخاصة . وكان الفتى النبيل يأتي بين حين وحين الى القصر الملكي للدراسة والتحدث الى العلماء الذين كان يصادفهم فيه . ويأسف دونالدسون لتأكيد الرواة على المعجزات في حياة الجواد (ع) وأهمالهم ذكر الحوادث التي كانت تدل على عقله الراجح وعلمه الغزير . فمن المؤسف مثلاً ، على ما يقول دونالدسون ان يقرأ المرء شهادة يحي بن أكثم بأمامة الجواد بعد مناقشته ومساجلته فيجد جل ما يذكر عنها ان ابن أكثم حينما سأل الأمام ، بعد الاعتذار عن استقامته وصراحته . «من هو الأمام ؟» فيكون الجواب «انا» وحينما سأله يقول «ما هو الدليل ؟» أجابت العصا قائلةً «ان سيدي هذا هو أمام العصر وحجة الله في أرضه» .

وبعد مرور سنة على زواج الأمام سمح له الخليفة ، ولزوجته الشابة ، بالذهاب الى المدينة المنورة والأقامة فيها . وقد كان هذا التدبير موضع قبول العباسيين بأجمعهم ، لأنهم كانوا يكرهون ما كان يتمتع به الأمام

من أرجحية ورعاية في بغداد . فعاش في المدينة عيشةً بسيطة ، كما كان يعيش الأئمة الأطهار من قبله ، لمدة ثلاث سنوات وهو يقابل من كان يفد عليه ويعطف على الفقراء بسخاء ، ويمتنع عن التدخل في الشؤون العامة .

وقد كانت حياته الزوجية مع ابنة الخليفة زينب ، التي صارت تعرف فيما بعد بأم الفضل ، حياة غير سعيدة على ما يذكر الرواة لأنها «لم تكن تبعث على العشرة الطيبة والحب المتبادل الذي يجب ان يتوافر بين الزوج وزوجته في العادة . فقد كانت زوجته تحاول إثارة والدها عليه وتكتب له رسائل مشحونة بالذم والحط من قدر زوجها ، زاعمةً انه كان يقضي الوقت كله مع إمائه وجواريه – فانبها لاتهامها بهذه التهم .[1] » والمعروف ان الجواد كان قد عاد من المدينة الى بغداد مع زوجته ليحضرا عرس الخليفة الذي اشتهر ببذخه وروعته ، حينما زفت اليه ابنة الحسن بن سهل التي كانت في الثامنة عشرة من عمرها . فكان هذا العرس فرصة مناسبة للأمام يشاهد فيها مثل هذا الحفل الباذخ على ما يقول دونالدسون ، لان الزوج السامي كانت تنثر عليه حبات اللؤلؤ بغزارة بدلاً من حبات الرز التي تنثر في حفلات الزواج الاعتيادي . وكانت حبات اللؤلؤ هذه تلتقط لتقدم الى الزوجة التي كانت تتشح هي الأخرى برداء من اللؤلؤ المتلألىء خلعته عليها السيدة زبيدة أرملة الرشيد . وقد أضيئت غرفة العرس بشموع من العنبر الغالي ، ولأجل ان يعبر والد الزوجة ، وهو أغنى رجل بين المتنفذين في بغداد يومذاك ، عن تقديره للالتفات السامي الذي حظي به وزع مبالغ خيالية طائلة الى جميع الناس من حوله . وصارت كرات المسك تنثر ما بين المحتفلين المحتشدين فيتسابقون الى الفوز بها . وكان مكتوباً في كلٍ منها اسم مقاطعة من المقاطعات أو جارية أو فرس أصيلة أو أية

(١) نقل هذه الرواية الدكتور سيل في كتابه (الاثنا عشرية) عن الص ٦٦ من كتاب تحفة المتقين .

بجائزة ثمينة أخرى يحظى بها من يفوز بالكرة . وقد نقل دونالدسون هذا الخبر عن كتاب (الخلافة ، تقدمها وانحطاطها [١] وسقوطها) للمستشرق البريطاني السر موير [٢] .

ومن المشكلات التي حدثت بعد ذلك بين الأمام الجواد وأم الفضل مشكلة ورطت الأسرة المالكة توريطاً غير يسير . ففي رواية تنسب الى السيدة حكيمة أخت الأمام الرضا ان أم الفضل جاءتها ذات يوم فقالت لها ان امرأة بارعة الحسن والجمال دخلت عليها في يوم من الأيام وأخبرتها بأنها كانت من زوجات الأمام أيضاً . فغضبت أم الفضل لذلك وحزنت أشد الحزن حتى قامت في ليلتها تلك وذهبت شاكية لأبيها المأمون ، واخبرته بأن زوجها لم يلحق بعمله ذاك الأهانة بها هي وحدها فقط وانما أساء به أيضاً الى أبيها والى الأسرة العباسية المالكة ايضاً . وصادف في تلك الليلة ان المأمون كان مخموراً بحيث أخذ حسامه وامتطى جواده ثم ذهب مع مرافقيه في الحال الى دار الأمام عليه السلام . وهناك وجده مستغرقاً في نومه ، فما كان من المأمون الا ان استل حسامه وضرب به الأمام عدة ضربات حتى أيقن المرافقون.انه قطع الامام الى عدة قطع . لكن المأمون حينما أحس على نفسه في صباح اليوم التالي ندم على فعلته المتسرعة ، وبعث يستفسر عن صحة الأمام ، فرجع اليه الرسول يقول انه رأى الأمام بنفسه يؤدي صلاة الصبح كالمعتاد . على انه بعث يحقق عن التفصيلات ثانية فعلم ان الأمام ذكر لأهله والمحيطين به ان الرداء الخاص الذي كان يلبسه هو الذي انقذه وحماه . ولأجل ان يعبر الخليفة عن خجله وأسفه لما وقع أهدى الجواد الذي امتطاه في تلك الليلة الى الأمام مع الحسام الذي انتضاه . ثم

---

(١) Muir, Sir W. — The Caliphate, its Rise, Decline. & Fall. (London 1924) الص ٥٠٣ .

(٢) وقد اورد المؤرخون وصفاً مثل هذا عن زواج الامام الجواد بام الفضل ابنة المأمون . الخليلي

قالت أم الفضل: ان المأمون التفت اليها بالأضافة الى ذلك وأنبها تأنيباً شديداً ، فأخبرها بأنها اذا ما عادت تشكو زوجها اليه مرةً أخرى فأنه سوف يرفض مواجهتها طول عمرها[١] .

ويقول دونالدسون ان السنوات الثمان التي قضاها الجواد في بغداد كان ينشغل فيها بالوعظ والتدريس. وقد رويت عنه أقوال وأحاديث مأثورة كثيرة خلال هذه المدة ، التي وقع المأمون خلالها تحت تأثير المعتزلة ولا سيما رئيسهم القاضي أحمد بن أبي دؤاد. واضطر بموجب هذا الى ان يعلن مبدأ « خلق القرآن » على رؤس الأشهاد ، وكان ذلك في سنة ٢١٢ (٨٢٧ م) . ولقد روي في هذا الشأن أن المأمون كان قد اطلع على كتاب أرسل اليه من كابل بعنوان « العقل الخالد » ، وكان مجمل ما فيه منافياً لأصول الدين لأنه ينص على ان العقل هو المصدر الوحيد للأديان . ومع جميع ما أصاب أهل السنة من محن خلال هذه الفترة التي كان المعتزلة الأحرار فيها أشداء في معاملتهم ، على ما يقول دونالدسون ، فأن العلويين كانوا يعاملون خلالها بمنتهى الاعتبار والتقدير ، ولم يمس الأمام الجواد بشيء من قبيل الأزعاج أو التوقيف في أيام المأمون. وقد يعزى ذلك الى « التقية » التي كان يلجأ اليها الشيعة في الشدائد.

غير ان المأمون اضطر الى مغادرة بغداد في سنة ٢١٥ (٨٣٥ م) على رأس حملته الكبرى التي قادها ضد الامبراطور ثيوفيلس البيزنطي . ويذكر دونالدسون ان السبب المباشر لهذه الحملة يكتنفه الغموض. على ان المعروف في هذا الشأن ان الامبراطور البيزنطي كان يمد يد المساعدة حينذاك الى الثائر

---

(١) نقل دونالد سون هذا الخبرعن (خلاصة الأخبار) ، الفصل ٣٧ ، المعجزة ١٧ ، وكان على دونالد سون وهو الذي التفت قبل غيره من المستشرقين إلى ان مثل هذه الروايات يجب عزلها عن التاريخ عزلا تاماً ، كان عليه ان يعرض عنها ولا يدنو منها بصفتها من فصيلة لا تنسجم مع التاريخ بوجه من الوجوه .

الخليلي

بابك الخزمي . وأنه شجع هجرة الأيرانيين النصارى بالآلاف من ممتلكات الخليفة العباسي [١] . ويرى البعض ان سبب الحملة يعزى الى ان الامبراطور رفض السماح للفيلسوف ليو السالونيكي بقبول دعوة المأمون لزيارة بغداد . وعلى كلٍ فقد دامت الحرب سنتين كاملتين ، وتوفي المأمون [٢] . فجـأة في بلدة تقـع بالقرب من طرسوس في كيليكية . وهناك في طرسوس أشعلت الشموع وأحرق البخور تقليداً لما كان يفعله المسيحيون في تلك الأيام ، حينما صلى المصلون على جنازة المأمون قبل الدفن ، وكان ذلك بوصيةٍ منه على قول دونالدسون .

وبعد ان توفي المأمون عاد الجواد مع أسرته الى المدينة ، ولم يمكث فيها الا سنة وبضعة أشهر حتى استدعاه المعتصم ، الخليفة الجديد ، وطلب اليه العودة مع أسرته الى بغداد . وكان ذلك في بداية السنة التي توفي فيها الأمام ، أي سنة ٢٢٠ (٨٣٥ م) . ومع أنه ليس هناك ما يدل على ان العلاقة الحسنة بين الأمام والمعتصم كانت مفقودة ، فان الكتب التي يتداولها الشيعة في يومنا هذا تدل على ان الأمام عليه السلام قد سمته زوجته أم الفضل بتحريضٍ من المعتصم نفسه . غير ان الأتفاق في تفصيلات هذه الأخبار معدوم ، فيقول البعض ان زوجته سلمته منديلاً مسموماً في أثناء وجوده بالفراش . بينما يقول البعض الآخر أنها اطعمته عنباً مسموماً . ويقول غير هؤلاء ان المعتصم نفسه بعث الى الأمام شربةً مسمومةً ليسقيه أياها خادم من خدامه ، بينما يقول آخرون ان الخليفة دعاه الى بيته فمزج له السم بالطعام .

وقد دفنت جثته في مقابر قريش الى جنب ضريح جده الكاظم ،

---

(١) تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، الص ١٤١ و ١٤٢ .

Fisslay, George — History of the Byzantine Empire 1913.

(٢) توفي المأمون في قرية الديرون في شهر رجب سنة ٢١٨ للهجرة .

وصلى عليه الواثق بن الخليفة المعتصم .

اما الدكتور هوليستر فيورد في كتابه (شيعة الهند) [١] عن الأمام الجواد معظم ما يذكره دونالدسون ويستند عليه ، لكنه يذكر بالأضافة الى ذلك أشياء كثيرة أخرى . فيشير مثلاً الى ما يذكره السيد أمير علي في كتابه (روح الاسلام) [٢] من أن بعض الروايات تقول أيضاً ان أم الجواد عليه السلام كان أسمها سبيكة أو ريحانة .

ويقول كذلك ان الأمام الرضا (ع) حينما ترك المدينة وتوجه الى مرو أخذ معه ابنه الصغير محمداً ، وطاف محمد في مكة حول الكعبة على كتفي خادمه ، وكان ذلك في سنة ٢٠٠ للهجرة . ويبدو ان الرضا عليه السلام تابع سفره الى مرو بينما عاد ابنه الى المدينة لان الرضا حينما توفي في خراسان كان الجواد موجوداً في المدينة وهو في الرابعة من عمره . وكان الواقفية يزعجون الرضا عليه السلام ويلحون عليه بالتصريح عمن سيخلفه في الأمامة لأنه لم يكن له ولد ، ولكنه حينما ولد له محمد صار يجيبهم بأنه الأمام من بعده . وحينما كانوا يعترضون على كونه حدثاً صغير السن كان يشير الى الآية الكريمة التي نزلت عن عيسى بن مريم : « قال أني عبد الله ، آتاني الكتاب ، وجعلني نبياً » ولذلك لم يكن صغر سن الجواد ليحول دون توليه الأمامة . ومع كل هذا لم يقتنع الواقفية بهذا الجواب ، وصاروا يعتقدون بأن الأمامة تنتهي بالأمام علي بن موسى الرضا نفسه . اما سيرة الجواد فلا يختلف ما يورده هوليستر عما يورده دونالدسون ، سوى أنه يزيد عليه بقوله أنه توفي مسموماً في بغداد وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشريف .

الشاه اسماعيل وسليمان القانوني في الكاظمية

كان من أمنيات الشاه اسماعيل ، مؤسس الأسرة الصفوية المالكة

---

(١) الص ٨٤ — ٨٧ .

(٢) Ali, Ameer — The Spirit of Islam, London 1935

في أيران . حينما سيطر على بلاده وتغلب على العثمانيين في عددٍ من الوقائع الحربية ان يفتح بغداد . ويستولى على العتبات الشيعية المحيطة بها فيلحقها بأيران . ويقول المستر ستيفن لونكريك في (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)[١] الذي كثرت الأشارة اليه في هذه الموسوعة من قبل ان الشاه الذي كان يعجل بنصرٍ بعد آخر بعث بقائده (لالا حسين) لفتح بغداد فكان له ما أراد بسهولة . وخضعت له في ١٥٠٨ .. وقد أفضى دخول العراق في حوزة العرش الشيعي الجديد الى مجيء الشاه مسرعاً لزيارة العتبات المقدسة، فوصل الى بغداد وهدم ما كان فيها من قبور أئمة السنة .. ثم زار العتبات المقدسة في الفرات وأصلح نهراً من الأنهر فسماه بأسمه « نهر الشاه » وشيد قبةً فخمة على قبر الأمام موسى الكاظم[٢] .

والملاحظ في المراجع العربية ان الكاظمية عادت فأصبح لها شأن يذكر في هذا العهد . وأجريت تنظيمات غير يسيرة فيها . إذ يشير الشيخ محمد حسن آل ياسين ، في مقال له (مجلة الاقلام . عدد ت ٢ —١٩٦٤) ان الكاظمية دخلت في أوائل القرن العاشر الهجري عهداً جديداً من الشأن والاستقلال الأداري الداخلي . واصبحت مدينة لها كيانها ودورها في الشؤون العامة . وبدأت المقدمات التمهيدية لهذا العهد الجديد في سنة ٩١٤ هـ ، وهي سنة احتلال الشاه اسماعيل الصفوي بغداد وسيطرته على العراق. فقد زار الكاظمية وأمر بتشكيل إدارة خاصة في البلدة ومحكمة شرعية يرأسها قاضٍ يحمل لقب « شيخ الأسلام » إضافةً الى أمره بتشييد المشها الكاظمي تشييداً رائعاً فخماً وتعيين الرواتب لخدام المشهد والمسؤولين عنه .

ويقول الشيخ آل ياسين في بحثٍ آخر له عن المشهد الكاظمي (مجلة

---

(١) Longrigg, S. H – Four Centures of Modern Iraq, London 1925.

(٢) الص ١٧ و ١٨ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

سومر ج ١ و ٢ سنة ١٩٦٣) ان عهد التركمان قد انتهى في يوم ٢٥ جمادى الثانية ٩١٤ هـ بدخول الشاه اسماعيل الصفوي الى بغداد . وبعد مرور فترة من الزمن على بقائه في العراق مضى الى زيارة المشهد الكاظمي ، فأنعم على من كان هناك بأنواع الأنعام ، وعين الرواتب لخدم المشهد ، وأصدر أمره بقلع عمارة المشهد من أساسها وتجديدها تجديداً يشمل توسيع الروضة ، وتبليط الأروقة بالرخام ، وصنع صندوقين خشبيين يوضعان على القبر الشريفين ، وتزيين الحرم وأطرافه الخارجية بالطابوق الكاشاني ذي الآيات القرآنية والكتابات التاريخية ، كما أمر بأن تكون المآذن أربعاً بعد ان كانت اثنتين وبتشييد مسجد كبير في الجهة الشمالية للحرم متصل به . وأحال أمر تنفيذ ذلك الى أمير الديوان خادم بيك ، وعاد الى أيران .

ويقول كذلك ، وأمر بتقديم ما يحتاجه المشهد من فرش وقناديل — وكان منها الفضي والذهبي ، وعين للمشهد عدداً من الحفاظ والمؤذنين والخدم .. وبدأ العمل على قدم وساق ، فتم تشييد هيكـــل الحرم وروضته وأروقته — وهو الهيكل القائم اليوم — والقبتين والصندوقين والمسجد ، وبلغت المآذن الكبيرة الأربع ارتفاعاً يعلو عن سطح الحرم بمقدار ذراع ، كما تم صنع الكاشاني ووضعه في محلـــه المقدر ، كذلك وضع الرخام في موضعه ، ولم يبق شيء مما أمر به الا وقد نفذ منه — ما وسعه الوقت — بأمانة وأخلاص .

ولكن العهد الصفوي لم يدم طويلاً ، بل سرعان ما أزاله السلطان سليمان

الجامع الصفوي في الكاظمين كما هو منذ العهد الصفوي.



القانوني الذي دخل بغداد فاتحاً في يوم الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ ، ولكنه لما زار الكاظمية بعد برهة من الزمن أمر بأبقاء أوضاعها على ما كانت عليه وبأكمال بعض ما لم يتم من عمارة المشهد . وأقر رواتب خدام المشهد وسدنته [١] . ويؤيد المستر لونكريك [٢] عناية السلطان سليمان بالعتبات السنية والشيعية معاً ، ويشير بشيء من الأطناب الى ما فعله في كربلاء على الأخص مما سبق أن أشرنا اليه من قبل في الجزء الأول من قسم كربلا في هذه الموسوعة (الص ٢٦٥) .

وفي المراجع العربية الأخرى [٣] ان السلطان سليمان القانوني دخل بغداد في يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ ، وفي ٢٨ منه تجول في أطراف بغداد وزار المشهد الكاظمي . وحينما زار ضريح الأمامين الكاظمين أمر بدفع رواتب الخدم من خزانة بغداد ، وأصدر فرماناً باتمام النواقص الطفيفة التي لم تنجز في أيام الصفويين . وفي سنة ٩٧٨ هـ تم بناء المنارة الواقعة في شمال شرقي الحرم المطهر ، بعد ان كانت أسس المنائر الأربع الكبرى قد بوشر ببنائها في عهد الصفويين وارتفع بناؤها الى ما فوق سطح الحرم بقليل . وقد أكمل البناء بأمر من السلطان سليم الثاني وكان الانتهاء منه في عهد مراد باشا والي بغداد .. وقد أمرت والدة السلطان سليم ببناء بركة للمشهد الكاظمي في هذه السنة أيضاً .

اما المستر كوك فيذكر في (بغداد مدينة السلام) [٤] علاوة على ذلك أن الشاه اسماعيل بدأ بتشييد منزل كبير للزوار الأيرانيين في الكاظمية ، وبعد ان زار العتبات في النجف وكربلا عاد الى أيران وخلف وراءه أبراهيم

---

(١) مجلة الاقلام الص ٦٥ ، عدد ت ٢ ، ١٩٦٤ .
(٢) الص ٢٤ من الترجمة العربية ، ط ٢ .
(٣) العراق بين احتلالين .
(٤) الص ١٨٧ .

خان الذي كان أول حاكم أيراني يعين في بغداد . ويشير كوك أيضاً الى ان السلطان سليمان القانوني حينما أخذ بغداد من الأيرانيين أجرى أصلاحات كثيرة . وعمر العتبات المقدسة ، ثم زار المشهد الكاظمي ، وجامع أبي حنيفة ومرقد معروف الكرخي .

السلطان مراد في الكاظمية

ويأتي ذكر الكاظمية بعد ذلك بصورة غير مباشرة حينما يصف مؤرخ العراق الحديث المستر لونكريك في (اربعة قرون ..) ما جرى في بغداد عندما توفق السلطان مراد الرابع في فتح بغداد واسترجاعها من الصفويين في أواخر سنة ١٦٣٨ . فيقول « .. على ان حادثة مفجعة حدثت فجددت المشاهد الدموية ، في المعسكر وفي المدينة . فقد احترق مخزن البارود في بغداد وانفجر فجأة ، فسبب أضراراً وضياع نفوس كثيرة .. فأمر مراد بذبح جميع الأيرانيين اينما وجدوا وكان الكثير منهم قد التجأ الى المعسكر العثماني . فقتل الجميع ، وكان بين المقتولين ثلاث مئة زائر كانوا قد عبروا في تلك الأيام لزيارة الكاظمين [١] . على ان المراجع العربية تذكر بالنسبة للسلطان مراد نفسه انه زار المراقد والمشاهد المقدسة قبل ان يعود الى استانبول بعد انتهاء حملته على بغداد ، فزار المشهد الكاظمي يوم ١٢ رمضان ١٠٤٨ هـ . لكن جنوده حينما قاموا بالمذبحة التي أمر بها هاجموا الكاظمية ونهبوا أشياء كثيرة منها . وكان من جملة ما نهبوا قناديل كثيرة من الذهب والفضة وجميع ما كان في الروضة مما خف حمله وغلا ثمنه .

في النصف الثاني من القرن السابع عشر

وفي عهد محمد باشا الخاصكي ببغداد (١٦٥٦) ثارت الجيوش المحلية

---

(١) الص ٧٠ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

عليه لبلاهته وسوء تصرفه ، على ما يقول لونكريك[١] ، فاضطر الى الهرب من بغداد واللجوء الى الكاظمية التي مكث فيها حتى هدأت الفتنة وعاد الى مقره منها .

وقد زار بغداد في عهد الوالي قره مصطفى باشا (١٦٦٤) الرحالة الفرنسي المعروف (المسيو ثيفنو[٢] ومكث أسبوعاً واحداً فيها . فذكر في رحلته ان نساء بغداد كان من عاداتهن المفضلة ان يقصدن زيارة الأمام موسى الكاظم في أيام الجمع ، الذي يقع ضريحه على مسيرة ساعة في البر . ثم يقول ويبدو ان المنطقة المجاورة للكاظمية كان يكثر فيها وجود السباع التي تروى قصص كثـيرة عن مهاجمتها للقوافل والتجائها للبساتين .

في عهد نادر شاه

وحينما تسنى لنادر شاه ان يغتصب الحكم من الأسرة الصفوية المالكة في ايران اصطدم مرات عديدة بالدولة العثمانية ، فحاصر في بعضها بغداد ثلاث مرات متتاليات غير انه لم يستطع الاستيلاء عليها . وفي كل مرة كان يتفاوض فيها لأنهاء النزاع المحتدم بين الطرفين كان يرد ذكر الكاظمية في المفاوضات لأن نادر شاه كان يطالب بالعتبات الشيعية المقدسة . وقد وجه الى أحمد باشا والي بغداد في خريف ١٧٣٢ الرسالة التالية في إحدى المرات :

« ليكن معلوماً لديكم ، يا باشا بغداد ، اننا نطالب بحق لا نزاع فيه في زيارة قبور الأئمة علي والحسين والمهدي وموسى الكاظم .. ونحن سائرون

---

(١) الص ٨٥ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

(٢) De Thevenot, M - Relation d'un Voyage Fait au Levant, English Translation by A. Lovel (London 1687).

حالاً على رأس جيشنا المظفر لتتنسم هواء سهول بغداد العليل . ونستريح في ظل أسوارها [١] . »

الرحالة نيبور في الكاظمية

ولقد زار بغداد في سنة ١٧٦٥ الرحالة الألماني المشهور كارستن نيبور ، في رحلة علمية الى بلاد العرب جهزها ملك الدانيمارك . وأقام في البصرة وبغداد وغيرهما مدة من الزمن فكتب في رحلته [٢] الكبيرة شيئاً غير يسير عن العراق وتاريخه . وقد ذكر في خلال كتابته هذه شيئاً عن الكاظمية وجدنا من المناسب أدراجه هنا نقلاً عن ترجمة الدكتور مصطفى جواد لها في مجلة سومر (ج ١ و ٢ سنة ١٩٦٤) . فقد قال : .. وفي شمال بغداد الغربي ، على ثلاثة أرباع الساعة سيراً ، غربي دجلة قرية كبيرة تسمى (الكاظم) . وهناك مسجد كبير مع تربتين لأمامين من أئمة الشيعة هما الأمام موسى الكاظم (أي الصبور) وحفيده محمد الجواد . وهذا المسجد الأسلامي مدعاة للفخر فان قبتيه الشاهقتين والمنارة كانت قد زينت ظواهرها على الطراز الأسلامي بحجارة مطلية وهي اليوم في تكسر مستمر . وموضع هذا المسجد ليس بمنفسح الأطراف كما هو حال مشهد علي ومشهد الحسين فأن المنازل والدور قائمة على حفافيه وحياله . وقد قتل موسى بن جعفر سنة ١٨٥ (الصحيح ١٨٣) هـ بأمرٍ من الخليفة القائم (كذا) يومئذ لأنه تدخل في أمور تستوجب التهمة . وهي ان جماعة كبيرة من شيعة العلويين اجتمعوا في دار . فلذلك تراه الشيعة « شهيد الشهداء » ويزورونه زيارات مختلفة للتعبد لديه . وسكان قرية الكاظم هم من الشيعة على التقريب . واذا لم يكن لأصحاب هذا المذهب وأتباعه حرية في الأعلان بمذهبهم وواجباته

---

(١) اربعة قرون في .. الص ١٣٠ ، ط ٢ .

(٢) Neibuhr, C – Voyage en Arabie (A mesterdam 1776)

ببغداد نفسها يزور هذ المسجد كل يوم ناس كثير منهم من أهل بغداد وان أكثر الشيعة الذين لا يستطيعون نقل موتاهم الى مشهد علي لعجزهم عن الأنفاق أو غير ذلك يدفنونهم في مقبرة موسى الكاظم ، وفي هذا ما يكسب المشهد أموالاً وفيرة .

ان بغداد التي أنشأها الخليفة المنصور كانت في غربي دجلة ، ولا شك في أنها كانت في الموضع المذكور آنفـاً ، أعني القسم الشمالي من الربض الحالي ، بالقرب من تربة موسى الكاظم . وفي شرق النهر كانت قد بنيت قلعة وأنشيء ربض الا انه لم يبق منها الا قرية (المعظم) التي بأزاء قرية (الكاظم) على التقريب مع انحراف قليل على مسافة كيلو مترين من بغداد الحالية .

أواخر القرن الثامن عشر

وفي ١٧٨٦ ثار الحاج سليمان باشا الشاوي ، شيخ مشايخ العبيد المقيم ببغداد ، على الوالي سليمان باشا الكبير فأقلق الباشوية مدة من الزمن وتغلب على الجيوش الحكومية بعشائره فحاصر بغداد ونزل بالقرب من الكاظمية أياماً عديدة ، وصار يهدد بغداد منها . وفي هذه المناسبة يذكر المستر لونكريك في (أربعة قرون ..) قوله : .. ثم ضغط (العبيد) ومن يتبعهم بالتضييق على بغداد بعد ان سكروا بخمرة الظفر ، حتى استدعى ذلك تنظيم أمور الدفاع والتحصن .. وبقيت الفوضوية مستفحلة — والأمن مفقوداً لحد لم تتمكن الحكومة فيه من المحافظة عـلى الكاظمية والكرخ الابشق الأنفس١ .

---

(١) الص ١٩١ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

النصف الأول من القرن التاسع عشر

وتذكر الكاظمية في هذا الدور في رحلة الرحالة الانكليزي كيرپورتر ، وهو عالم آثاري ورسام بارع ، الذي مر ببغداد في طريقه الى أيران سنة ١٨١٨ (في عهد الوالي داود باشا) ونزل ضيفاً على القنصلية الانكليزية فيها .. فقد ذكر نبذة قصيرة عنها في رحلته [1] المطبوعة سنة ١٨٢٢ ، يقول فيها ان المدينة الجديدة الواقعة على الساحل الشرقي لدجلة (يقصد جانب الرصافة) توجد في مقابلها محلة تقع فيها قلعة الطيور (قوشلر قلعة سى) ،

(١) Porter, Sir R. Ker — Travels in Georgea. Persia, Armènia & Old Babylon (London 1822). الص ٢٨١ المجلد الثاني

مدينة الكاظمين ونهر دجلة المنساب شرقها كما تبدو من الطائرة .



وفي شمالها مرقد الأمام موسى الكاظم أحد الأئمة الأثني عشر الذي يعرف بكظمه للغيظ وقد استشهد بالسيف (كذا) . ثم دفن الى جنبه بعد ذلك حفيده الأمام التاسع محمد التقي .

ويقول كذلك ان الكاظمية سكنها عدد كبير من الشيعة ، بعد ان نهب الوهابيون العتبات المقدسة في الفرات الأوسط سنة ١٨٠١ ، واصبحت مدينة مقدسة كبيرة ترتفع في وسطها قباب جوامعها المذهبة وتلمع ما بين بساتين النخيل المحيطة بها ، ويقصدها الزوار بأعداد كبيرة .

وحينما شق والي بغداد داود باشا عصا الطاعة على الدولة العثمانية ، وتحداها في امور وأحوال كثيرة ، قررت تنحيته بالقوة ، وسيرت جيشاً تأديبياً عليه سنة ١٨٣١ بقيادة علي رضا باشا (اللاظ) فأزاحته عن الولاية بعد مقاومة غير يسيره ؛ فكان آخر الولاة المماليك في بغداد . وكان علي رضا باشا قد انتدب من الموصل قبل زحفه على بغداد متسلماً عنه قاسم باشا العمري متصرف الموصل ، فوقف هذا مع ثلة من الجيش في الكاظمية قبل ان يدخل بغداد . ويقول لونكريك [١] في (اربعة قرون ..) ان الأخبار وصلت الى عاصمة الولاية المحاصرة تفيد بوصول قاسم باشا الى الكاظمية مع سليمان غنام العقيلي (الذي رافق علي رضا من استانبول) والشيخ صفوك . وفيها قرئ الفرمان بعزل داود على الملأ وركع الجميع لأوامر الپادشاه ، ثم ارسل عشرون وكيلاً الى بغداد . فحدث بنتيجة ذلك أول هياج قام به رعاع محلة باب الشيخ الذين ساروا الى السراي وأحرقوا باباً من أبوابه .

وعلى أثر النكبات المتتالية المفجعة التي حلت ببغداد سنة ١٨٣١ ، يوم داهمها الطاعون المبيد وأغرقها فيضان دجلة المخيف ؛ في الوقت الذي

---

(١) الص ١٢١ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

كانت تحاصرها جيوش علي رضا باشا التي سيقت لتنحية داود باشا عن الحكم ، زار بغداد قادماً من أيران الرحالة الانكليزي جيمس بيلي فريزر ، وكان ذلك في تشرين الثاني ١٨٣٤ .

وقد تسنى له أن يزور الكاظمية في يوم ١٧ كانون الأول فيذكر شيئاً عنها في رحلته ، وقد آثرنا ايراد ما ذكره عنها هنا برغم ما فيه من بعض الأغلاط التاريخية التي لا تخفى على القارئ . فهو يقول : .. وقد ركبنا في المساء الى الكاظمية ، وهي قرية تقع على بعد أميال ثلاثة من شمال بغداد ، حيث يوجد ضريح الأمام موسى الكاظم إمام الشيعة الذي قطع رأسه (كذا) هارون الرشيد على ما اعتقد . وكان قد حبس في جب لا يزال يرى الى يومنا هذا ، وهرب منه بمعجزة على ما يقال . ويزعم آخرون ان رأسه قد قطع بأمر من الخليفة ، ومع هذا يمكن ان يشاهد في بعض الأحيان حتى في هذه الأيام جالساً في مكانه القديم في الجب . والظاهر ان هذا المزار واسع جداً ، وله قبتان مطليتان بالذهب واربع منارات رشيقة . وقد طليت القبتان من قبل نادر شاه (كذا) ، الذي يبدو انه التجأ الى هذا الأسلوب في تزيين قبور الأئمة والاولياء تكفيراً عن شناعاته . وهذا مزار عظيم يقصده الزوار المسلمون بكثرة – أي ان جميع الذين يزورون كربلا لا بد من ان يأتوا لزيارة هذا المكان أيضاً . وهو مثل سائر الأماكن الشبيهة به يزدهر بما ينفقه هؤلاء الزوار فيه ، ويمتلىء بالمتشردين والمنبوذين الذين يلوذون بحمايته . ولم أحاول الدخول فيه لأني قد رأيت الكفاية من مثل هذه الأشياء ، وأريد ان أتحاشى اللغط الذي يثار حينما يحاول الأجانب زيارته أيضاً [1] .

---

(١) Fraser, J. Baillie — Travels in Koordistan Mesopotamia (London 1840) وهي الرحلة التي ترجمها كاتب هذه السطور إلى العربية بعنوان (رحلة فريزر إلى بغداد في ١٨٣٤) وطبعت في (مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٤) ، الص ٢٠٠ .

فيلكس جونز في الكاظمية

وفي ربيع سنة ١٨٥٠ قام الكوماندر جيمس فيلكس جونز بسياحات جغرافية للمسح والاستقصاء العلمي في المنطقة الواقعة غربي دجلة في شمال بغداد . وكتب عنها مذكرة بعنوان (تتبعات في جوار سور الميديين .وفي المنطقة الواقعة على مجرى دجلة القديم . وتثبيت موقع أوبيس القديمة) (١). فرفعت هذه المذكرة الى الحكومة البريطانية في الهند خلال شباط ١٨٥١ . وطبعت في سلسلة المختارات الجديدة من سجلات حكومة بومبي . المجلد الثالث والأربعون لسنة ١٨٥٧ .

وفي خلال هذه الأعمال مر جونز بالكاظمية فكتب يقول عنها : .. وبعد ان خرجنا من بغداد واجتزنا اسوارها المتهدمة (في جانب الكرخ) سرنا في طريق لا بأس به مدة خمسين دقيقة فوصلنا الى الكاظمية . التي كانت قبابها المطلية بالذهب ومنائرها الرشيقة تكون منظراً خلاباً وهي ترتفع في الأفق البعيد . وتتلألأ ما بين بساتين النخيل الخاشعة من حولها . على ان ذلك المنظر سرعان ما نبين حقيقته حينما يدنو الناظر اليه من البلدة فيجد ذلك المشهد الجميل محاطاً بمجموعة متراصة من البيوت الحقيرة المتهدمة . المبنية بالطين والطابوق المفتت . ويسكن البلدة سكانها العرب مع عدد غير يسير من الأيرانيين . والهنود الشيعه المنفيين من بلادهم لاسباب سياسية او المقيمين للعبادة والتبرك . ويزور الضريح المقدس في هذه البلدة كل سنة عدد هائل من الزوار الذين يتواردون عليه من أنحاء العالم الأسلامي كله . وحيثما يتقدس الأمام علي وذريته . ولذلك يجتمع هنا خليط عجيب غريب يجمع بين مظاهر الثراء والأبهة ومبادل الفقر والشحاذة ، كما يجمع

---

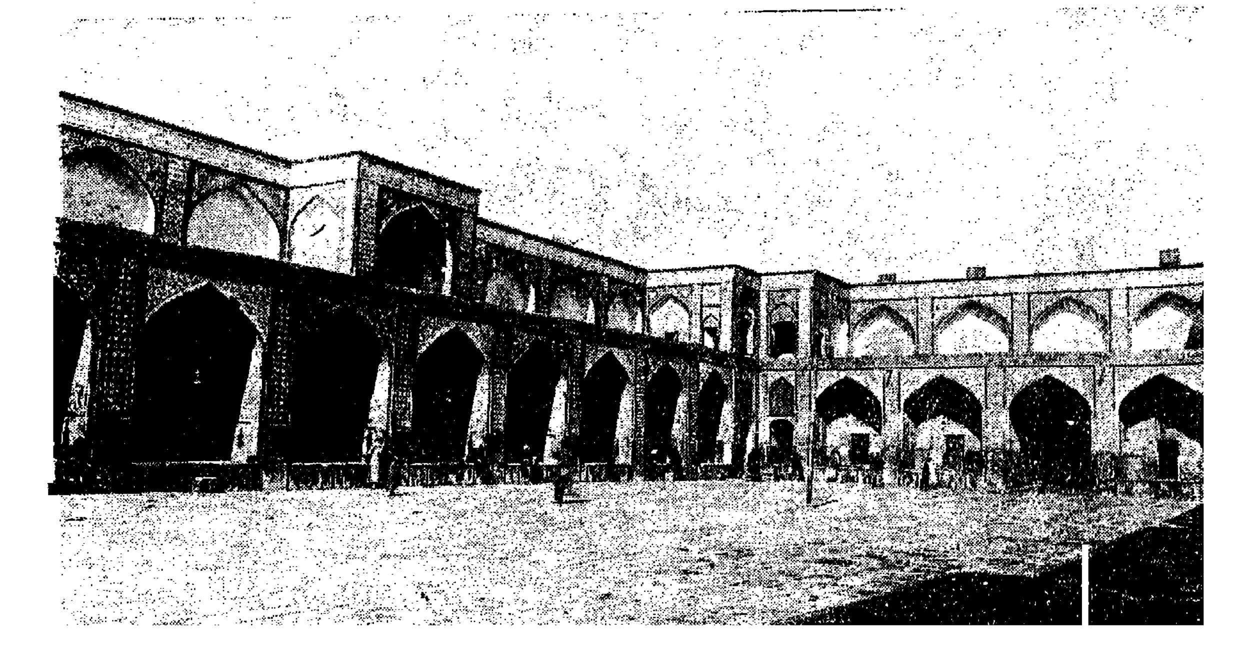
(١) Jones. Commander J. Felix - Reseхhes in the Vicinity of the Medion Wall of Zenophon. & Along the Old Cou se of the Rive Tigris. & Dscovery of Ancient Opis

بين ملابس الحرير والأسمال أو الخرق البالية . ومن المحظور على النصارى واليهود التقرب من المشهد المقدس ، غير اننا استطعنا أن نشاهد ما يعجب من الأشياء ، وما يجعل المرء يأسف على عدم مشاهدة الكثير من أمثال هذا المبنى الجميل الضخم في بلاد يمكن ان يبنى فيها على طرازه .

فقد وجدنا الصحن المربع المحيط بالحضرة مزداناً بزينة الموزاييك الغنية بالقيم الفنية ، والجدران مزوقة بالآيات القرانية والجمل الدينية المكتوبة بالأحرف العربية الجميلة . ولما كنا ونحن نمرّ بالبلدة المقدسة في عشية يوم النوروز فقد كان من الممكن للمرء أن يشاهد في كل مكان امارات الفرح والحبور ترتسم على وجوه الناس وتمتزج بتعابير العبادة والخشوع الظاهرة عليهم . وقد كان ذلك يبدو على شيء غير يسير من الروعة حينما كانت الشمس المائلة الى المغيب ترسل أشعتها الأخيرة الباهته على المنائر والقباب المذهبة فتلوح للرائي كالنجوم المتلألئة التي تجتذب الزوار اليها من بعيد .

هذا وقد مررنا في طريقنا بأناس قادمين من كل حدب وصوب ، ومنتمين الى كل عنصر وعرق ، فمن سكان التيبت وكشمير والأفغان وأيران ،

جانب من صحن الامامين الكاظمين



الى المغول والعرب المواطنين . وكانوا يغذون السير – وهم – راكبين أو راجلين ليصلوا الى مبتغاهم فيستطيعوا إداء الزيارة في صباح اليوم التالي من دون تأخير . كما مررنا بآخرين كانوا قد فرشوا سجادهم أو عباءاتهم على قارعة الطريق ، وأخذوا يؤدون الصلاة بكل نشاط وأخلاص . وقد كانوا ، وهم يستقبلون القبلة للقيام بهذا الواجب الديني المفروض . تبدو في وجوههم شتى المشاعر والأحاسيس ومختلف المخائل والسمات . ومن الممكن ان يقال أنه لا يوجد أي مكان آخر في العالم يجتمع فيه مثل هذا الخليط من الناس وهذا الاختلاف في المشاعر والتعبير . على ان تقاسيم وجه العربي المعبرة ، اذا ما ضمت الى لباسه الجذاب وحدة نظره واستقلال شخصيته ، مع سلاحه المطروح الى جانبه ، لتدل كلها على مخائل عرق ممتاز متفوق حتى عندما يلاحظ في حالات الانحناء والسجود .

وبعد ان يبتعد المرء قليلاً عن البلدة تبدأ منطقة التاجي التي تمتد البادية من حولها الى جنب بساتين النخيل التي لا تمتد عن ساحل النهر الى أبعد من ثلاث مئة يارده . وتأتي بعد ذلك مستنقعات عقرقوف المتكونة من فيضان الفرات الذي يبعد عنها بمسافة خمسين ميلاً ، ويتصل بدجلة عن طريقها . فتحاط الكاظمية وبساتينها على هذه الشاكلة بالماء من جميع الأطراف ، وتصبح وكأنها جزيرة في وسط بحرٍ متلاطم بالأمواج .

الكاظمية في رحلة نايهولت

وفي سنة ١٨٦٦ – ٦٧ جاء الى العراق الرحالة الهولندي لكلاما نايهولت (نيجهولت) ، ومكث في بغداد مدة من الزمن درس فيها الكثير من شؤونها وأحوال مجتمعها ، فكتب رحلته القيمة التي ترجمت الى الانكليزية . وكان مما كتبه في هذه الرحلة نبذة وجيزة عن الكاظمية آثرنا ان نوردها هنا نقلاً عن الترجمة العربية التي اضطلع بها الأستاذ مير بصري . فهو يقول : .. وكانت من الزيارات الممتعة التي قمت بها زيارة الكاظمية ،

وهي بلدة صغيرة أقامها أخلاص الشيعة حول جامع الأمام موسى على مسافة فرسخ من بغداد . ولأجل الذهاب الى الكاظمية ، نخرج من السوق الكبير الى شاطيء دجلة الأيمن ونصعد عدة دقائق الى منحنى النهر حيث نطل على منظر جميل لمدينة بغداد . وبعد مسيرة نصف ساعة على الشاطيء نصل الى غابة صغيرة رائعة من النخيل . ونلتقي في كل دقيقة بالعرب والعجم والهنود ، مما يضفي على الطريق حركة عظيمة . ويمتطيء أكثرهم ظهور الحمير ، وهذه الدواب تكرى قرب قصر أخي شاه أيران حيث يقف عدد كبير منها . وهذه الحمير من جنس ممتاز أصله من جزيرة العرب (لعله يقصد الحمير الحساوية المعروفة) وتتفوق بكل صفاتها على حمير أوربة . وهي بيضاء اللون تسير كالخيل . فاذا ما تركنا الغابة التي أشرت اليها ، أدرنا ظهورنا الى دجلـــة ولاحت لنا في البعد قبتان ذهبيتان لجامع الأمام موسى الأكبر . ولا تمر نصف ساعة حتى نصـــل الى أولى منازل الكاظمية .

والكاظمية بلدة صغيرة حسنة البناء ، فيها سوق كامـــل التجهيز . والشيعة هنا شديدو التعصب . وقد تحملت سيلاً من الشتائم لمجرد تقربي من ابواب السور الذي يحيط بالبناء الواسع الذي يقوم المسجد العظيم في داخله . وابواب السور مغلقة بالسلاسل التي يقبلها المؤمنون باحترام عند الدخول والخروج . ومما سمح لي برؤيته ظهر لي ان هذا الأثر المقدس يتألف من المسجد الذي تزينه منارة جميلة في كل ركن من أركانه الأربعة ومن مشتملات واسعة تضم المساكن والمدارس وحجر الدرس للملالي وتلاميذهم . ويقال أن داخل المسجد جميل جداً ، ولكن محاولة الدخول تؤدي مؤكداً الى القتل في الحال . ومع انني وقفت على مسافة بعيدة ، فان أحد ابناء الشعب رآني وقوفي قد طال في رأيه فأخذ يسبني ويهددني حتى رأيت الأفضل ان أنسحب . وقد عدت من هذه الزيارة بنفس الطريق الذي سلكته في الذهاب .

أصلاحات مدحت باشا في الكاظمية

وتذكر الكاظمية في المراجع الغربية بعد هذا بمناسبة البحث في اصلاحات مدحت باشا في بغداد وما حولها . فيقول ريتشارد كوك في كتابه [1] عن بغداد ان روحية الأصلاح المتوثبة الّتي كانت تتجلى في مدحت باشا قد كانت السبب في إدخال أحدث المبتدعات الى المدينة . وهي فكرة أنشاء خط (التّراموای) فقد كانت شدة الازدحام في تنقل الزوار بين بغداد والكاظمية قد جعلت تيسير وسائط نقل كافية شيئاً أساسياً . فأنشأت الحكومة خط «تراموای» يسحب بالخيول . ولم يكن المشروع ناجحاً من الناحية المالية . ولذلك نقلت عهدته الى شركة محلية ظلت تديره الى يومنا هذا . وكان هذا الخط في عهد مدحت نفسه ينظر اليه باعتزاز وفخر ويعتبر من أحدث المشاريع في الشرق . لكنه بقي منذ يومه ذاك محافظاً على وضعه من دون ان يصيبه أي تحسن ففقد شهرته المذكورة وسمعته . وقد كانت فكرة كهربته تراود مخيلة الكثيرين بين حينٍ وآخر لكنهـــا لم يمكن ان تتبلور وتوضع في موضع التطبيق .

اما لونكريك [2] فيشير الى ترامواي الكاظمية أشارةً عابرة . في ضمن الأعمال والأصلاحات الّتي تحققت في عهد الوالي المصلح مدحت باشا . فهو يقول عنه أنه أكمل ما بدأ بتشييده نامق باشا من الأبنية العامة وأضاف اليها شيئاً كثيراً . كما ان أصدار جريدة في أيامه وتأسيس المعامل العسكرية . وبناء مستشفى ودار للعجزه وميتمة وعدة مدارس . ومدّ خط ترامواي الى الكاظمية كانت كلها . مع الروح التجددية الّتي دلت عليها . قد نورت بغداد وبعثت حياة التجدد والأحياء فيها (انتهى قول لونكريك) .

والحقيقة ان ما اصاب الكاظمية من اصلاحات مدحت باشا لم يقتصر على مشروع التّرامواي الذي انشيء لتسهيل أمور الزوار . فقد أصلح

---

(١) بغداد مدينة السلام الص ٢٧٤ .

(٢) الص ٢٨٥ من التّرجمة العربية ط ٢ .

الجهاز الحكومي فيها أيضاً بألغاء طريقة الالتزام والأصول الاقطاعية في الحكم ، وعين موظفين أداريين فيها يتناولون رواتبهم من خزينة الدولة . كما جعل الكاظمية قضاءاً يديره قائمقام خاص بعد ان أضاف الى حدود البلدة الأدارية المقاطعات المجاورة . وحينما عزم ناصر الدين شاه القاجاري ملك أيران على زيارة الكاظمية وسائر العتبات المقدسة في العراق سنة ١٨٧٠ قامت الحكومة بأدخال بعض التحسينات والاصلاحات في طرق الكاظمية ومرافقها البارزة تمهيداً لهذه الزيارة السامية [١] .

اما خط الترامواي الذي يشير اليه ريتشارد كوك ولونكريك فقد مدت سكته الى مسافة سبع كيلومترات ، وحينما وجدت الحكومة انه مشروع غير رابح يومذاك مالياً شجعت تشكيل شركة أهلية لأدارته تتكون ماليتها من ستة ألاف سهم بيعت معظمها بسرعة لأن مدحت تولى تشجيعها وتصريفها بنفسه ، وكانت قيمة الحصة الواحدة مئتين وخمسين قرشاً . ويقول المطلعون اليوم انـه طلب الى الحاج عبد الهـادي الاسترابادي ، وهو من أبرز وجوه الكاظمية وتجارها في تلك الأيام ، ان يبدأ بتشكيل هذه الشركة ففعل ذلك بالاشتراك مع علي چلبي وآخرين ، على انه انسحب من الشركة بعد ذلك . وقد نجحت نجاحاً غير يسير ، حتى بلغت نسبة ارباحها ١٨ و ٢٠ ٪ في بعض السنين . واستمرت في عملها هذا الى ما قبل سنوات حينما تضاءل شأنها وقلت أهميتها بشيوع استعمال السيارات الحديثة فانحلت .

ولأجل ان نعطي القارىء الكريم فكرة واضحة عن هذا الترامواي ، وكيفية سيره في تلك الأيام الخالية ، نستشهد بما كتبته الرحالة الفرنسية المدام ديولافوا عنه حينما استقلت إحدى عرباته معزوجها لزيارة الكاظمية سنة ١٨٨٦ . فهي تقول :

.. وفي هذا اليوم ركبنا الترامواي ليوصلنا الى الكاظمية بفترة ربع ساعة

---

(١) الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مجلة الاقلام عدد ت ٢ ، ١٩٦٤ .

أو عشرين دقيقة على أبعد احتمال ، ولكنه لم يكد يقطع نصف الطريق حتّى توقف عن السير وهبط السائق من العربة ورجا منا ان نترك الترامواي . وسألت عن سبب هذا التوقف فقيل لي أن أرض منعطف الطريق الضيق الذي بلغناه قد خسفت ، واذا كان لا بد من ان يتابع الترامواي سيره فلا محالة أنه سيسقط .. ولقد وضعوا هنا عدداً من الحمالين لدفع حافلة الترامواي ونقلها الى الجهة الأخرى بعد ان يتركها الركاب . وهذه العملية تتم في دقائق ثقيلة وبجهد جهيد يبذله اولئك المساكين .

وبعد ان عادت المدام ديولافوا من زيارتها للكاظمية بالترامواي نفسه نجدها تقول : وبعد مدة من الانتظار تحرك الترامواي ينهب الأرض نهباً ، ولما كانت هذه آخر مرة يقود السائق فيها العربة في هذا اليوم أخذ يلهب ظهر الجياد بالسوط بقساوة وضراوة ليزيد من سرعتها فيصل الى منزله في أقرب فرصة من دون ان يفكر بعواقب عمله المخطر لاسيما والحافلة كانت مكتظة بالركاب الذين كانوا من طبقات مختلفة وأديان شتى ، وكانوا كالسمك الطري الذي يوضع في الأناء لشيه ، يرتفعون ويهبطون وفقاً لسير الحافلة واهتزازها .. وقد زاد السائق من الهاب ظهر الجياد بسوطه ، وكانت سرعة الحافلة تزيد بنسبة ذلك ، ولم يعمل على تخفيف السرعة حتى عند وصولنا الى الطرق والأزقة الضيقة التي كانت حركة مرور الناس فيها على أشدها . ومررنا في أحد الأزقة الضيقة تلك بعدد من الحمير التي كانت تحمل السمك .. فذعرت الحمير من الترامواي ورمت أحمالها على الأرض وأخذ أصحابها يسبون ويلعنون السائق .. والواقع ان ذلك كان مشهداً تمثيلياً رائعاً [١] .

ترامواي الكاظمين (احدى عربات السكة) التي لم يبق منها اليوم لا عين ولا اثر



(١) نقلا عن الترجمة العربية ، الص ٩٠ و ٩٧ .

زيارة مدام ديولافوا

وقد زارت بغداد في ولاية تقي الدين باشا الثانية سنة ١٨٨١ (١٢٢٩) ه الرحالة الفرنسية المعروفة مدام ديولافوا . مع زوجها المهندس المعماري وعالم الآثار الفرنسي مارسيل ديولافوا . قادمين من أيران . فزارا من العتبات المقدسة الكاظمية وكربلا ، وكتبت في رحلتها [١] المطبوعة شيئاً غير يسير عنهما.

وحينما عقدت المدام النية على زيارة الكاظمية مع زوجها استصحبا معهما رجلاً من رجال القنصلية الفرنسية في بغداد التي كانا يقيمان فيهما وركبا الترامواي الذي أوردنا وصفها له في الفقرة السابقة من هذا البحث — وكان الترامواي يمر في قسم من طريقه من بين البساتين اليانعة . ولذلك نجد المدام تطنب في وصف المناظر وجمالها ، وتقول ان ما بقي من أشجار تلك البساتين كان له منظر خلاب جميل أخذ بمجامع قلبها ، وان رائحتها الزكية العطرة جعلتها كالمنتشية ، وكم تأسفت على أنها قطعت هذا الطريق وهي راكبة في هذه الحافلة وحرمت نفسها من التمتع بذلك المنظر (الص ٩١ من الترجمة العربية) . ثم تصف المنائر المذهبة رؤوسها الأربع التي كانت تبين عن بعد من بين قمم النخيل السامقة ، وتشبه القبتين المتلألئتين بقبة المشهد الذي زارته (في قم) بأيران .

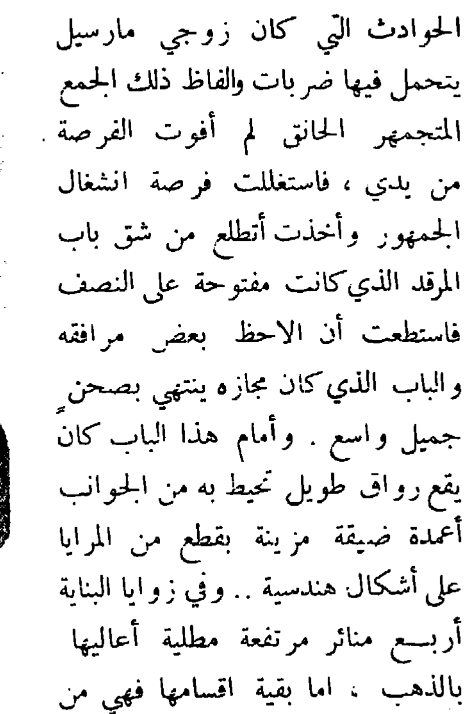
وأول ما تذكره عن بلدة الكاظمية انها وجدت أزقتها أنظف من أزقة بغداد . ثم تقول انها وصلت مع مرافقيها الى الساحة الكبيرة الممتدة بين يدي الباب المؤدية الى المشهد الكاظمي ، وكانت محاطة بدكاكين تمتلىء بالكثير من الخضروات والفواكه وأكوام البطيخ والرقي والكلم . وما اقتربوا من الباب حتى تجمهر الناس حولهم ومنعوهم من الدخول لكونهم

---

(١) Madame J. Dieulafoy - La Perse, La Chaldée, et la Susiane (Paris 1887) وقد ترجمت هذه الرحلة إلى الفارسية ، ثم ترجم ما يخص العراق منها إلى العربية وطبع في بغداد سنة ١٩٥٨ (مطبعة أسعد)

غير مسلمين . إذ لا يجوز للنصارى وغيرهم من غير المسلمين الدخول الى هذا المشهد الشريف . فكان النقاش الذي أعقب ذلك . ما بين المتجمهرين ومرافقيهم من رجال القنصلية ، أن يؤدي الى ما لا تحمد عقباه . ولذلك فقد عادوا من دون ان يشاهدوا كثيراً من داخلية المشهد المطهر .

غير انها تقول بالنسبة لما شاهدته من الخارج : .. وفي أثنــاء تلك الحوادث التي كان زوجي مارسيل يتحمل فيها ضربات والفاظ ذلك الجمع المتجمهر الحانق لم أفوت الفرصة من يدي ، فاستغللت فرصة انشغال الجمهور وأخذت أتطلع من شق باب المرقد الذي كانت مفتوحة على النصف فاستطعت أن الاحظ بعض مرافقه والباب الذي كان مجازه ينتهي بصحن جميل واسع . وأمام هذا الباب كان يقع رواق طويل تحيط به من الجوانب أعمدة ضيقة مزينة بقطع من المرايا على أشكال هندسية .. وفي زوايا البناية أربــع منائر مرتفعة مطلية أعاليها بالذهب ، اما بقية اقسامها فهي من





الحاج عبد الهادي الاستر ابادي
كبير تجار الكاظمين في عصره

الكاشي الأخضر (لعلها تقصد الأزرق) . وفي جوانب القبتين كانت تتراءى لي أبراج صغيرة شبيهة الى حد بعيد بمحلات الرقابة في أعالي القلاع البحرية .. وما ان نجونا من حلقة ذلك الجمهور المحتشد وابتعدنا عنه حتى أخذنا نتجول في أطراف المرقد ، ونتفرج على جدرانه من الخارج متحررين من كل قيد أو خوف . ثم كان ان تشجعنا قليلاً فأخذنا ننظر خلال فتحات الأبواب واستطعنا ان نرى ما يحتويه البناء . فكان هناك الى جانب المرقد والمسجد

مدرسة وبضع خانات (لعلها تقصد الحجر) وحمامات أنشئت خصيصاً للزوار المصلين.

ثم يقول: ومسجد الكاظمين هذا أنشيء في العهود الأسلامية الاولى بصورة بسيطة ساذجة، لكن الشيعة أضافوا اليه قسماً من المرافق كما زينوا جدرانه بنقوش وفسيفساء وفقاً للفن المعماري الأسلامي منذ قريب بحيث ما زال الملاط ندياً، وما زال قسم من تلك الجدران لم يتم عمله حتى الآن، مع ان أقساماً من القبب المذهبة تبدو متهدمة تشوه المنظر الجذاب[1].

ونقول تعقيباً على قول المدام ديولافوا هذا ان بعض الأضافات والتعميرات قد أجريت في المشهد الكاظمي في أيام مدحت (١٨٦٩ — ٧١) أي قبل مجيء المدام بعشر سنوات. وقد تم ذلك على نفقة (فرهاد مرزا) القاجاري عم ناصر الدين شاه، الذي أوكل العمل فيها الى الحاج عبد الهادي الاستَرابادي فتم بناء سور محكم جديد بعد ان كان من اللبن، كما شيدت الحجر المحيطة بالصحن والساعات الكبيرة فيه والسراديب المعدة للدفن، فضلاً عن بعض الأصلاحات الأخرى. ولذلك يلاحظ اليوم ان فرهاد مرزا دفن في الصحن الشريف الى يمين الداخل اليه من باب المراد في غرفة خاصة به.

هذا وتذكر المدام ديولافوا علاوة على ذلك أنهم حاولوا التملص من الجمهور الذي التف حولهم في الكاظمية بكل وسيلة لأن أحد الصحفيين الأنكليز كان قبل مدة قليلة قد دخل في نزاع مع بعض الأهلين فيها فقتل وقطع جسمه إرباً إرباً بالسكين. ومع ان القنصل الانكليزي في بغداد كان قد اهتدى لمعرفة القاتل، ومع انه كانت لديه أدلة كثيرة تثبت جريمته، فأنه لم يفلح في إدانته عند المسؤولين في هذه البلاد.

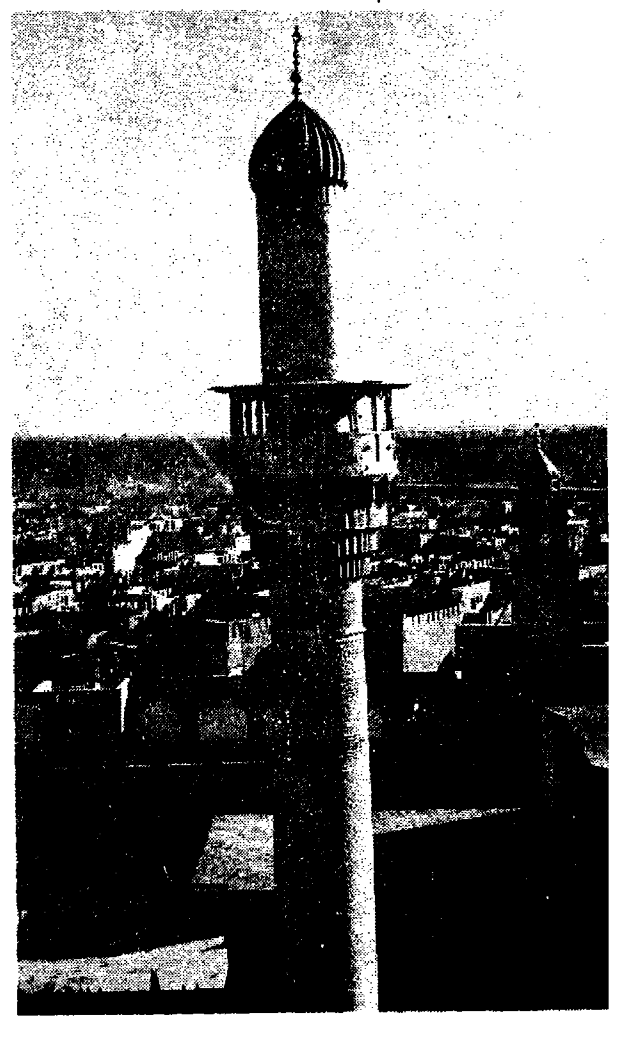
---

(١) الص ٧٦ و ٦٧ من الترجمة العربية.

وتذكر كذلك أنهم تعرفوا في بغداد على مهندس أجنبي يدعى المسيو موكل . فزودهم بتوضيحات كافية عن المشهد الكاظمي المقدس بعد ان حدثوه بما رأوه . ولم يستطع هو أيضاً الدخول الى داخل المشهد المطهر في مبدأ الأمر لكونه نصرانياً ، لكن الساعة الكبيرة في الصحن توقف دقاقها الكبير في يوم من الأيام فاستدعي هو لأصلاحها . فحمل أدواته الهندسية ، وآلة تصويره الدقيقة في الوقت نفسه ، والتقط عدة صور من فوق السطح والجوانب .

وتقول[1] أيضاً ان قوافل الزوار الذين كانوا يفدون من الخارج لزيارة الأمامين الكاظمين عليهما السلام كانوا يمرون بمدينة بغداد فيلاحقهم أطفال الشوارع ويسمعونهم أقوالاً بذيئة . ثم يهجمون على لوازمهم المحملة فوق ظهور الحيوانات فيسرقون منها ما يسرقون ويهربون فيختفون في الدرابين والأزقة الضيقة . وقد يرمونهم بالحجارة من بعيد فينزلون بهم الأذى . ومع كل هذا فلا يستطيع الزوار المساكين عمل شيء سوى ان يسكتوا ويتحملوا الإهانات من دون ان يفكروا بالشكاية لدى السلطات الحكومية التركية لأنهم يعلمون ان ذلك لا يمكن ان تكون له نتيجة

احدى منائر ضريح الكاظمين الذهبية الشامخة امام باب المراد ، وتظهر الساعة خلفها .



(١) الص ٧٣ من الترجمة العربية .

مجدية . « فالمسؤولون الأتراك في الواقع يشجعون تلك الحوادث او تحدث بوحي منهم ، وان كل شكوى من هذا القبيل تقابل بسخرية واستهزاء » على حد قول المدام ديولافوا .

وفي سنة ١٨٨٨ جاء الى بغداد عن طريق الخليج عالم من علماء الآثار البريطانيين يدعى السر ارنست ألفرد واليس . ج (١٨٥٧ — ١٩٣٥) ، وأقام فيها أشهراً عدة . وكان السر واليس هذا قد جـــاء لدراسة الآثار القديمة في العراق ، والحصول على ما يمكن الحصول عليه منها بمختلف الطرق والوسائل . فتوفق في مهمته تلك الى حد بعيد . وقد كتب عن رحلته هذه شيئاً غير يسير عن تاريخ بغداد وآثارها . ولخص ما كتبه بعض الرحالين الآخرين عنها ، فضمنه في مجلديه اللذين نشرهما سنة ١٩٢٠ بعنوان « على ضفاف النيل ودجلة »[١] . ويتناول المجلدان خبرة السر واليس معظمها في العراق ومصر من الناحية الآثارية ، ما بين سنتي ١٨٨٦ و ١٩١٣ .

وقد تسنى للسر واليس ، خلال مدة وجوده في بغداد ، أن يزور الكاظمية ويكتب شيئاً عنها . وكان ذهابه الى هناك بصحبة القبطان بتّر روث ، ربان الباخرة المسلحة «كوميت » التابعة الى البحرية الهندية والموضوعة تحت تصرف القنصلية البريطانية العامة في بغداد بترتيب مع الحكومة العثمانية يستند على امتياز خاص كانت تتمتع به يومذاك . ولأجل ان تسهل زيارتهم لهذه المدينة المقدسة أخذوا كتاب توصية من المستر تويدي ، أحد رجال القنصلية ، الى صديق له في الكاظمية يدعى محمد حسين مرزا (الصفوي . وكان هذا أميراً من أمراء الفرس يقيم في جوار الأمامين الكاظمين . وقد استقلوا الى الكاظمية « الترامواي » الذي كان قد أنشأه مدحت باشا ، على ما مر ذكره .

ويقول السر واليس انهم حينما مروا بالسوق في طريقهم الى باب المشهد

Budge, Sir Ernest A. Wallis — By Nile & Tigris (London 1920).(١)

الكاظمي المقدس كانت نظرات الناس اليهم نظرات غير مريحة ، وان أصحاب الدكاكين رفضوا بيعهم الأشياء التذكارية التي حاولوا شراءها منهم . وكانت من جملتها بعض الآثار المزيفة والأختام الأسطوانية التي كان يصنعها اليهود على ما علم من بعض الناس . وقد اشتد الموقف العدائي تجاههم في السوق بحيث اقترح عليهم دليلهم متابعة السير ، حتى وصلوا الى باب المشهد الذي أبطأوا السير بقربه وظلوا يشاهدون ما في الداخل من فتحة الباب . فأعجب السر واليس جد الأعجاب بالمنائر والقبتين المذهبتين ، وبالقاشاني الزاهي الذي كانت تتزين به أسوار الصحن والروضة المقدسة

طارمة القبلة وتظهر فيها براعة صناعة الكاشاني في العهد الصفوي وقد عز اليوم الحصول على امثاله



في الوسط ، وهو يعتقد ان الزينة والألوان كانت شيئاً رائعاً لم يرَ مثلها من قبل .

ويشير كذلك الى وجود الساعه الكبيرة في الصحن . والى أنها كانت تدور حولها قصص مضحكة ثم يذكر في الحاشية ان هذه الساعة كانت قد توقفت ذات يوم فاقتضى ان يؤتى لها بشخصٍ له معرفة خاصة بتصليحها . لكنه كان مهندساً فرنسياً لم يمكن السماح له بالدخول الى الصحن الشريف لأنه كان نصرانياً بطبيعة الحال . غير ان رجلاً من خدم الروضة المقدسة تذكر ان النبي الكريم عليه السلام كان قد سمح يوماً بأن يدخل الى المسجد حمار محمل بالآجر . وعلى هذا القياس يمكن ان يسمح لهـذا المهندس الفرنسي بالدخول الى الصحن الشريف لتصليح الساعة الدقاقة . فتم ذلك وأصلحت الساعة . ومما يجدر ذكره هنا ان المهندس المذكور هو المسيوموجيل الذي تشير اليه المدام ديولافوا في رحلتها الفرنسية التي اشرنا اليها في هذا المبحث . وذكرنا شيئاً عما جاء في رحلتها الى الكاظمية . فهي تشير الى ان المسيو موجيل نفسه قد روى لها انه قام بتصليح الساعة . فتسنى له بهـذه الوسيلة ان يأخذ بعض الصور .

ومما يذكره السر واليس ان المرزا الصفوي أخذهم الى بيته . فصعدوا الى السطح . ومن هناك تسنى لهم ان يروا الصحن المقدس وواجهة المشهد . وهو يقول ان الأمير الصفوي هذا قد حدثهم كثيراً عن النفائس الموجودة في خزانة المشهد الكاظمي . ومنها ستارة نفيسة جداً مرصعة بالأحجار الكريمة من الحجم الكبير . فتذكروا بمناسبة حديثه هذا ما تذكره قصص (ألف ليلة وليلة) عن الجواهر التي كانت توجد مكدسة في الكهوف .

وقد اقترح الأمير الصفوي على ضيوفه ان يزوروا مرقد أقبال الدولة ، النواب الهندي الذي أقام في الكاظمية بعد نفيه من بلاده الى العراق . ففعلوا ذلك ، وقدمت لهم القهوة والحلوى المصنوعة من أوراق الورد . وعلموا

مما دار في الحديث حوله هناك مع قيم المقبرة ، والدليل الذي كان يرافقهم ، ان الناس كانوا يعتقدون بان صاحب القبر كان موجوداً في المحل الذي زاروه ولو لم يستطيعوا رؤيته ، وان القيم أكد لهم انه معني بشؤونه ولا يستطيع الالتقاء بهم شخصياً !! كما علموا من الدليل ان الله عز وجل يستجيب لكل دعاء يتلى في هذا المرقد ، وان البركة ستسبغ عليهم بسبب زيارتهم لهذا المكان .

وحينما مروا بالسوق في طريق عودتهم الى بغداد احتشد وراءهم الناس ، وظل هذا الحشد يتكاثر حتى وصلوا الى ساحل النهر الذي كانت تنتظرهم فيه قفة خاصة أقلتهم الى الباخرة كوميت ، فوصلو اليها سالمين . بعد ان ظل القوم يرشقونهم بالحجارة .

نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

هذا وقد زار الكاظمية عدد من السواح الأجانب فيما بين مجيء المدام ديولافوا ونهاية القرن التاسع عشر ، مثل بيترز وكاوبر وبينديه ، غير أنهم لم يذكروا شيئاً يستحق النشر عنها : لكننا لاحظنا ان بعض المراجع العربية تشير الى أن جسراً عائماً بين الكاظمية والأعظمية قد شيد في ١٨٨٤ (١٣٠٢ ﻫ) بأمر من قائد الفيلق العسكري السادس المشير هدايت باشا ، فتم بذلك ربط الكاظمية بالجانب الشرقي من بغداد أيضاً بعد أن كانت قد ربطت بالجانب الغربي بواسطة خط الترامواي . وان سراي الكاظمية قد وضع حجره الأساسي في يوم ٢٤ رجب ١٣١٨ (١٩٠٠ م) في إحتفال حضره الوالي نامق باشا ، والمشير أحمد فيضي باشا ، وقاضي الشرع كمال الدين بك .

وتذكر الكاظمية في كتاب المستر ريتشار كوك[1] من جديد بصدد تطرقه

(١) بغداد مدينة السلام ، الص ٢٨٥ .

الى موقف الاتحاديين . بعد توليهم الحكم في تركية . من الأنكليز والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها على العموم . فهو يقول ان حكومة الثورة التركية قد اعترضت على عدد من الامتيازات البريطانية وزورق البحرية الهندية المسلح الذي كان يرسو في أسفلها على الدوام ، وحتى على حجم الأراضي المتسعة التي كانت تحيط بها . ولذلك وجدت الحجج المبررة في صيف ١٩١٠ لتهديم مكاتب شركة لنج) بيت اللنج (وشركة عبد العلي الهندي) الشركة الهندية البريطانية ببغداد (باعتبار أنها كانت مائلة الى الانهدام ويخشى من خطرها على أرواح الناس فتملصت السلطات المسؤولة بذلك عن دفع التعويضات اللازمة لهما . وفي أيلول من السنة نفسها هدمت الممتلكات الهندية البريطانية في الكاظمية لأسباب مماثلة كذلك .

اما المستر ستيفن هـ . لونكريك فيقول في كتابه[١] الثاني) العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠ (عن الفترة التي سبقت الحرب العالمية ان اتصال البريطانيين بالعراق قد ازداد توثقاً واتساعاً ، وان المصالح الهندية البريطانية لم تقل أهميتها . فقد استمرت مكاتب البريد البريطانية التي كانت تعمل بموجب شروط الامتيازات الأجنبية على عملها برغم استياء الموظفين الأتراك منها . وظل وكلاء الزوار الهنود في الكاظمية وسامراء يخدمون أبناء بلادهم الذين يزورون العتبات المقدسة مع جميع ما كانوا يصادفونه من عراقيل رسمية .

أعلان الجهاد في الكاظمية

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى ، واشتبكت الدولتان البريطانية والعثمانية في حرب ضروس بينهما ، جردت بريطانية حملة عسكرية على العراق تمكنت من النزول في الفاو يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ . وقدر للكاظمية ان تلعب دورها المشرف في مقاومة الانكليز المحتلين ، بصفتها مدينة من

---

(١) Lougrigg, Stephen H — Iraq 1900 - 1950, (London 1953).

المدن المقدسة التي ينظر اليها العالم الاسلامي بكل تقدير وتقديس ، منذ تلك الأيام . فقد أعلن الجهاد فيها ضد المحتلين غير المسلمين ، وأصبحت مركزاً لتجمع المجاهدين وسوقهم إلى ميادين القتال في الشعيبة ومزيرعة وخوزستان . وقد شعر بأهمية ذلك الانكليز أنفسهم فأشار الى ما حصل في هذا الشأن على الأخص أرنولد ويلسن ، وكيل الحاكم الملكي العام في العراق على عهد الاحتلال في كتابه المشهور (ما بين النهرين ١٩١٤ ــ ١٩١٧) [١]
فقد قال بصدد البحث عن اصطدام الأتراك ببريطانية لأول مرة ان الحكومة العثمانية بذلت جهداً كبيراً لتجعل من القتال الذي جرى حرباً مقدسة ضد الكفار ، فأثمرت جهودها وأتت أكلها في كانون الثاني ١٩١٥ . إذ أعلن الجهاد في المدن المقدسة والجوامع المنتشرة في سورية والعراق ، وراح وكلاء العلماء ينشرون الدعوة بين القبائل وسكان المدن ويهيبون بالناس للنهوض من أجل الذب عن حياض الدين والعقيدة . وكان التأثير على أشده ما بين القبائل الشيعية في الجنوب ، وبدأت الجموع تلتف حول القوة التركية في الشعيبة .

والمعروف عن الكاظمية في هذا الشأن ان حركة المجاهدين ضد الانكليز قد بدأت فيها خلال الحرب العامة الأولى . وقد أصدر العلماء أمراً بوجوب الدفاع عن كل مسلم ، وأبرقوا بهذا المضمون الى العشائر المحيطة بالبصرة ، ثم توالت الاجتماعات في الصحن الشريف منذ العشرين من ذي الحجة الى ١٢ محرم الحرام سنة ١٣٣٢ ، وألقيت الخطب المثيرة ، وتشكلت على اثر ذلك في اواخر ذي الحجة ١٣٣٣ جمعية باسم « الجمعية الأرشادية » برآسة قائمقام الكاظمية يومئذ محمد أمين أفندي وعضوية جملة من الفضلاء

---

(١) Wilson, Arnold T — Loyalties, Mesopotamia 1914 - 1917 (London 1936). الص ٢٢ .

والأشراف لغرض جمع التبرعات النقدية والعينية للمجاهدين .

وخرج السيد مهدي قاصداً ساحة الحرب . وبصحبته الشيخ مهدي الخالصي والشيخ عبدالحميد الكليدار ، وجماعة من المجاهدين . وخرجت البلدة بأسرها لتشييع ركب الجهاد الزاحف . ثم تواردت على الكاظمية وفود العلماء الزاحفين نحو المعركة من النجف الأشرف وكربلاء . وكانت البلدة تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب . وفيما يلي أسماء جماعة من هؤلاء الأعلام :



الامام شيخ الشريعة الذي خلف الامام الشيرازي في الثورة العراقية .

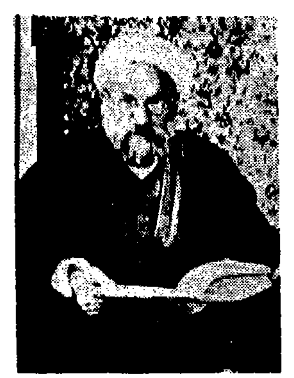
شيخ الشريعة الأصفهاني ، السيد علي الداماد ، السيد مصطفى الكاشاني ، الشيخ جعفر عبد الحسن النجفي ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، الشيخ عبد الكريم الجزائري ، الشيخ حسن علي القطيفي . السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي . المرزا محمد نجل الآخند الخراساني . المرزا محمد رضا الشيرازي . الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي .

وفي أواخر صفر ١٣٣٣ خلت الكاظمية من شبابها ، ولم يبق فيها غير العجزة والنساء والأطفال . وجميع رجالها بين جندي في صفوف الجيش النظامي أو مجاهد في ساحات القتال . حتى أنفذ الله أمره وتراجع الغائبون زرافات ووحدانا . وعاد السيد مهدي السيد حيدر الى الكاظمية في ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٣ بعد ان أبلى هو ومن معه بلاءً حسناً [١] .

---

(١) الشيخ محمد حسن آل ياسين ، (مجلة الاقلام) عدد ت ٢ - ١٩٦٤ .

ويقول ارنولد ويلسن [١] عن انتهاء موقعة الشعيبة باندحار الأتراك وعودة المجاهدين ان المجاهدين المتطوعين الذين تجمعوا في الشعيبة قد تفرقوا بعد ذلك ، ولم يظهروا ثانية في ميدان الحرب . وقد وضعت معاملة الأتراك اسكان العتبات المقدسة بعد ذلك حداً لأمكان عودة الحماسة الدينية الى التفجر مرة أخرى في تلك الجهات [٢] .



الميرزا محمد الاخوند

أنسحاب الأتراك من بغداد

ومن غرائب الصدف ان تشهد الكاظمية آخر يوم من أيام الأتراك العثمانيين في بغداد كذلك فيكون جلاؤهم عن مدينة الخلفاء العتيدة من الكاظمية نفسها بعد ان حكموها حكماً مفعماً بالمآسي والأحداث أربعة قرون متتالية . وبذلك تسنى لبغداد ان تقلب صفحة جديدة من تاريخها الحافل لتبدأ تاريخاً جديداً تتطلع فيه إلى حياة عصرية سعيدة تبني فيها كبناء الأبوة الأمجاد .

وخير من يصف يوم الأتراك الأخير هذا من المراجع الغربية المستر ريتشارد كوك في (بغداد مدينة السلام) [٣] . فهو يقول ان ليلة اليوم العاشر من شهر مارث ١٩١٧ كانت ليلة ليلاء في تاريخ مدينة السلام . ففي مجلس حربي عقد في مخيم الحر بحث خليل باشا مع قواده قضية الصمود في الدفاع عن بغداد أو الانسحاب منها . وكانت البرقيات الملحة أخذت تترى عليه من أنور باشا في استانبول بوجوب الثبات في وجه العدو المتقدم ، لكن

(١) المرجع الأحد الص ٢٣ .

(٢) الص ٢٩١ .

(٣) وقد تقدم في هذا الجزء جانب من حركة الجهاد في استعراض جهاد السيد مهدي الحيدري الخليلي

قادة الجبهة في الميدان كانوا يضعون نصب أعينهم الاعتبارات العسكرية الصرفة ويشيرون الى عدم كفاية القوات الموضوعة تحت تصرفهم لمقاومة الهجوم البريطاني الحازم ، والنتائج المرعبة التي يمكن ان تؤدي اليها الهزيمة المفاجئة أو التقهقر غير المنتظم عن طريق المدينة نفسها . فطالبوا بالانسحاب العاجل خلال الليل الى نقطة تقع على خط السكة الحديد ، حيث يكون بوسعهم الاتصال بقاعدتهم في سامراء وحيث تستطيع القوات المنهكة ان تستريح ويعاد تشكيلها من جديد . ولذلك طلب خليل باشا المذاكرة مع رئيس أركانه حتى يكون قادراً على اصدار حكم قطعي في الموضوع ، وانسحب معه الى غرفة ثانية . فعاد الى قادة جنده بعد عشر دقائق وصادق على الانسحاب . وفي الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه صدرت الأوامر الى الجيش بالتقهقر الى نقطة تقع على بعد أحد عشر ميلاً من شمال الكاظمية على دجلة، والى الفلوجة على الفرات . ثم أبرق خليل باشا البرقية التالية الى استانبول :

« في وجه هذا الهجوم الذي ظل العدو يشنه خلال ثلاثة أشهر من دون انقطاع ، بقوات متفوقة في العدد وعتاد متيسر بكثرة ، أجد ان الفيلق الثامن عشر يكاد يكون عاجزاً عن الحركة وان معنوياته من قائده الى أصغر جندي فيه باتت محطمة . واني لمقتنع بأن الجيش اذا ما اشتبك مع العدو بكامل قواته غداً فان بغداد سوف نخسرها وقواتنا كلها مع ما يعود لها من مدافع سوف تقع في الأسر . وإدراكاً مني لضرورة ايقاف العمليات ، واعادة المعنويات والقوة المادية الى الجيش في مبعدة عن العدو ، أجد نفسي مجبراً على اتخاذ القرار المؤلم بالتخلي عن بغداد والانسحاب منها » .

وعندذاك ركب خليل باشا وضباط ركنه الى محطة الكاظمية واستقلوا القطار منها إلى سامراء . وتم بعد ذلك مباشرة تدمير النقاط العسكرية المهمة القريبة من المدينة ، بما فيها محطة اللاسلكي القوية الجديدة) التي نقلت في آخر برقية لها الى برلين خبر الانسحاب نفسه (، وباب الطلسم التاريخية ،

التي نسفت بما فيها من ذخيرة وبارود . وكان المنظر في محطة الكاظمية حالة من الفوضى لا يمكن وصفها . فقد داهمت وحدات الجيش المتراجعة من الميدان ما كان ينتظر التحميل في المحطة نفسها من احمال الذخيرة الكبيرة . والطيارات المدمرة ، والجرحى من الجنود . ومما زاد في الفوضى العامة التي كانت تضرب أطنابها في كل مكان أن عاصفة هوجاء مفاجئة من العواصف الترابية ، المعروفة في بلاد ما بين النهرين . قد هبت على الجميع فزادت في الطين بلة والحالة سوءاً . وكان مما سببته هذه العاصفة كذلك انقطاع جسر بغداد الذي سحبت جارياته الى الشاطيء الشرقي وأتلفت كلها . وفي منتصف الليل غادر بغداد قائدها العسكري . وفي معيته شرطة المدينة والموظفون ، بعد ان نقل ما يمكن نقله من السجلات الرسمية ، وأتلف ما يمكن إتلافه منها . ولم يكتشف البريطانيون هذا الجلاء الا بعد ان كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل .

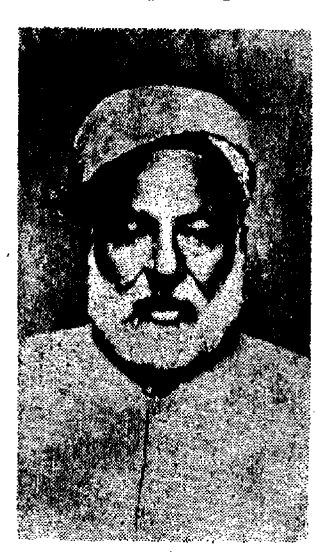
السر رونالد ستورز في الكاظمية

وقد زار بغداد قادماً من القاهرة . في هذه الأيام التي بدأ بها الاحتلال البريطاني للعراق بشكلٍ مضطرب غير مستقر . السر رونالد ستورز . وكان السر رونالد هذا من الاستعماريين الانكليز الذين كان يتألف منهم « المكتب العربي » في القاهرة . وقد تقلب في مناصب عدة . فكان منها حاكمية القدس في أول عهد الاحتلال البريطاني لها وحاكمية قبرص التي نُفي اليها الملك حسين بن علي خلال مدة وجوده فيها . فكتب كتاباً مهماً على شكل مذكرات[١] يومية ، ضمنه الكثير مما صادفه خلال مدة تقلبه في الوظائف المختلفة وزياراته العديدة لكثير من البلاد ، ومن جملتها العراق .

---

(١) Storrs. Sir Ronald — Orientations, Definetive Edition, London 1945 الص ٢٢١ .

ومن جملة المدن التي زارها عند مجيئه إلى العراق العتبات المقدسة ، ومنها الكاظمية التي قصدها من بغداد بمعية المستر ويليام مارشال معاون الحاكم السياسي فيها يوم ١١ مايس ١٩١٧ . فقد توجه اليها في صباح هذا اليوم ، عن طريق الكرخ الذي كان لا بد له من أن يعبر اليه عن طريق الجسر القديم ، لكنه وجده مقطوعاً على ما يقول ولم يستطع العبور الا في حوالي الساعة الثانية عشرة وثلث . وحينما وصل اليها خف الى مقابلته والسلام عليه في دائرة الحاكم السياسي (الشيخ حميد الكليدار) ، والسيد جعفر عطيفـــة رئيس البلدية ، وحسين الصراف . وهو يقول ان الشيخ حميد الكليدار كان قبل الاحتلال مسلماً متعصباً جند ألفاً وخمس مئة مجاهد ضد الانكليز عند أول نزولهم إلى البر في منطقة البصرة . ويقصد بذلك بطبيعة الحال سير المجاهدين المتطوعين من الكاظمية الى الشعيبة بتأثير فتاوى العلماء الأعلام كما مر ذكره ثم يذكر ان (الشيخ حميد) أخذ يطنب في حب الناس للانكليز في كل مكان ، فأجابه ستورز بأنه مسرور لذلك وانه يعتبر ما كان سمعه في القاهرة عن خصومة المجتهـــدين للانكليز وشاية لا أساس لها من الصحة . فرد عليه الشيخ يقول من دون تلكؤ ان أولئك القلة من المضللين (بفتح اللام) قد بدلوا رأيهم حالما أدركوا حقيقة السياسة الالمانية وما كانت تنطوي عليه من فظاعة . ويلاحظ ان السر رونالد يصف حسين الصراف بالمسخ الذكي البشوش . هذا ويقدر نفوس منطقة الكاظمية يومذاك بخمس وعشرين ألف نسمة ، ونفوس البلدة بخمسة عشر ألف ، ثم يقول ان سكان الكاظمية كلهم عرب في الحقيقة لكنهم تجنسوا



الحاج حسين الصراف

بالجنسية الايرانية تهرباً من الخضوع للخدمة العسكرية .

وذهب السر رونالد بعد ذلك مع الجميع . مخترقاً الأزقة الضيقة التي تعجب من نظافتها ، الى دار من دور أحد الوجهاء حيث تسنى له ان يتفرج على القباب والمنائر المذهبة التي تعلو ضريحي الامامين الكاظمين . ولقد أخرس جمالها في الحقيقة لسانه الذرب بخجل وتعجب — على ما يقول — وهي التي كان سطحها الذهبي الخالص يتقبل أشعة الشمس فتنعكس عليه انعكاساً غنياً غير قابل للوصف . وقد أخذ من هناك التصاوير بأربعة أفلام للمناظر الفريدة في بابها .

ومن هناك توجه لزيارة السيد مهدي السيد حيدر المجتهد الشيعي الأكبر في بيته ، والسيد حسن السيد هادي الصدر . وهو يقول عن السيد الصدر انه رجل ذكي نبيه متقدم في السن ، له لحية بيضاء طويلة . وحالما علم أن لي بعض الالمام بالعربية أخذ يرشقني بسيل من بيانه المتدفق ، بادئاً بفضائل السفر الخمس . ثم راح يخوض في حديث ممتع عن السياسة ، وكانت له معرفة واسعة بجرائد مصر وشخصياتها . وقد قضيت معه عشرين دقيقة طلبت خلالها فنجاناً ثانياً من القهوة . ويقول ستورز كذلك انه علم من معاون الحاكم السياسي المستر مارشال ان السيد حسن الصدر كان أعظم سكان الكاظمية نفوذاً في البلد .

الكاظمية في تقارير الحكام السياسيين

كان الكابتن ويليام مارشال معاون الحاكم السياسي الذي زار السر رونالد ستورز الكاظمية في عهده قد نقل الى النجف الأشرف ، بعد ان حصلت له الخبرة الممتازة في ادارة العتبات الشيعية على ما يقول المسؤولون الانكليز في ذلك العهد[١] ، فتعين في مكانه الكابتن ريد . وكان من عادة

---

(١) وقد قتل المارشال في النجف في ثورتها سنة ١٩١٨ وذهب ضحية عجرفة الانكليز وكان شخصية لامعة يحسن عدداً من اللغات الشرقية . الخليلي

الحكام السياسيين تقديم تقارير ، أو يوميات شهرية ، الى مراجعهم المختصة يتطرقون فيها الى جميع الشؤون الإدارية في منطقتهم . وقد عثرت على تقرير من مثل هذا قدمه الكابتن ريد عن منطقة الكاظمية الى مرجعه رئيس الحكام السياسيين في بغداد ، يتضمن يومياته في شهر تشرين الثاني من سنة ١٩١٨ . فآثرنا تلخيص ما جاء فيه هنا على سبيل المثال والدلالة مستلاً من بين مجموعة [١] كبيرة من تقارير مماثلة مطبوعة بالانكليزية عن مناطق ولاية بغداد كلها للشهر نفسه .

ويستهل الكابتن ريد تقريره هذا بذكر شيء عن العشائر ويقول أن أفخاذ شمر التي ذكرها في تقريره السابق قد رحلت في طريقها الى الجنوب في بداية الشهر ، وان قبيلة الشعر ما تزال متمادية في العبث بالأمن الى حد أنها أطلقت النار عليه حينما زار مع جماعته منطقة أبي غريب في الرابع والعشرين من الشهر ، فأعلن عصيانها وهو يأمل جلبها الى الطاعة في القريب العاجل . ثم يأتي على ذكر حوادث الأمن والنظام في المنطقة ويذكر ان حادثة القتل التي وقعت في الشهر الماضي قد أحالها الى الحاكم العسكري في بغداد ، وان حادثة أخرى قد وقعت وقتل فيها رجل من بني تميم يدعى ابراهيم بن كاظم عن ثأر قديم فعين الشيخ حسن السهيل للبت فيها عن طريق الفصل . وهنا أيضاً يشير الى اقتراف عرب الشقر اي (الخيم) للجرائم .

ويأتي بعد ذلك على ذكر « الشبانة » او الجنود المرتزقة الذين كانو تحت تصرفه . ويقول ان المئة الذين كانوا عنده منهم قد أعاد النظر فيهم بقصد خلق قوة فعالة من بينهم فأخرج العاجزين منهم وأبقى النشطين فقط حتى أنزلهم إلى حد الأربعين . ثم يذكر ان الانخراط في هذا المسلك بطيء لأن الناس يخجلون من ذلك ، ولا سيما بني تميم الذين كان يعول عليهم في هذا الشأن .

---

(١) Mouphly Reports of Political Officers, Baghdad Wilayat, Recieved in the Office of the Civil Commissioner for the Month of November 1918.

أما بالنسبة للشؤون الزراعية فيذكر الحاكم السياسي في التقرير أنه كان هناك شيء من الحركة وعدم الاستقرار بين الفلاحين في منطقة أبي غريب لأنهم مدينون للحكومة ، وهم غير واثقين مما ستفعله تجاههم . على ان هذا قد عولج بتأخير استيفاء سلفة البذور التي كانت قد سلفت لهم في العام الماضي . ويذكر كذلك ان جدول اليوسفية الجديد قد جلب اليه عدد من فلاحي هذه الجهات .

وجاء في التقرير هذا عن الواردات وشؤونها ان قاسم أفندي ، مأمور أبي غريب ، قد فصل من الوظيفة وأُعطيت الفرصة الى حسن أفندي ليحل في محله . وقد وجد معاون الحاكم السياسي من الضروري ان يوقف دفع مبالغ كبيرة من سلفات البذور في أبي غريب ، وهو يظن ان السر اكيل سيدركون ان الحكومة لا بد من ان تدفع لهم هذه السلف على أية حال وعليهم ان يستقروا في أرضهم فيعملوا جهدهم للحصول على حاصل جيد منها .

ويذكر في التقرير ان أراضي منطقة التاجي كانت يومذاك موضع نزاع بين دائرة الأوقاف وبعض الملاكين في الكاظمية وكربلا ، فأُحيلت قضيتهم الى بغداد . ولكن معاون الحاكم السياسي قد علم في الوقت نفسه ان جميل أفندي وكيل الأوقاف قد توصل إلى اتفاق ودي مع الجهة المقابلة .

اما عن البلدية فيقول أنها كانت مدينة حوالي عشرة آلاف روبية . وقد قدمت اقتراحات عن إنارة البلدة بالكهرباء ، والمؤمل ان توضع تلك المقترحات في موضع التنفيذ في القريب العاجل .

وبالنسبة لشؤون الري والسداد فان التقرير يذكر ان جدول أبي غريب قد فتح في في الخامس والعشرين من الشهر ، وان الترتيبات اللازمة قد اتخذت لوضع المحافظة على السداد في عهدة الشيوخ الذين تقدم لهم المساعدات اللازمة عن الحكومة . وسوف يشرف على الأعمال بأجمعها مأمور عـــام ومساعدان فقط .

ومما جاء في التقرير عن الناحية الصحية ان الترتيب الذي كان جارياً يومذاك بحضور طبيب زائر ثلاث مرات في الاسبوع لمدة ساعتين في كل مرة كان شيئاً غير واف بالمرام . فان العودة الى السماح بنقل الجنائز . وبدأ الناس بالتنقل من أجل الزيارة ، وما يترتب على هذين الأمرين من ازدياد الفرصة لانتشار العدوى بالأمراض المختلفة ، تجعل من الضروري وجود طبيب متفرغ للعمل على الدوام في الكاظمية .

هذا وهناك نقاط متفرقة أخرى يتطرق اليها هذا التقرير الشهري ، منها أن زيارة صفر في كربلا قد حل أوانها في يوم ٢٢ من الشهر (ت ٢) فذهبت جموع غفيرة من أهالي الكاظمية الى هناك ، ولم يعد عدد كبير منهم الى حد اليوم الذي كتب فيه التقرير . ومنها ان توقيع الهدنة مع ألمانية . ونشر البيان الانكليزي الفرنسي ، قد نبه الأذهان بين الناس الذين صارت السياسة العربية تستأثر بالكثير من تفكيرهم واهتمامهم .

المس بيل في الكاظمية

لقد زارت المس بيل غير ترود بيل . سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني في بغداد ، الكاظمية عدة مرات فكتبت عن زيارتها هذه أشياء مهمة في رسائلها [١] المعروفة . وأول رسالة من رسائلها التي تذكر فيها الكاظمية رسالتها المؤرخة في ٢١ أيلول ١٩١٧ . فهي تقول :

« خرجت بعد ظهر يوم من أيام هذا الاسبوع ؛ فذهبت والجنرال كوبي الى الكاظمية الكائنة على بعد ميلين او ثلاثة من بغداد . وهي بلدة شيعية فيها مسجد مقدس للغاية . وأتذكر الآن كيف أني . حينما كنت هنا

---

(١) Bell, Gertrude L — The Letters of Gertrude Bell, Selected & Fdited by Lady Bell, London 1927 & 1947.

آخر مرة سنة ١٩٠٩ . مررت مروراً مسرعاً بباب المسجد وألقيت نظرة جانبية خاطفة على ما في داخل الصحن . اما اليوم فقد كرمنا السادة أصحاب العمائم ورافقونا عند دخولنا من الباب إلى حافة الصحن . وفيما عدا تمتعنا بامتيازٍ لم يكن له مثيل من قبل في دخولنا هذا . لم نجد شيئاً كثير الأهمية لأن كل ما شاهدناه لم يكن الا أسوأ ما ينتجه العمل الحديث من أشياء بشعة سفسافة . قد تقفع فيها القاشاني الذي بني قبل ثلاثين سنة عن الجدران . ومع هذا فقد قوبلت بحفاوة في كل مكان لأني لم أذهب الى أي مكان آخر منذ قدومي الى بغداد » .

والملاحظ في هذا القول ان انطباع المس بيل السيء عن عمارة المشهد الكاظمي في هذه الرسالة يناقض ما كتبته عندما شاهدت المشهدين العلوي والحسيني من قبل . فقد أعجبتها الألوان والزخارف هناك فضلاً عن الفن الاسلامي المتجلي في أجزاء العمارة جميعها . ولا يخفى ان ما يلاحظ في المشهد الكاظمي لا يختلف كثيراً عما يلاحظ في المشاهد المقدسة الأخرى .

هذا وقد زارت المس بيل الكاظمية مرةً أخرى في آذار ١٩٢٠ . فكتبت عن تلك الزيارة في رسالتها المؤرخة في الرابع عشر من الشهر نفسه ما يدل على اهمية هذه المدينة المقدسة ورجال الدين فيها . فهي تقول : [١]

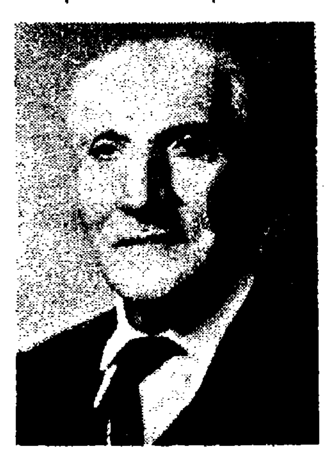
« سررت لأن سفري الى البصرة لم يكن في هذا الاسبوع لأنني أصبت ببرد شديد . وأشعر كأن صدري قد أصبح قطعة صلبة واحدة . ولم يتحسن حالي حينما قصدت الكاظمية يوم أمس وعدت منها في وقتٍ متأخر من النهار . ولكن الزيارة كانت لها فائدة جلى ..

فمن المشاكل التي تواجهنا هنا صعوبة الاتصال بالشيعة . ولا أقصد بهؤلاء العشائر منهم لأننا على اتصالٍ وثيق بهم كلهم . وانما أقصد سكان

---

(١) رسائل المس بيل . الص ٣٤٧ .

المدن المقدسة المتطرفين في التدين وعلى الأخص المجتهدين قادة الرأي العام الديني الذين يمكنهم ان يحلوا ويعقدوا بكلمة واحدة مستمدة من سلطة تستند على اتقانهم التام لضروب المعرفة القديمة التي لا تمت الى الشؤون الانسانية بصلة مطلقاً . ولا تكون ذات فائدة لأي فرع من فروع المسعى الانساني (كذا) . وهم يجلسون هناك في جو مفعم بامارات القدم وقد تراكم فيه غبار القرون بطبقات كثيفة لا يستطيع المرء ان يتبين شيئاً خلاله . ولا يستطيعون ذلك هم أيضاً . ويكون هؤلاء في الأعم الأغلب شديدي العداء لنا . ومثل هذا الشعور تجاهنا لا يمكن تغييره لاننا يصعب علينا الاتصال بهم . ان كلامي هذا ينطبق بوجه خاص على المتطرفين منهم . فهناك عدد قليل من هؤلاء لنا علاقات ودية بهم . وقد كنت الى وقت متأخر جداً بعيدة جد البعد عنهم لأن تقاليدهم تمنعهم من النظر الى امرأة غير متحجبة . كما



الشيخ كاظم الدجيلي

تمنعني تقاليدي عن التلفح بالحجاب — واعتقد انني مصيبة في ذلك لأن تحجبي يعد اعترافاً صريحاً بالضعة التي تجعل اتصالنا في غير نصابه منذ البداية . وليس من المفيد كذلك ان نكوّن صداقات عن طريق النساء . لأن نساءهم اذا كان من المسموح لهن بقبول زيارتي فانهن يتحجبن بحضوري أيضاً كما لو كنت رجلاً من الرجال . وعلى هذا ترون انني أبدو أشد أنوثة تجاه جنس الرجال . وأشد رجولة تجاه الجنس الآخر .

وهناك مجموعة من هؤلاء الذوات في الكاظمية . المدينة المقدسة الواقعة على بعد ثمانية أميال من بغداد . المتطرفة في ايمانها بالوحدة الاسلامية والمتشددة في مناوأة الانكليز . وفي مقدمة هؤلاء اسرة الصدر التي قد تكون أبرز أسرة عرفت بالتعليم الديني في العالم الشيعي كله . وقد وقعت سلسلة من

الحوادث أدت بهم إلى محاولة الاتصال بي فأبديت لهم أنهم اذا كانوا يريدونني ان أزورهم فسيسرني التشرف بذلك .. وأخيراً ذهبت يوم أمس وفي صحبتي رجل شيعي متقدم من شيعة بغداد كنت أعرفه جيداً [١] ؛ واعتقد انه حر التفكير في الباطن . فسرنا في أزقة الكاظمية المتعرجة الضيقة ، حتى وقفنا أمام مدخل صغير مظلم ، ثم قادني صاحبي خلال خمسين ياردة من ممر طويل قاتم الظلمة أوصلنا الى بيت السيد في النهاية . وكان البيت قديماً ، يرجع الى مئة سنة على الأقل في أول عهده ، تشاهد فيه المشابك الخشبية الجميلة التي تقادم عهدها وهي تحجب الديوان في الطابق الأعلى . كما كانت الغرف كلها تفتح أبوابها من فناء الدار ، الذي كان عبارة عن بركة من السكون والهدوء معزولة عن الشارع بخمسين ياردة من المباني السرية التي مررنا من تحتها عند الدخول .

وكان نجل السيد حسن . السيد محمد . يقف في الشرفة للترحيب بنا وقد تسربل بلباس أسود . وبانت في وجهه لحية سوداء ، تنتصب على رأسه من فوقها عمة نيلية قاتمة اللون من العمائم التي تعرف بها طبقة المجتهدين . وكان السيد حسن وهو يجلس في الداخل شخصية مهيبة قوية بلحيته البيضاء المتدلية الى منتصف الصدر ، وعمامته التي كانت تبدو أكبر من عمامة السيد محمد . وقد جلست على السجادة الى جنبه . وبعد أن تبادلنا التحايا الرسمية بدأ يتكلم بلهجة العلماء . أو لغة الكتب التي لا يسمعها المرء على لسان

(١) الواقع هو ان المس بيل هي التي سعت لزيارة السيد حسن الصدر ، ولم تفلح فاستعانت ذات يوم بالاستاذ عبد المجيد بلشه ، وهو كاظمي الاصل وكان يدرس الادب العربي في احدى جامعات انكلترة . وحين تعين السر برس كوكس للعراق صحبه معه . فعرض عبد المجيد هذا رغبة المس بيل في زيارة السيد حسن الصدر على السيد فلم يأذن لها ، فاستعانت بالشيخ كاظم الدجيلي وكان الدجيلي ممن يحضر مجلس الصدر في ايام الجمع فعرض رغبة المس بيل بشكل طريف مستساغ ، ورجع للسيد الصدر بعد ان عرف منه رفضه لعرض عبد المجيد بلشه الموافقة على زيارة المس بل لمعرفة آراء الشيعة على الاقل ، وكان ان تمت الموافقة ؛ والمس بيل تقصد بالرجل الذي تعرفه هو الشيخ كاظم الدجيلي . الخليلي

سائر الناس . وعند المجتهدين أشياء كثيرة يقولونها في العادة ، فان الكلام جزء من صنعتهم ، ولا شك ان ذلك يوفر على الزائر شيئاً كثيراً من العناء . فتكلمنا عن أسرة الصدر بجميع فروعها ، في ايران وسورية والعراق ، وعن الكتب ومجموعاتها العربية في القاهرة ولندن وباريس وروما . انه يملك قوائم الكتب في المكتبات جميعها . وتطرقنا بعد ذلك الى طقس سامراء الذي شرح لي بأنه أحسن من طقس بغداد بكثير لأن سامراء تقع في المنطقة المناخية الثالثة في عرف الجغرافيين . وكان يتحدث بعنف وقوة بحيث كانت عمامته تزحف نازلة إلى الأمام باستمرار حتى تصل إلى حاجبيه ، الأمر الذي كان يضطره الى دفعها الى وراء بعصبية . وقد كان يخالجني ، وأنا في موقفي هذا ، شعور جاد بأنه لم يتسن لامرأة غيري من قبل مطلقاً ان تدعى لتناول القهوة مع عالم مجتهد وتستمع الى حديثه ، وكنت حريصة في الحقيقة على ان أترك انطباعاً حسناً عنده .

ولذلك قلت له بعد ثلاثة أرباع الساعة بأنني أخشى أن أكون قد أزعجته . وطلبت منه ان يأذن لي بالخروج فرد علي يقول في الحال «كلا كلا ، لقد خصصنا بعد ظهر اليوم هذا لك» . وعندذاك تأكدت بأن زيارتي كانت ناجحة فمكثت ساعة أخرى . لكنني استخدمت الساعة الأخرى هذه بمقدار أكبر من الاطمئنان والثقة . فقلت له أريد أن أحدثكم عن سورية ، ونقلت له جميع ما كنت أعرف عنها أي الى آخر برقية تلقيناها عن قرب تتويج فيصل ملكاً عليها . فاستفسر مني باهتمام مفاجيء قائلاً : «على سورية كلها الى حد البحر ؟» فأجبته قائلة «كلا فان الفرنسيين سيبقون في بيروت» ، وهنا رد علي يقول «ان هذا شيء غير حسن إذن» ثم أخذنا نبحث في الأمر من جميع نواحيه . وانتقلنا بعد ذلك إلى التحدث عن البولشفية ، فاتفق معي على أنها بنت الفقر والجوع ثم قال «لكن العالم كله أصبح فقيراً جائعاً منذ وقوع الحرب» . وقد قلت على أثر ذلك بأنني يبدو لي ان البولشفية تنطوي فكرتها على تهديم كل شيء وبناء أشياء جديدة في

مكانه ، وأخشى ان يكون البولشفيك جاهلين بفن البناء . فأيدني في قولي هذا .

وحينما تململت مبديةً الرغبة في انهاء الزيارة بادرني السيد يقول « من « المعلوم جيداً أنك أعلم امرأة في زمانك . واذا كان هذا القول يحتاج الى دليل فهو أنك ترغبين في التردد على العلماء وأنديتهم . وهذا هو سبب مجيئك عندنا اليوم . » فأبديت شكري الجزيل على هذا الامتياز ، وخرجت مودعةً بسيل من الدعوات بالعودة في أي وقت أشاء .. وفي طريقي الى البيت ذهبت لأعود فرانك بلفور الذي كان قد لزم الفراش لحمى أصابته . فسمعت منه خبر تتويج فيصل ملكاً على سورية وعبد الله ملكاً على العراق .. »

وقد كتبت المس بيل في رسالة أخرى ، مؤرخة بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٢٠ . ما شاهدته في الكاظمية حينما ذهبت اليها بمناسبة وصول أحمد شاه ، آخر ملوك القاجار في ايران . لزيارة الامامين الكاظمين عليهما السلام . فهي تقول [١] :

« وفي صباح اليوم الثاني ركبت مع فرانك بلفور والميجر هاي الى الكاظمية لمشاهدة الشاه الذي جاء للزيارة فيها .. وحينما وصلنا الى هناك نظرت إلى ما في داخل الصحن الشريف من خلال باب الجامع الكبير فوجدت في فناء الصحن الذي لا يسمح لنا بالدخول اليه أنه كان ممتلئاً بصفوف خدام المشهد الكاظمي الذين كانوا يلبسون العمائم الخضر . وجماعات العلماء ذوي العمائم البيض والسود والأردية الطويلة . فكان المنظر يبدو وكأنه صورة من الصور الدينية التي ينتجها (جنتايل بليني) وقد جاء الشاه بزورق بخاري . ولذلك ركبنا قبل ان يصل الى ضفة النهر حيث ألفينا السيد جعفر عطيفة رئيس البلدية (الذي كان والدي قد شرب الشاي عنده في مناسبة سابقة) واثنين من الوجهاء في انتظاره . فانتظرنا هناك في ظل النخيل . مقابل بلدة الأعظمية . وكان النهر ينساب مستأنياً بلونيه الأزرق والفضي .

---

(١) المرجع الاخير الص ٢٩٦ - ٩٧ .

والهواء كأنه عسجد مذاب . وبساتين الأعظمية ودورها تلتمع وتتلألأ في الضفة المقابلة من حول منارة المرقد السني المرتفعة الى السماء . فكان ذلك منظراً مبهجاً ما أليقه للزيارة الملكية » ..

اما الرسالة الأخرى التي كتبتها المس بيل عن الكاظمية فكانت بتاريخ ٤ كانون الأول ١٩٢٠ . وقد ذكرت فيها زيارتها للأميرة الإيرانية (بانو عظمى) إبنة ناصر الدين شاه . فهي تقول فيها : [١]

« ركبت بعد ظهر أمس الى الكاظمية لأزور أميرة إيرانية متقدمة في السن تلقب (بانو عظمى) . وهي ابنة ناصر الدين شاه .. فقد جاءت الى الكاظمية لاداء الزيارة واستأجرت داراً صغيرة تنزل فيها . وهناك وجدتها في غرفة صغيرة تطل على صحن الدار . وقد فرشت بالسجاد وعلقت فيها الستائر لتدفئتها . وأكمل أثاثها بـ« منقلة » فحم في الوسط وقفص فيه ببغاء . وكانت الأميرة متمددة على حشية مفروشة على الأرض . ومتكئة على عدد من الوسائد . كما كانت تتغطى بلحاف سميك . وكان ما يمكن رؤيته من جسمها متشحاً بالسواد الى حد الحاجبين من فوق والذقن من أسفل الوجه . وجل ما بقي غير مغطى منها يدان طليقتان ووجه دقيق القسمات تزينه عينان وسيعتان تحدقان من وراء النظارات . وقد كانت هذه الأميرة جميلة جداً في يوم من الأيام على ما يبدو . ولا غرو فان نساء القاجار يشتهرن بجمالهن . وكانت وهي متمددة بحالتها تلك تتكلم بلهجة فارسية شيقة . سريعة عذبة وخافتة كأنها خيال الصوت المسحور . ان أولائي الأميرات القاجاريات اللواتي يأتين الى هنا بين حين وآخر . للزيارة في الغالب . جذابات الى آخر حد . انهن سيدات عظيمات . لكنني أحببت بانو عظمى من دونهن » .

---

(١) المرجع الاخير الص ٤٦٦ .

وآخر رسالة تذكر فيها المس بيل الكاظمية هي رسالتها [١] المؤرخة في ١٣ شباط ١٩٢٤ . فقد ذكرت فيها جولتها حول الكاظمية للتفتيش عن منزل قيل لها ان صاحبه كان يجيء فيه تمثالاً أثرياً من التماثيل الآشورية ، فاهتدت بعد تجوال غير يسير الى دار خربة كانت تعود الى اقبال الدولة . وكان التمثال شبيهاً بتمثال سميراميس الذي كان قد اكتُشف في مدينة آشور الأثرية من قبل ، غير أنه كان قد جيء به من بابل على ما ترامى اليها . فنقلته الى المتحف على ما يفهم من الرسالة .

الحركة الوطنية في الكاظمية

لم تكن الكاظمية أقل اندفاعاً في مكافحة الأجنبي المحتل ، وتنمية الحركة الوطنية المناضلة في البلاد ، من شقيقاتها العتبات المقدسة الأخرى في العراق . فقد بدأت بذلك منذ ان تطوع علماؤها الأعلام ، وشبانها المتحمسون ، للجهاد ضد الانكليز عند أول نزولهم الى البر في البصرة كما مر ذكره في بحث سابق . وحينما تم احتلال بغداد وأعقب فترته حدوث تطورات خطيرة في أحوال العراق والسياسة العالمية ، وبعد ان انتهت الحرب ما بين الدولة العثمانية وبريطانية العظمى وأعلنت الهدنة بينهما في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ ، بادر الانكليز في ٨ تشرين الثاني الى اعلان التصريح الانكليزي الفرنسي الذي وعدت فيه الدولتان بتشكيل « حكومات وإدارات وطنية حرة تنتخب وفق رغائب الأمة وتستمد سلطتها منها » للأقوام والبلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية وحكمها المنهار . ثم سمحت السلطات المحتلة في يوم ١١ تشرين الأول ١٩١٩ بأن تنشر في العراق بنود الرئيس ويلسن الأربع عشرة ، التي كانت الدول التابعة للفريقين المتحاربين قد اتفقت على اتخاذها أساساً لعقد الصلح فيما بينها .

وقد كان يبدو من ذلك ان السلطات البريطانية كانت عازمة على ان تعود بالبلاد الى حالة السلم ؛ بعد الحرب الطاحنة التي كلفت الفريقين خسائر فادحة ، فدعا الجنرال مارشال القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني في العراق (الذي تعين بعد الجنرال مود) على أثر اعلان الهدنة وجهاء بغداد بغداد ورجالها البارزين . فألقى فيهم خطاباً أشار فيه إلى بيان سلفه الجنرال مود الذي ذكر فيه ان الانكليز جاءوا « محررين لا فاتحين » . وأعلن رفع القيود التي كانت قد اقتضتها ظروف الحرب ، ومن جملتها اباحة نقل ألجنائز من مختلف الجهات ودفنها في العتبات بشروط مناسبة على حد قول ارنولد ويلسن في كتابه [١] المشار اليه قبلاً .

وكان من الطبيعي ان تؤدي هذه الوعود والتطورات التي حصلت في البلاد إلى تنبه أذهان الناس وأفكارهم ، ولا سيما في بغداد والكاظمية ، وحصول نشاط سياسي فعال في الأوساط السياسية المختلفة . ولذلك راح المعنيون بالأمر ، بعد ان خضعت البلاد إلى دولة جديدة غير مسلمة ، يعملون على التكتل والتنظيم من أجل المطالبة بتشكيل حكم وطني في البلاد . وكان لحركة الشريف حسين وثورته العربية التي أعلنها مع أنجاله في الحجاز سنة ١٩١٦ تأثير غير يسير على تهيئة الأفكار في هذا الشأن ، ودفع الشباب الوطني الى العمل المثمر .

وفي غمرة هذه التطورات والأحداث صدرت أوامر الحكومة البريطانية في لندن بأن يقوم وكيل الحاكم الملكي العام (ويلسن) في بغداد باستمزاج رأي العراقيين في نوع الحكم الذي يريدونه ، باجراء استفتاء عام تعرض تعرض فيه النقاط التالية :

١ ـ هل يفضل أهالي العراق تأسيس دولة عربية واحـــدة تستهدي

---

(١) بين النهرين ، ج ٢ ، الص ١٠٢ .

بإرشادات بريطانية العظمى ، وتمتد حدودها من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج ؟

٢ — وفي هذه الحالة ، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها أمير عربي ؟

٣ — من هو الذي يفضلون نصبه رئيساً للدولة ؟

ولما كان رجال الاحتلال البريطاني في تلك الأيام ، وعلى رأسهم ارنولد ويلسن ، غير مؤمنين بوجوب تشكيل أي نوع من أنواع الحكم الوطني في العراق فقد اتخذوا التدابير اللازمة لاستحصال نتائج من الناس تتفق وما يريدون ، وأصدروا الأوامر اللازمة للحكام السياسيين ومعاونيهم بالتأثير على الناس بمختلف الوسائل وتزييف المضابط المقدمة أو تحريفها عند الحاجة . لكن هذه الأساليب لم تنطل على الوطنيين ورجال الدين في العتبات المقدسة التي أخذت دوراً قيادياً فعالاً في هذا الشأن . فنظمت المقاومة فيها ؛ وأصدرت الفتاوى ومن جملتها فتوى الإمام الشيرازي التي ندرجها فيما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس لأحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين .

الأحقر

٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧ محمد تقي الحائري الشيرازي

وقد كان لهذا الموقف تأثيره على سير الاستفتاء ، وتعقد الأمور في الكاظمين وكربلا على الأخص بحيث اضطرت السلطات الى استعمال أساليب القمع والاكراه . وتقول المس بيل في تقريرها [١] المسهب (الص ١٢٣ من

---

(١) **Review of The Civil Administration of Mesopotamia - Memorandum by Miss Bell, February 1919.** وقد طبعت هذا التقرير الشامل وزارة الهند في ٣ كانون الاول ١٩٢٠ ، فقدم إلى البرلمان البريطاني برقم (سي أيم دي ١٠٦١) . وهو محتوي الكتاب الذي نشره كاتب هذه السطور ، بعد ان ترجمه عن النص الانكليزي ، بعنوان (فصول من تاريخ العراق القريب) بيروت ١٩٤٩ .

الترجمة العربية عن العراق في فترة الحرب « .. ان المجتهدين في الكاظمية وكربلا حرموا على المسلمين التصويت لغير تشكيل حكومة إسلامية ، فبلغ الاختلاف حداً أوقف سير الاستفتاء . وقدمت بعد ذلك عدة عرائض يفضل فيها الموقعون عليها بقاء الادارة البريطانية ، وكان بين الموقعين عليها شيوخ ورجال ذوو مكانة في البلد .. » ولا شك أنها تعني بالعرائض الأخيرة التي استحصلت بالاكراه أو التي وقع عليها الممالئون للسلطة المحتلة .

وفي مذكرة[1] سرية خاصة ، كتبت في شباط ١٩١٩ ، بعنوان الحكم الذاتي في العراق تعزو المس غيرترود بيـــل الحركة المناوئة ضد الاستفتاء الذي كان يريده الانكليز الى « .. أن العرب الذين كانوا منخرطين في سلك الخدمتين التركيتين المدنية والعسكرية ، والذين كانوا قد رحلوا مع الأتراك بعد الاحتلال . وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي الفعالين ، وغيرهم ممن لم يجازفوا بالبقاء في بغداد بسبب نزعتهم التركية المعروفة — عادوا وكلهم من الموصل في أوائل تشرين الثاني وأخذوا لتوهم يبثو ن الدعاية المناوئة للبريطانيين . ويبدو ان نفوذهم المباشر كان منحصراً في بغداد والكاظمية .. »[2]

وتشير في مكان آخر من هذه المذكرة الى ان المقاومة في الكاظمية كانت عنيفة ، فتقول : « .. وقد وصلت قصص مبالغ فيها عما كان يجري في النجف وكربلا الى أهالي الكاظمية المدينة الشيعية المقدسة الثالثة حيث كان الشعور الوطني آخذاً في الطغيان . وهناك أدلة تثبت ان الكاظمية كان يشتغل

---

(١) Self Determination in Mesopotamia — Mamorandum by Miss Bell, Febrruaty 1919 . نشرت هذه المذكرة بين ملحقات القسم الثاني من كتاب ويلسن المشار اليه الص ٣٣٠ (الملحق الثالث) .

(٢) من الخطأ الظن بان لاولئك الضباط والموظفين الذين اشارت اليهم المس بل اثراً او بعض الأثر في الرأي العام وانما كان الأثر كله في معارضة الانكليز وكرههم منحصراً بالفتاوى ، وقد اعترفت المس بيل نفسها في كل رسائلها بذلك بل هي التي حصرت اسباب كره الشعب للانكليز بتلك الفتاوى وموقف علماء الشيعة منهم . الخليلي

فيها وكلاء من استانبول بعد أن وجدوا فيها مادة تناسب أغراضهم . ولذلك فعندما طُلب الى بلدة الكاظمية ان تعطي رأيها حول النقاط الثلاث التي مر ذكرها هدد العلماء أي شخص يصوت للاحتلال البريطاني بالمروق عن الدين والطرد من الجوامع . وبالرغم من التحريم الوشيك صمد عدد من المواطنين البارزين والشيوخ المحليين ، ولم تكن شجاعتهم تلك شيئاً هيناً . وقد أخذت المضبطة المناوئة للبريطانيين الى الجامع الأكبر في الليل فكُسب لها عددٌ من المحجمين عنها، لكن الفصاحة والبيان المتناهي لم يغيرا من رأي رئيس البلدية (السيد جعفر عطيفة) ، الذي يعد أبرز تجار البلدة في الوقت نفسه، واشتغاله في تهيئة مضبطة مقابلة في صالح الحكم البريطاني. فقد استحصل لها تواقيع التجار الآخرين ومعظم الشيوخ المحليين



السيد جعفر عطيفة في الوسط

ورعايا الهند البريطانيين . وينتمي الأخيرون الى أسر كانت تقيم في الكاظمية منذ مدة طويلة وتتمتع بسمعة طيبة . واذا ما اعتبر هؤلاء من الأجانب بالنسبة لوجهة النظر العراقية فان العلماء الايرانيين الذين أصدروا الفتوى لا يمكن ان يتملصوا من نقدٍ كهذا أيضاً [١] » (انتهى) . ونترك التعليق على مثل هذا المنطق الى رأي القارىء وحصافته . على اننا لا بد من أن ندرج فيما يأتي نص المضبطة الوطنية التي قدمها الكاظميون ، وهي تدل على وطنيتهم وجهادهم الحق من اجل استقلال هذه البلاد وحصولها على حقوقها المشروعة :

---

(١) فصول من تاريخ العراق القريب ، الص ١٧٠ و ١٧١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بناءً على الحرية التي منحتنا إياها الدول العظمى ، وفي مقدمتها الدولتان الفخيمتان انكلترة وفرنسة ، وحيث اننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة فاننا نطلب ان تكون للعراق الممتدة أراضيه من شمال الموصل الى الخليج حكومة عربية إسلاميّة يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال الملك حسين ، على ان يكون مقيداً بمجلس تشريعي وطني ، والله ولي التوفيق .

حرر يوم الاربعاء ٥ ربيع الثاني ١٣٣٧ التواقيع : محمد مهدي

الصدر ، الشيخ ابراهيم السلماسي ، الشيخ مهدي الخالصي ، عبد الحسين آل الشيخ ياسين ، أحمد آل السيد حيدر ، السيد حسن الصدر ، وتواقيع كثيرة أخرى بحيث يكون المجموع ١٤٣ توقيعاً . (مضبطة الكاظمية رقم ٨ « الكاظمية ») .

ويؤيد ما جاء عن هذا الموقف الوطني الذي وقفته الكاظمية الكاتب الأمريكي فيليب آيرلاند في كتابه المعروف عن العراق باسم (العراق — دراسه في تطوره السياسي [١]) . فهو يقول : « .. على ان سير الاستفتاء في المناطق الأخرى ، ولا سيما في المدن المقدسة مثل الكاظمية والنجف وكربلا ، وفي بغداد لم يكن سهلاً ولم تكن نتائجه مرضية كما يجب .. وكان الشعور المعادي لبريطانية في الكاظمية شعوراً قوياً جداً . فقد هدد العلماء جميع من يصوت للاحتلال البريطاني بالمروق عن الدين والطرد من الجوامع ، غير أنه أمكن ايجاد جماعة من السكان استطاعت تنظيم مضبطة أُجل فيها النظر بأمر الحماية الى ما بعد مؤتمر الصلح (انتهى) .

---

(١) Ireland, Philip w — Iraq, Astudy in Its Political Development (London 1937) وهو الكتاب الذي ترجمه كاتب هذه السطور ونشره بالعنوان المذكور اعلاه (بيروت ١٩٤٩ الص ١٢٦ من الترجمة العربية .

ولا يخفى ان المعارضـــة التي أبداها الوطنيون ضد الاستفتاء المزيف الذي كان يريده الانكليز قد عملت على تقوية الروح الوطنية بين الناس وتوعيتهم في شؤون البلاد ومستقبلها . وقوي شأن هذه المعارضة بالتدريج ، وعلى الأخص بعد ان أذيع قبول بريطانية الانتداب على العراق في ٣ مايس . (فقد أثار ذلك في الوطنيين نشاطاً جديداً) ؛ وعملوا على تكوين جبهة متحدة من الطائفتين المسلمتين الشيعية والسنية ، وبانت نذر هذا التقارب لأول مرة في صيف ١٩١٩ عندما حضر السنة في بغداد اجتماعين دينيين لتأبين المجتهد السيد كاظم اليزدي . لكن الأهمية السياسية لهذا التقارب لم تظهر بصورة جلية الا في شهر رمضان الذي بدأ في ١٩ مايس ١٩٢٠ . حيث أخذت حفلات المولد تقام في الجوامع الشيعية والسنية بالتناوب .. وكانت في بعض الاحيان تعقب قراءة المولد ، التي هي من المراسيم السنية البحتة قراءة « التعزية » التي هي من المراسيم الشيعية التي تقرأ في تأبين الحسين وتقديس استشهاده . لكن الطابع البارز على هذه الحفلات الدينية كان في جميع الحالات القاء الخطب السياسية وانشاد الشعر الوطني متلواً بالمراسيم الدينية المعتادة[1] .. ولا شك ان الكاظمية كان لها القدح المعلى في ذلك ، حيث ان عدداً من هذه الاجتماعات وحفلات المولد التي تشير اليها المس بيل قد عقد في المشهد الكاظمي ، كما ان قادة الحركة الوطنية هذه كان في مقدمتهم السيد محمد الصدر الكاظمي مولداً ونشأةً . وتشهد بذلك المس بيل كـــذلك ، حيث تقول « .. وكان قادة الحركة ومنظمو حفلات المولد رجالاً تختلف منزلتهم الاجتماعية وقابلياتهم ، وكان أكفأهم وأبرزهم قدرةً رجلان شيعيان هما السيد محمد الصدر المنسوب إلى اسرة دينية معروفة في الكاظمية ، وجعفر ابو التمن وهو تاجر من تجار الشيعة في بغداد . كما كان من أبرز السنة في هذا الشأن يوسف افندي السويدي والشيخ أحمد الداود وعلى افندي البزركان »[2] .

---

(١) المس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ، الص ١٤٦ و ١٤٧

(٢) المرجع الاخير الص ١٤٧ .

وحينما أراد الوطنيون اتخاذ تدابير فعالة للحصول على استقلال البلاد وحقوقها المشروعة في تأليف حكومة وطنية » ... تألفت لجنة من خمسة عشر عضواً ، انتخبوا أنفسهم بأنفسهم وتسموا باسم المندوبين عن بغداد والكاظمية من أجل مقاومة الانتداب ، وطلبوا مواجهة الحاكم الملكي العام ليعرضوا عليه آراءهم « . على ما تقول المس بيل[1] . لكن الحقيقة ان الذي انتخب اللجنة المشار إليها هو الجمهور الذي احتشد في الاجتماع الشعبي المنعقد في جامع الحيدرخانة ، ولم ينتخب أعضاؤها أنفسهم كما تزعم سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني . وكان من بين هؤلاء اثنــان من الكاظمية هما محمد الصدر والسيد أبو القاسم . وقد دفع هؤلاء المندوبون مذكرة خاصة يطالبون فيها : (١) بتأليف مؤتمر يمثل العراقيين ويقرر مصير البلاد و (٢) بمنح الحرية في الكتابة والخطابة (٣) برفع القيود المفروضة على وسائل الاتصال بالخارج . وجاء فيها ايضاً قول « .. فبصفتنا نواباً عن أهالي بغداد والكاظمية نطلب إليكم ان تصادقوا حالاً على تنفيذ هذه المطاليب الثلاثة بكل سرعة ممكنة .. »

الكاظمية والثورة العراقية

وهكذا يلاحظ مما مرّ ان الكاظمية قد اشترّكت بعلمائها ورجالها ، والرأي العام فيها ، اشتراكاً فعلياً في إشعال نار الثورة والتمهيد لها . ويقول المستر آيرلاند في كتابه[2] الذي مرت الأشارة اليه من قبل في هذا الشأن « .. وبينا كان هياج بغداد يتعاظم كان علماء الشيعة في المدن المقدسة يضاعفون جهودهم في إثارة القبائل ومراكز الألوية . فنشرت المناشير الطويلة والرسائل والوثائق التي كان يحمل قسم منها توقيع المجتهد الأكبر الميرزا محمد تقي .

---

(١) المرجع الاخير الص ١٥٠

(٢) العراق – دراسة في تطوره السياسي ، الص ٢٠٤ من الترجمة العربية .

وكانت هذه تناشد المؤمنين الصادقين الدفاع عن بيضة الإسلام ضد الكفار وتستحثهم على إرسال المندوبين الى بغداد لتشكيل حكومة إسلامية . ووقع عدد من الشيوخ على ميثاق يجمع القبائل فيه على الثورة في وقت واحد .»

وإظهاراً للدور الذي قامت به الكاظمية في هذا الشأن نورد فيما يأتي نص الكتاب الذي وجهه قائد الثورة الأكبر حجة الإسلام المرزا محمد تقي :

الى اخواننا العراقيين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فان إخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف وكربلا قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية . وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية ، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية الى عاصمة العراق وفداً للمطالبة بحقه متفقاً مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب الى بغداد . فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم على هذا المبدأ الشريف ، واياكم والإخلال بالأمن والتخالف والتشاجر ، فان ذلك مضر بمقاصدكم ومضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم . وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادنا في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ، ولا تنالوا أحداً منهم بسوء . وفقنا الله جميعاً لما يرضيه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٩ــ١٠ رمضان ١٣٣٨ الأحقر محمد تقي الحائري الشيرازي

هذا وقد لاحظنا في بعض المراجع [1] العربية التي دونت أخبار الثورة العراقية ان الكاظمية لعبت دوراً فعالاً قبل الثورة وبعدها ، وان الذي نشط

---

(١) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وتتائجها (مطبعة النجاح ١٩٥٢) بغداد ، الص ١٣٩ و ١٤٠ .

لهذا العمل فيها على الأخص الشيخ مهدي الخالصي والسيد أبي القاسم الكاشاني . بعد ان توجه السيد الصدر الى جهات الثورة الأخرى . ويعتقد الشيخ فريق المزهر الفرعون مؤلف (الحقائق الناصعة) ان أول حركة من الحركات الثورية التي وقعت في منطقة بغداد كانت في الكاظمية وليس في بغداد نفسها ، وقد تم ذلك على يد آية الله السيد الكاشاني الذي كان مقيماً في الكاظمية . فهو يقول :

« لقد عمل الكاشاني في مدينة الكاظمية من وقت بعيد قبل ان تصبغ بغداد بلون الثورة ضد السلطة البريطانية المحتلة ، فقد كان يطبع المنشورات في الكاظمية وتوزع سراً بتوقيع (الجمعية الإسلامية العربية) فأقض مضجع السلطة العسكرية المحتلة بذلك ، فبثت العيون والجواسيس لمعرفة أعضاء الجمعية فعاد كل هؤلاء بخفي حنين .. والكاشاني هذا وهو الذي قام بأعمال جبارة خلال الثورة وقبلها .. لم يكن الا غصناً من شجرة الافتاء في النجف الأشرف ، وفذاً من الأفذاذ الذين جمعتهم رابطة الجهاد من العلماء والزعماء في الفرات الأوسط من أجل الحصول على الاستقلال قبل ان تتوارد فكرة الثورة في رؤوس سكان بغداد ، وعندما وجدت القيادة الروحية عنده الاخلاص وقوة التفكير وسداد الرأي وُجه الى الكاظميةليبث الدعوة للثورة هناك » (انتهى) .

والظاهر ان المغفور له الشيخ مهدي الخالصي كان قد انتقل الى كربلا خلال المدة التي كان الكاشاني يشتغل في الكاظمية من أجل الثورة فيها ، فثقل العبء على الكاشاني وسيّر له وفداً من مواكب العزاء يرجوه فيه العودة للعمل على قيادة الثورة في منطقة بغداد فتم له ذلك . والمعروف ان السيد الكاشاني قد ظل يكافح الانكليز ويعمل على إحباط خططهم حتى اضطر إلى الهجرة من العراق الى ايران مع عدد آخر من العلماء احتجاجاً على تسفير الشيخ مهدي الخالصي الى الخارج في سنة ١٩٢٣ . بعد ان أصرّة

على معارضة عملية الانتخاب للمجلس التأسيسي . وظل يعمل على مناوئة الانكليز في ايران كذلك حتى اشتهر أمره على عهد مصدق في الغاء امتياز شركة النفط الانكليزية الايرانية .

الكاظمية وفيصل الأول

كانت الثورة العراقية قد أحدثت التأثير المطلوب لدى الرأي العام البريطاني فاضطرت الجهات المختصة في بريطانية الى التعجيل بشكيل نوع من أنواع الحكم الوطني في العراق تضمن فيه مصالحها ، وتنفذ بواسطته شروط الانتداب الذي ألقي على عاتق بريطانية العظمى في عصبة الأمم . فتقرر في اجتماع عقد في القاهرة برآسة المستر تشرشل السماح للأمير فيصل الذي قوضت فرنسة عرشه في سورية ، بأن يرشح نفسه لعرش العراق .

فتوجه فيصل الى العراق ووصل البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١ ، وبعد اسابيع ثلاثة نادى به مجلس وزراء الحكومة الموقتة المنعقد برآسة السيد عبد الرحمن النقيب ملكاً على العراق بالاجماع . وحينما وصل إلى بغداد استقبل استقبالاً حافلاً . برغم الفتور الذي لاحظه عند مروره بمحطات القطار ما بين البصرة وبغداد . واحتفت به الكاظمية عندما زارها في اليوم الثاني .

ويقول المستر آيرلاند[1] في هذا الشأن : « .. غير ان الحماسة في الترحيب كانت معيدة للاطمئنان في العاصمة حيث حياه عند وصوله المندوب السامي وموظفوه مع جمهور كبير هائل من وجهاء العراقيين وسراتهم ، وكانت الجماهير المحتشدة الهاتفة التي غصت بها العاصمة المزدانة بالألوان الشريفية الأخضر والأحمر والأسود والأبيض ، تقدم دليلاً أضافياً بأن المدينة تقبل

---

(١) العراق – دراسة في تطوره السياسي ، الص ٢٥٧ من الترجمة العربية .

به. كما ان الاحتفاء العظيم الذي قابلته به الكاظمية ، عندما ذهب اليها في اليوم التالي لتأدية الصلاة في الجامع المقدس وفقاً لتعاليم المذهب السني . كان احتفاءً شائقاً لا يقل عما حدث في بغداد نفسها » (انتهى)

وحينما جرت عملية الاستفتاء العام في البلاد حول تتويج فيصل [illegible] على العراق وقفت الكاظمية [illegible] على لسان مجتهدها وزعيمها الأكبر الشيخ مهدي الخالصي [illegible] من الحكم الأجنبي عند التنصيب بخلاف ما كان يريده الانكليز بطبيعة الحال . ويقول المستر آيرلاند[١] في هذا الخصوص : « .. ومع ذلك فان الحكومة لم تستطع السير في طريقها تماماً . فان المضبطة الرسمية لم تلق قبولاً عند الشيعة في منطقة بغداد ، فقد كتب الشيخ مهدي الخالصي أحد علماء الشيعة الكبار المضبطة بصيغة تنطوي على اصرار شديد على التحرر من الحكم الأجنبي ، وتشكل حزب خاص ليثير الناس من اجل ذلك . وفي اجتماع عام عقد ببغداد في ٢٨ تموز ، للتصديق على المضبطة الرسمية ظاهرياً ، قدمت مضبطة محوّرة فصودق عليها من دون صوت مخالف . وعرض هذا الشكل المحور منها على مصوّتي بغداد في ٢٩ تموز فكانت النتيجة أن ستة وستين ممثلاً من مجموع ممثلي بغداد البالغ عددهم الثمانين جعلوا قبول ملوكية فيصل منوطاً بنقطتين هما : أن يكون العراق مستقلاً عن السيادة الأجنبية ، وان يجتمع المجلس التأسيسي خلال ثلاثة أشهر » (انتهى)

المعارضة في الكاظمية

وحينما سار الحكم الوطني سيراً لا يكفل الشرط الذي اشترطته الكاظمية على لسان زعيمها الخالصي ، وأصبح خاضعاً للسيادة الأجنبية منذ البداية رفعت الكاظمية لواء المعارضة وتمادت في موقفها المناوىء للتسلط الأجنبي ،

---

(١) المرجع الاخير ، الص ٢٦٠ .

المدافع عن القضايا الوطنية بوجه عام . مدة طويلة من الزمن خلال حكم الملك فيصل الأول . فقد اقتضى بتربع فيصل على دست الحكم في بغداد ان تنظم علاقة العراق ببريطانية عن طريق معاهدة تعقد بين الطرفين وأرادت بريطانية ان تضمن هذه المعاهدة جميع النقاط الواردة في صك الانتداب علاوة على نقاط الاستغلال الأخرى . غير ان الوطنيين في البلاد ، والكاظميون في مقدمتهم ، كانوا يعارضون هذا بطبيعة الحال ؛ ويأبون ان يكبل العراق بقيود جائرة عند أول تشكيل الحكم الوطني فيه . وكان الملك فيصل يؤيد من طرفٍ خفي موقف الوطنيين في هذه المعارضة ، ويتصل سراً بهم .

وقد حدث في تلك الظروف ان تفاقمت غارات الوهابيين على الحدود العراقية خلال شهر مارث ١٩٢٢ وانتشر الرعب والفزع بين طبقات السكان في الألوية الوسطى والجنوبية من العراق . فعقدت إجتماعات في النجف تقرر فيها ان يطالب العلامة الخالصي في الكاظمية بعقد مؤتمر عراقي عام في كربلا يدعى اليه نخبة من وجوه الناس وشيوخ العشائر العراقية كافة في يومي ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢ . فتم ذلك ، واستغل زعماء الحركة الوطنية هذا الاجتماع فعمدوا الى المذاكرة في توحيد الجهود من أجل العمل على استحصال الحقوق المشروعة للبلاد وعدم تصديق المعاهدة بالشكل الذي يريده الانكليز . وقد كـــان من المعروف لدى الساسة المطلعين ان الملك فيصلاً يشجع تلك الحركة ويعمل على تقويتها . إذ يقول المستر آيرلاند[١] : « .. ولم يكن احجام الملك البيّن ، ووزرائه ، عن تصديق المعاهدة على علاتّها خالياً من التأثير الذي كان يحدثه الشعور المتزايد المناوى للانتداب ، الذي كان يغذيه الوطنيون بحذق ومهارة ، ويميل الملك لتأييدهم فيه دعماً لموقفه . وقد رحب الجميع بعقد الاجتماع الكبير الذي اجتمع فيه الوطنيون السنة والشيعة من جميع أنحاء العراق في كربلا بتاريخ ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢ ،

---

(١) المرجع الاخير ، الص ٢٧٤ و ٢٧٥ .

بعد ان دعا الى عقده الشيخ مهدي الخالصي والغرض الظاهري منه النظر في اتخاذ التدابير الدفاعية اللازمة لصد الوهابيين .. » .

وجرياً على الخطة التي رسمت بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر شُنت حملة واسعة النطاق في الجرائد وغيرها ضد المعاهدة . وفي هذه الأثناء صرح المستر تشرشل (٢٣ مايس ١٩٢٢) في مجلس العموم البريطاني ان الملك والحكومة العراقية لم يرفضا الانتداب فاضاف تصريحه خطباً جديداً الى اللهيب المندلع . ولذلك يقول آيرلاند[1] « .. ففي اجتماع عقد في الكاظمية وضع منهج جديد لعقد اجتماعات أخرى في الجوامع وتقديم العرائض والبرقيات الى الحكومة البريطانية وجميع الحكومات الأجنبية الأخرى . وقد أُجريت الترتيبات لعقد اجتماع كبير في جامع الحيدرخانة وصدر عدد خاص من جريدة الاستقلال لحث الناس على الحضور فيه . الا أن إجراء عاجلاً اتخذه الملك فيصل حال دون وقوع الاضطرابات في الجامع . لكن لجنة خاصة انتخبت لتتصل بالملك فتقدم له احتجاجها على تصريح المستر تشرشل . وكتبت برقيات احتجاج الى الدول الأجنبية بلغت كلفتها (١٥٠٠) روبية او (١١٥) باوناً . ولكن ابراقها منع من المندوب السامي .»

وقد أدت هذه المعارضة ، التي كانت الكاظمية نشطة فيها . وتأييد الملك فيصل لها . الى استقالة وزارة النقيب . وشاع في الأندية والمحافل أن الملك سيكلف الوطنيين بتأليف وزارة يرأسها السيد محمد الصدر . ثم أصدر الصدر من مقره في الكاظمية منشوراً الى الشعب يشير فيه على الناس بأن يثابروا على المطالبة بالاستقلال التام ، ورفض الانتداب البريطاني بجميع الوسائل المشروعة .. وفكر الحزبان السياسيان الوطنيان . الحزب الوطني وحزب النهضة ، بأن الفرصة قد حانت لهما ليرميا بثقلهما في الاحتجاج ضد الانتداب . وفي جلسة مشتركة عقدت في ٢٠ و ٢١ آب برآسة السيد

---

(١) المرجع الاخير الص ٢٧٦ .

[illegible]

وكان أهم ما تضمنه هذا الاحتجاج في نظر المستر آيرلاند : اولاً : الكف عن اتباع السياسة المتبعة ومقاومة وعدم تدخل الانكليز في الشؤون الادارية للبلاد ثانياً : تأليف وزارة من الاكفاء المخلصين الذين تطمئن اليهم البلاد ثالثاً : عدم عقد آية معاهدة أو اجراء أية مفاوضات قبل تأليف المجلس التأسيسي.

غير ان الأزمة قد انحلت بعد اصطدام الملك بالمندوب السامي وتراجعه عن الاتصال بالوطنيين وتشجيعهم . ولا سيما بعد ان دبرت مظاهرة سلمية يوم عيد التتويج (٢٣ آب) أهين فيها المندوب السامي حينما صادف مروره من بين المتظاهرين لتهنئة الملك . فألفت النقيب وزارة جديدة في أثر ذلك .

معارضة الكاظمية للمجلس التأسيسي

كانت المضبطة التي نظمها الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية بتأييد انتخاب فيصل للملكية في العراق قد اشترطت : (١) ان يكون العراق مستقلاً عن السيادة الأجنبية . و (٢) ان يجتمع المجلس التأسيسي في البلاد خلال ثلاثة أشهر . غير أن تنفيذ النقطة الأولى لم يكن شيئاً ممكناً في تلك الأيام . وحينما أزف الوقت لتنفيذ النقطة الثانية . وصدرت الارادة الملكية في ١٩ تشرين الأول ١٩٢٢ بأن تبدأ انتخابات المجلس التأسيسي في ٢٤ تشرين الأول بدل العلامة الخالصي موقفه من هذا المجلس وأصبح معارضاً لتشكيله بطبيعة الحال . ومن الغريب أن يتجاهل المستر آيرلاند في كتابه الأسباب التي أدت الى هذا التبديل في الموقف الوطني حين يقول فيه :

« .. على أنه عندما صدرت الارادة الملكية بأن تبدأ انتخابات المجلس

---

(١) المرجع الاخير الص ٢٨٠ و ٢٨١

تأسيسي ، بعد تأخير سنتين . كان رد الفعل بعيداً كل البعد عما كان يتوقعه المعنيون بالأمر مقدماً فقد اتحد العلماء والوطنيون والشيعة في معارضة تنفيذها . وأقنع علماء الكاظمية والنجف . بما فيهم الشيخ مهدي الخالصي الذي كان يدعو بقوة مع الوطنيين لتشكيل المجلس التأسيسي . باصدار الفتاوى في أوائل تشرين الثاني لتحريم الانتخابات . وكان تأثير الفتاوى المباشر أن وقف إجراء الانتخابات في المراكز الشيعية . فقد استقالت اللجان الانتخابية في النجف ، وكربلا ، والحلة والكوفة، وأعلن الموظفون في الكاظمية عن فشلهم في تأليف اللجان المذكوره » (انتهى) .

وندرج فيما يأتي نص واحدة من هذه الفتاوى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى كافة أخواننا المؤمنين المتدينين المتمسكين بشريعة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين . لا يخفى على كل ذي لب انه قد صدر منا الحكم بحرمة الانتخاب وأعلنا الى كافة المؤمنين . وكتبنا ان الداخل فيه والمساعد عليه كمن حارب الله ورسوله وأولياءه صلوات الله عليهم أجمعين . وقد بلغنا ان بعض ذوي الأغراض والأمراض الذين لا خلاق لهم في الاسلام ربما يلقي في قلوب المتدينين أننا قد سكتنا عن ذلك ، فلا يدخل بذلك في قلب أحد شك ولا شبهة . وليعلم ان حكم الله تعالى لا يتغير وان الجهة التي دعتنا إلى التحريم لم تتبدل والآن كما كان ولم نسكت عن ذلك . ونعلن جديداً انه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر المساعدة على الأمر والدخول فيه . وان المساعد عليه معاد لله ولرسوله صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، أعاذ الله المسلمين عن ذلك والسلام على اتبع الهدى . ٢٢٨ ج ٢ ، ١٣٤١

ومع هذا فقد بذلت مساع جديدة لاسترضاء العلماء ولكنها لم تنجح ، فأعيد إصدار الفتاوى في حزيران ١٩٢٣ . ولذلك نجد المستر آيرلاند يقول :

« .. وقد ذهبت الدوائر البريطانية الرسمية الى ان العلاج الوحيد للمشكلة هو اتخاذ الاجراءات المشددة ضد علماء الدين أنفسهم . لأن الفرصة لا يمكن ان تسنح لالقاء الرعب في نفوس الدهماء بحيث يمكن للانتخابات أن تستمر من دون معارضة فعالة الا باسكاتهم . وكان رئيس الوزراء (عبد المحسن السعدون) يرتأي هذا الرأي ، إلا ان الملك فيصلاً تمادى في أمله بأن يسترضي العلماء بطرق أخرى . على أنه عندما حصلت اصطدامات في ٢١ حزيران بين الشرطة وسكان الكاظمية حول إلصاق الفتاوى على باب الجامع ، ونظمت المظاهرات على أثرها ضد الحكومة ، ولعب فيها الشيخ مهدي الخالصي وأسرته دوراً بارزاً ، وجد الوزراء بتحريض من مستشاريهم الانكليز ضرورة لاتخاذ اجراءات صارمة للثأر لهيبة الحكومة . فأمر مجلس الوزراء ، بعد حصوله على موافقة صاحب الجلالة الملك الذي تلكأ فيها وهو يزور البصرة يومذاك ، بأن يعتقل الشيخ مهدي الخالصي ونجلاه الشيخ حسن والشيخ علي مع ابن أخيه، وكلهم من رعايا ايران [1] ويبعدوا جميعاً الى الخارج بموجب المرسوم الصادر في ٩ حزيران في تخويل الحكومة حق إبعاد غير العراقيين بسبب تجاوزهم السياسي . فنظمت على على أثر ذلك مظاهرة احتجاجية في الحال ، وقد قام بها رؤساء الدين في النجف . ثم غادرت البلاد الى ايران جماعة مؤلفة من تسعة علماء مهمين مع خمسة وعشرين من أتباعهم ليعبروا عن سخطهم . ومع أن الحكومة كانت تستنكر عمل هؤلاء العلماء فانها أبدت لهم جميع التسهيلات لتعجل في رحيلهم [2] » (انتهى) .

---

(١) الحقيقة ان آل الخالصي عرب اقحاح وعراقيون عريقون في عراقيتهم ولكن السلطة كانت تبحث عن وسيلة ليتم لها بها نفي الشيخ الخالصي فاعتبرتهم اجانب غير عراقيين .
الخليلي

(٢) المرجع الاخير الص ٣٠٨ .

هذا وقد لاحظنا ان مرجعاً من المراجع[١] العربية يقول في هذا الشأن ما يأتي :

.. ولما شعرت الوزارة ان العالم الكاظمي الكبير الشيخ مهدي الخالصي هو الذي يرأس الهيئات القائمة بمقاطعة الانتخابات ، والضغط على الدوائر العليا للحد من التدخل البريطاني في شؤون العراق الداخلية ، قررت اخراجه من العراق مهما كلف الأمر يساعدها على ذلك رئيس بلدية الكاظمية السيد جعفر عطيفة ومعاون شرطتها عبدالرزاق الفضلي . وقد أُخرج الامـــام وصحبه الى ايران في يوم ٢٨ حزيران ١٩٢٣ . ولما هم زملاؤه في النجف وكربلا الاحتجاج على هذا النفي أوعزت الى متصرف لواء كربلا مولود مخلص فأخرجهم من البلاد أيضاً ، ونشرت الوزارة بياناً مليئاً بالمغالطات لتبرير هذا العمل (انتهى) .

فأقدمت الحكومة بعد ذلك على اجراء الانتخابات من جديد . ولكن العراقيل كانت ما تزال قائمة بسبب امتناع الشيعة عن تشكيل اللجان الانتخابية في مناطقهم . والخوف من الجندية ، واستقالة وزارة السعدون وحينما شكل جعفر باشا العسكري الوزارة بعد السعدون وجدت الفرصة للملك . على ما يقول آيرلاند ، بأن يسترضي الشيعة . فانتُخب المجلس ودُعي للاجتماع في ٤ مارث ١٩٢٣ . وبذلك انتقلت المعارضة الى المجلس وخارجه . وخفت صوتها في الكاظمية مدة من الزمن .

حادث ١٩٢٧

لقد حدث في عهد الوزارة العسكرية الثانية (وزارة جعفر باشا العسكري) ان وقعت حادثة مؤسفة في الكاظمية في يوم عاشوراء (١٠ تموز ١٩٢٧)

---

(٢) عبد الرزاق الحسني — تاريخ العراق السياسي (مطبعة العرفان ١٩٤٨) ج ٣ ، الص ٥٣

بين البعض من جنود الجيش العراقي المتمتعين بالعطلة والكاظميين المشتركين في مواكب العزاء الحسيني التي تقام في مثل هذا اليوم الفضيل في العتبات المقدسة وغيرها كل سنة . ويقول المستر لونكريك في كتابه [1] الثاني عن العراق ".. وقد قوطع وزير المالية (ياسين الهاشمي) خلال الجولة التي مر فيها بالنجف ، وتطلب الحادث المؤسف الذي وقع في الكاظمية . بين جنود الجيش العراقي والمتعبدين الشيعة : في يوم ١٠ محرم المحظر على الدوام جميع الحذق والسخاء الذي كان عند الملك للحيلولة دون تطوره أو حصول عواقب خطيرة بسببه . وكان الوزيران الشيعيان (عبد الحسين جلبي وعلوان الياسري) المشتركان في الوزارة موضع سخط حزب النهضة في ذلك الوقت .. "

والمعروف عن هذا الحادث ان الجماهير الغفيرة التي كانت محتشدة في يوم عاشوراء في الصحن الكاظمي الشريف كان بينها عدد من جنود الجيش العراقي الذين جاءوا للفرجة . وقد حدث من جراء الازدحام الشديد ان حصل تدافع وخلاف بينهم وبين بعض الكاظميين . فتطور ذلك الى نزاع وتصادم . وفي خلال ذلك عمد أحد الضباط الحاضرين الى اطلاق عدة طلقات من مسدسه للتخويف . غير انها سمعت في نيابة وزارة الدفاع على ما يقال ، وخفت ثلة من الجند الذي كان مرابطاً فيها الى التوجه الى الكاظمية لانجاد الجنود الذين سرى نبأ اهانتهم والاعتداء عليهم كما قيل في الحال . لكن أحد موظفي جسر الأعظمية أدرك الخطر في ذلك حالاً ، وبادر إلى قطعه فوراً فانتهى الحادث بسلام . وقد أصدرت وزارة الداخلية بياناً مقتضباً على أثر ذلك لتوضيح الأمر وتهدئة الخواطر . ويقول البيان [2] :

وقع نزاع طفيف في ١٠ محرم في الكاظمية بين امرأة وصبي نشأ عن

---

(١) Lougrigg, S H Iraq 1900 - 1750, A Political, Social, & Economic History (London 1953) الص ١٧٨ .

(٢) تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٢ الص ٢٠ .

حيلولة بينهما وبين مشاهده المواكب ، فأدى الى مشاجرة ومضاربات مؤسفة بين الرعاع والجنود الذين حصروا المأتم حسب العادة غير مسلحين وقد أسفر ذلك عن أربع حوادث وفاة أحداها من الجنـد وثلاث من الأهلين ، مع ثمان وأربعين حادثة جرح . أربعون من الجند وواحدة من الشرطة وسبع من الأهلين . وقد أعيدت السكينة حالاً من قبل الشرطة

صحفي أمريكي في الكاظمية

وفي ١٩٢٨ زار بغداد صحفي أمريكي يدعى روبرت كيسي ، بعد ان زار عدداً غير يسير من مدن البلاد العربية الأخرى فكتب عن سفرته هذه كتاباً [١] بلهجة صحفية فيها الكثير من الخلط وتشويه الحقائق . وقد أفرد في هذا الكتاب فصلاً خاصاً بالكاظمية عنوانه (شعلة الاسلام) ، فبدأه بمقدمة موجزة عن ظهور الدعوة الاسلامية بشكل مفاجيء في العالم وانتشارها في البلاد العربية وما جاورها انتشاراً سريعاً لا يكاد يصدق . وهو يقول بالمناسبة ان جيوش محمد اندفعت الى الاستيلاء على الجزيرة العربية كلها كما يندفع وباء الجراد في البلاد (كذا) ، بعد ان ضمنت لأفرادها الغنيمة فيما لو ظلوا على قيد الحياة والجنة في حـــالة الاستشهاد . ثم يتطرق الى اختلاف المسلمين فيما بينهم بعد ان انتقل النبي الأعظم الى دار الخلود ، ونشوء الفرق الإسلامية على النحو المعروف . ويخلص من هذا الى تمسك الشيعة بآل البيت ، وتقديس الأئمة الاثني عشر من أبناء علي عليه السلام . وهو يرى ان الخلافة الأموية في دمشق كان من الممكن لها ان تبقى المسيطر الوحيد في الميدان على مر الأيام لولا مقتل الامام علي وابنه الحسين بصورة مفجعة ، وتخليدهما بهذه الطريقة في قلوب اتباعهما وعقولهم . فقد أدى ذلك الى نشوء عتبات مقدسة حول مدفنيهما ، ومدفن الأئمة الباقين من أبنائهما ،

---

(١) Casey, Robert g -- Baghdad & Points East (New York 1938)

وصار الزوار يقصدون هذه العتبات في كل عصرٍ او زمان .

ثم يقول ان بغداد ظهرت الى الوجود في عهد العباسيين ، وان الاسلام هو الذي جعل منها عاصمةً للرومانتيكية ، وأنشأ فوقها المجد الحضاري الذي يكلؤها اليوم من عيون العالم الناقدة بنقابٍ وردي اللون . ويذكر كذلك إن المدن المقدسة كلها تقع بالقرب من بغداد ، ويمكن ان تعتبر الكاظمية بقبابها المذهبة ضاحيةً من ضواحي مدينة الخلفاء العتيدة . وهذه قد لا تضاهي في شهرتها العظيمة النجف التي يقبر الامام علي في تربتها ، أو سامراء بكلفها السري الذي اختفى فيه آخر الأئمة عن الأنظار ، أو كربلا التي ظل الحسين الشهيد يرزح فيها تحت وطأة العطش . انها تعرف عند الشيعة بكونها البقعة التي دفن فيها امامان من الأئمة الذين عاشوا قبل اختفاء الحجة المهدي .

والمقول ، على ما يذكر هو : ان زيارة باب المشهد الكاظمي المطعمة بالميناء الزرقاء تعتبر ضماناً ضد آلام الوضع عند النساء . وبوعدٍ مثل هذا ربما تكون هذه الزيارة قد اقترنت بالقدرة الالهية على التنبؤ بجنس الأطفال قبل الولادة او التأثير في مصير العرق ومستقبله . ولا ندري من اين جاء المستر كيسي بمثل هذا الخلط ! !

وينتقل المستر كيسي بعد ذلك الى القول بأن الكاظمية يصل اليها الناس بأقدم خط ترامواي وأغربه في العالم . فان قضبانه التي تسير عليها الحافلات من الخشب (كذا) لا الحديد ، وأنها صفت فوق الأرض كما تسلمها المهندسون من البائع . وتعتمد السكة على بركات الله وعنايته ، التي يجب ان يحظى بها زوار العتبات المقدسة على الدوام ، أكثر من اعتمادها على أية قاعدة من من القواعد الهندسية المعروفة في مد السكك . اما العربات التي يحشر فيها الزوار الى الكاظمية في الذهاب والاياب فتشبه عربات الحصان الواحد التي كان يشيع وجودها في المدن الأمريكية قديماً .. واذا ما وجدت في خرائب بابل ، او تحت طاق كسرى الكبير ، فلا يمكن ان يعتبرها الرائي شيئاً في

غير محله. اما الزوار فهم، بخلاف الركاب في أي مكان آخر في العالم، لا يجدون سبباً للاعتراض على كيفية سير مثل هذه العربة العجيبة [١].

ويقول كيسي عن البلدة نفسها أنها، لولا المشهد الشريف الفاخر فيها، تشبه بغداد القديمة التي ظلت على حالتها ما بين انهيار الخلافة العباسية واحتلال الانكليز لها. فأزقتها ضيقة، ملأى بالقذارة والأوساخ، وجدران الكثير من بيوتها قديمة متداعية. وأسواقها تبدو فيها آثار القرون البالية، وأمارات الاهمال والتسيب، حيث يعرض السجاد الفاخر فيها فوق ساحات موحلة، وتوجد الكلاب الميتة إلى جنب باعة العطور. ويتقاطر الزوار في أزقتها الضيقة باعدادٍ كبيرة.. وهم بين امرأة محجبة تدعو الله ليوفق أطفالها ويرعاهم بعين عنايته، او شيخ طويل القامة يلتمس الله ان يرزقه بنسلٍ صالح، او متعصب يلوذ بقبري الامامين بأمل ان يحظى منهما بمعجزة. على ان على ان المرء لا بد ان ينتابه العجب حينمايرى ان الغربي لا يستغرب وجوده في مثل هذه البقعة التي تؤمن بالقول القائل بأن الشرق شرق، وان الغربي يجب ان لا يُرَحب به. ويبدو على الزوار المتشحين بالأردية السوداء، وهم يمرون من تحت الأقواس الزرقاء، كأنهم يعتزون ويفخرون حينما يرون حتى الكافر الضال معجباً بجمال المشهد وحسن تشييده.

تقرير عن تقدم العراق ١٩٢٠ ـ ١٩٣١

وفي التقرير الخاص [٢] الذي قدمته حكومة صاحب الجلالة البريطانية

---

(١) ولا حاجة للاشارة إلى ان سكة كهذه السكة التي يصفها المستر كيسي وعربة كهذه العربة وزواراً كهولاً وبركة كهذه البركة التي تضمن للزائرين وللساكنين سلامتهم وهم يركبون عربات فوق سكك من الخشب لا الحديد هي اشبه بالاساطير، ولربما الرجل لم يشهد الكاظمين ولم يرها.
الخليلي

(٢) **Special Report by H. M. Government in the United Kingdom of Great Britain & Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq During 1920 - 1931), London 1931.**

الى عصبة الأمم في ١٩٣١ ، عن تقدمه خلال الفترة المنحصرة بين ١٩٢٠ وهذه السنة يرد ذكر الكاظمية وسائر العتبات في صدد التطرق الى الأحوال الأحوال الصحية في البلاد وعلاقتها بنقل الجنائز . فقد جاء « .. ان نقل الجنائز للدفن في كربلا والنجف وسامراء والكاظمية كان لا بد من تنظيمه والاشراف عليه . وهذه المدن هي العتبات المقدسة الأربع في العراق التي يؤمل أي شيعي ان يدفن في إحداها . فمن مجموع العشرين ألف جنازة التي تدفن في كل سنة في هذه المدن تأتي حوالي (١٢٠٠٠) من الخارج ، ومعظم هذه من أيران . وقد كان هذا النقل يراقب بدقة في عهد الأتراك . كما كانت تجبى الرسوم في الحدود على الجنائز التي كانت ترد من خارج البلاد فأوقف هذا الترتيب خلال الحرب العامة . وما حل عام ١٩٢٠ حتى كان عدد كبير من الجنائز بانتظار الترخيص للدخول الى العراق ، بينما كان عدد آخر يهرب كالمعتاد . فنقح نظام السيطرة القديم وأعيد النظر فيه فصدر (قانون نقل الجنائز) في ١٩٢٤ . ومنذ ذلك الحين سار العمل في هذا المجال دون ان يعكره شيء ، ومن غير ان يترتب على ذلك حصول أي خطر على الصحة العامة

فرايا ستارك في الكاظمية

وقد تسنى للكاتبة الانكليزية القديرة المس فراياستارك ان تزور الكاظمية ، وتدخل الى الحضرة المطهرة محجبة كما يتحجب المسلمات ، في ١٩٣١ فتكتب عنها فصلاً بعنوان « زيارة الى المشهد الكاظمي » في كتابها (صور بغدادية [١]

وهي تقول في مقدمة هذا الفصل أنها ذهبت إلى الكاظمية لأول مرة كسائحة يرافقها رجل متيقظ من أفراد الشرطة العراقية ، ولم تستطع رؤية

---

(١) Stark, Freya - Baghdad Sketches (London 1937) الص ١٥٠ - ١٥٥

شيء منها لأن الناس قد تحمهروا من حولها بحالةٍ كان يُخشى منها . ولذلك قالت لصديقها نوري (ولا ندري أي نوري تقصد) أنها تود ان تزور هذا المشهد المقدس بشكل لا يلفت الأنظار اليها . فان النصارى لا يسمح لهم بالدخول الى داخل المشهد مطلقاً . وتود ان يكون ذهابها هذه المرة في أمسية من أمسيات رمضان المبارك لان المشهد المقدس يبقى مفتوحاً فيها الى ساعة متأخرة من الليل . وان حلول العتمة يسهل الكثير من الأمور . وقد كان لنوري أصدقاء من الشيعة في المدينة المقدسة يوافقون على أخذها الى داخل الروضة ، فتم الاتفاق على أن تذهب إليهم مع اثنتين من أخواته بواسطة الترامواي مع سائر الزوار .

وفي مساء أحد الأيام جاءها نوري بشدّة من الألبسة السوداء تحتوي على عباءة من عباءات النساء المعروفة ، وقطعة صغيرة من الشيمون الأسود تسمى « بوشي » لتتقنع بها . وفي (دربونة) قريبة من الدرابين لبست فرايا ستارك العباءة وتقنعت بالبوشي ، ثم خرجت وكأنها امرأة بغدادية متحجبة على ما تقول ، ثم استقلت سيارة أجرة بصحبة نوري متوجهة الى دار في أحد الأزقة . وهناك وجدت أُختيه متهيأتين لمرافقتها ، وبعد بعض الوصايا والتمنيات توجه النسوة الثلاث مع خادمة تحمل الفانوس أمامهن الى ترامواي الكاظمية .

وبعد ان تصف فرايا ستارك الترامواي وعرباته . ومن كان فيها من النسوة ، تقول « .. وبعد ان تركنا ضاحية الكرخ ، مدينة المنصور القديمة ، خرجنا إلى العراء واصبحنا تحت النجوم ومن حولنا صفوف النخيل وبساتينها بأشباحها المتحركة . وما هي إلا فترة قصيرة حتى بانت لنا فجأةً قمم المنائر المذهبة الأربع في المدينة المقدسة وكأنها واقفة لوحدها في الفضاء الرحيب ، ما بين الأضواء التي تبقى مشعلة في ليالي رمضان كلها . كما بانت من بينها القبتان المغمورتان بالأضواء المنعكسة عليهما وقد كان للسماء العميقة الممتدة من وراء البناء نصف المضاء والعربة الممتلئة بالزوار وهم في تجردهم المعتم ،

منظر تجلله مهابة غريبة . اما الظلمة المحيطة بذلك المنظر كله فقد أخفت جميع البشاعة والقذارة اللتين كثيراً ما نجدهما يقتربان من حول الجمال في الشرق . وحينما توقفت العربة نزلنا من الترام البالي ، وبعد شيء من الصعوبة اهتدينا في الأخير الى بيت أصدقائنا الشيعة » .

ثم تتابع الوصف وتقول : « .. وهنا خطونا الى داخل القرن العشرين . فقد كان رب الدار مهندساً سافر الى مصر وغيرها من البلاد ، ودرس أخوه الحقوق في الاسكندرية ، اما زوجته التي تقرر ان ترافقنا الى داخل المشهد الكاظمي فقد صففت شعرها في جُمة حديثة ووضعت لباساً فرنسياً صغيراً للرأس تحت قناعها . وقد صرحوا لي في الحقيقة بأنهم لا تخالجهم أية ريبة مما سنقدم عليه اذا ما حافظت انا على السكوت ولذت بالصمت ، لئلا تفضحني لهجتي في الحديث . فقد سبق لهم ان رافقوا بعض المسيحيين الى داخل الحضرة من قبل لكنهم لم يأخذوا أي أوربي الى هناك . مع ان عدداً من الأوربيات كن قد دخلن في وقت أو آخر [١] . وبعد ان شربنا القهوة وتناولنا بعض الحلوى توجهنا إلى مبتغانا مع خادم يحمل الفانوس بين أيدينا لنكتشف على ضوئه الحفر التي كانت تبين فاغرة فاها في الطريق ، لأننا تركنا القرن العشرين وراءنا في البيت من جديد وأخذنا نسير من تحت بيوت مظلمة معلقة في الأسواق غير المضاءة . وكانت تحدق بنا عند مرورنا أشباح معتمة تقعد القرفصاء هنا وهناك الى جانب الدكاكين ، وفي أيديها مسبحات تعبث بخرزها أصابعها الكسلة . وأخيراً وصلنا الى باب الظليلة ومجازها العالي الذي كانت عدة أوجه حاسدة خلال النهار قد منعت تقدمنا منه قبل هذا .

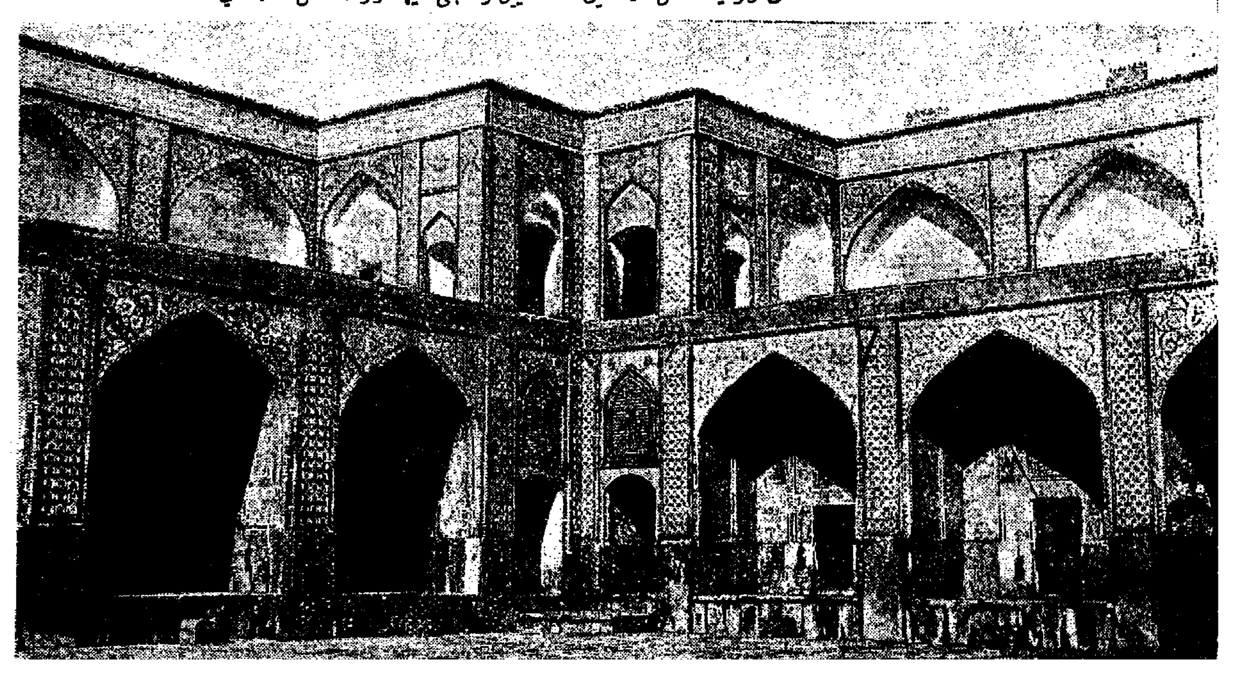
(١) ليس هنالك من مانع ديني في دخول الحرم وانما هذا المنع مفروض من قبل العوام وهم الذين يؤاخذون غير المسلمين على دخولهم العتبات المقدسة .

الخليلي

وقد عبرنا المجاز من تحت السلسلة ذات العرى ، التي يلمسها الزوار لتمنحهم البركة ، الى الصحن الكبير المحيط بالحضرة فبدا لي متسعاً جد الاتساع : فان البرج الجبار كله كان يبدو معلقاً في أعماق السماء المظلمة من فوقه . وكانت تحيط بجوانبه الثلاثة أروقة تزين واجهاتها بالقاشاني المورد ، كما كانت الأضواء من فوقه والضوء المنبعث من برج الساعة تشع نوراً غسقياً مبهجاً يغمر الأشباح المتجلببة بالعباءات وهي تروح وتغدو في طريقها . وكان هناك في إحدى الزوايا عدد من الناس يقرأون الصحف ، ولا غرو فان المدن المقدسة والجوامع على الأخص تعتبر أماكن عظيمة تفرخ فيها الفتنة والشغب . ويبدو فناء الصحن على درجةٍ من الاتساع بحيث ان أعداداً كبيرة من الناس يمكنها ان تتمشى في أرجائه من دون أن يلاحظ الازدحام فيه .

ثم أتينا بعد ذلك الى ايوان مذهّب يستند سقفه على أعمدة خشبية رشيقة ، توجد فيه الباب الخارجي للروضة المقدسة بالذات . فأخذ أحذيتنا رجل كان يجثم هناك ، وأضافها الى سائر الأحذية المرتبة في صفوف متتابعة . وحينما وقفنا على الباب بالقرب من ستارةٍ كثيفة راح السيد المعمم بعمامة

احدى زوايا صحن الامامين الكاظميين وتتجلى فيها روعة الفن الكاشاني



خضراء يرتل الدعاء لنا ، ويستأذن بابتهال نيابةً عنا للدخول الى الروضة المطهرة ، بصوتٍ عذبٍ لم أسمع بشيء أكثر تأثيراً منه . ثم انتهى بالله والله اكبر وأومأ لنا بالدخول .

وأول ما صادفناه بعد الدخول رواق مسقف بمقر نصات من قطع المرايا المشعة في العتمة ، ومرايا غيرها مثبتة في اطارات رخيصة تدور من حولها . ثم أتينا على ستارة أخرى مسدلة لتغطي باباً مزدوجاً مرتفعاً جداً ، ومغلفاً بفضة مطروقة ، وتنتشر فيه هنا وهناك نماذج من «كف العباس» ، ومنها دخلنا إلى الحضرة المحيطة بالضريح المقدس . فكانت عبارة عن بهو له سقف كثير الارتفاع وبابان يتعامدان على بعضهما ، وتتدلى فيه ثريات زجاجية عديدة . أما الجدران فقد كانت مزينة بزخرفة عربية ملونة فوق أرضية سوداء . وكانت الأرض مفروشة بسجاد منحط النوعية .

وكان الضريح يقوم في الوسط داخل قفص ثلاثي ، يتعرض الخارجي الفضي منه الى الصقل والتلميع الدائم بأيدي الزوار وتقبيلهم وهم يطوفون من حوله بمواكب لا نهاية لها . وقد قدرت ارتفاعه بعشرة أقدام ، ولاحظت الزينة وهي تخفف من تربيع حواشيه العليا ، ومن حولها كلها الأعلام الخضراء الصغيرة المنسوبة الى العلويين .

وإذا ما وقف المرء بجانب الشباك وضغط بوجهه على العوارض الفضية فيه ، ثم نظر الى ما في داخله يجد من شباك حديد آخر ، ومن خلال صندوقٍ من الزجاج ، القبرين الخشبيين اللذين تقبر فيهما رفات الامامين الكاظمين . ولأجل ان يفعل الناس ذلك يسيرون اليه طول الطريق من افغانستان ، والهند ، وأبعد الأيالات في ايران . ولذلك وجدت هناك أناساً ملتحين ، ووجوهاً مغولية ، خالية من الشعر ، الى جانب الإيرانيين النحيفين وشيعة العراق متبسطي الوجوه . وقد كان يجلس أمام الشمعدان العظيم المقام فوق الأرض ، بتجرد تام ، زوار ذوو عمائم كبيرة يرتلون الآيات الكريمة ويتمايلون برفق وهدوء . وفي زاويةٍ من الزوايا كان النساء بأحجبتهن السوداء يدمدمن

سوية ً وهن يجلسن على الأرض . فتبعت السيّد ضاغطة ً يدي على العوارض ومتحركة ً ببطء من اليمين الى اليسار حول الضريح . وكانت بجانبي امرأة تبكي وتنتحب بيأس . وتقبل الفضة الصقيلة ، ثم تضغط بيديها على كل كعبرة في الشباك يمكن ان تصل اليها بيديها . وعلى هذه الشاكلة تقوم آلاف بل ّ ملايين مثل هذه الأيدي بلمس هذا المعدن الأصم فتصقله بآمالها وصلواتها ، مدفوعة بعقيدة البشر التي يرثى لحالها .

وقد كان الجو نفسه في تلك الغرفة متكهرباً بالعاطفة والأحاسيس وليس بوسع المرء ان يقف هناك من دون ان يشعر بذلك الجو ويتحسس به ، وبكمال تلك العاطفة الكلي ، وقسوتها القديمة المنطوية وراء ذلك على الهدوء التام في أثناء الصلوات التي تؤديها تلك الشخوص الواقفة بأيد مبتهلة وأوجه ضائعة في غيبوبة وذهول . وأني لأحسب ان الأجنبي الذي يكتشف وجوده في تلك البقعة يندر ان يصل سالماً الى الباب الخارجي ، الذي يأتي بعده السوق . وكانت صديقتي الصغيرة ترتجف بين يدي وتستعجل في زيارتها باستعجال معيب . ولذلك لم يكن هذا الجو قميناً حتى بالشرقي الآخذ بأسباب الغرب (المتغرب) ، انه الشرق القديم الذي لا ينسجم مع جميع ما نأتي به ونفعله . ولا بد من ان يستقل احد الفريقين فيه ، هم أو نحن ، ولهم الحق في قتلنا اذا ما اكتشفوا وجودنا فيه ، هنا حيث يكون هذا القانون هو السائد .

وحينما وصلنا الى الجانب الأبعد عن الباب الذي دخلنا منه ، أخذ السيد يرتل دعاءاً آخر بينما كنا نقف الى جنبه بأيد مبتهلة . وهنا أيضاً لاحظت جمال الكلمات ، وعاطفة الورع والتدين ، وقد أحاطت بي من جميع الجهات فأنستني بأنني كنت غريبة عن هذا المحيط ، وعلى كل فليس هناك سوى لهجة واحدة للعقيدة يلهج بها البشر جميعاً على سواء .

ثم شققنا طريقنا ببطء على طول الضلع الرابع . ومن حسن الحظ أننا

كنا نساء كلنا ، ولم يكن يترتب علينا ان نشكر السيد . لكن مضيفتنا فعلت ذلك بينما انسللنا نحن من الايوان الى محل (الكيشوان) الذي يتفوق على المسؤول عن حفظ المعاطف في أوتيل سافوي بلندن ، لأنه أعاد لنا أحذيتنا كلها من دون أن نشير عليه بشيء ، مع انه لم يستطع رؤية شيء من عندنا سوى خيالنا التي لا شكل له والجوارب القطن التي كنت قد تعمدت ان أتركها تهدل الى الرسغ لأجل ان أجعل التخفي يبدو شيئاً حقيقياً يشبه مـا تفعله نسوة بغداد .

وبينما كنا نقف هناك جاء أحد السقاة وهو يحمل جرته المنبلةمعلقةً في كتفه ، ويمسك بيده كاسةً صفراء . وأخذ ينادي بقوله « ماء ، مـاء للطريق ، الماء الذي منع عن الحسين الشهيد في كربلا » ، فدفعت له أربع آنات كما فعلت الباقيات من صويحباتي ، وبقيت حائرةً فيما اذا كنت قد رتكبت خطأً من الأخطاء الفاضحة باراقة الماء الذي قدم لي على الأرض ، لأن الطاسة التي يشرب بها الجميع لا بد من ان تكون قد شرب بها المريض والمقعد وغيره بحيث يكون الشرب بها شيئاً غير مغرٍ . لكن أحداً لم يعلق بشيء على ما فعلت . ثم خرجنا من البقعة المقدسة مارين بالمجاز العالي من تحت السلسلة الى السوق المظلم . وقد عدنا بالترام الذي سار بنا على ضوء النجوم النيرة ، بعد أن ألقينا نظرة أخيرة على القبتين المذهبتين عندما كانت المنارات الأربع تسطع بنورها الوهاج وترتفع في سماء منتصف الليل » .

وهكذا استطاعت الكاتبة الانكليزية فرايا ستارك ان تدخل الى روضة الامامين المطهرين متخفيةً بزي امرأة مسلمة من نساء الكاظمية أو بغداد ، في صحبة أسرة من الأسر الشيعية المسلمة .

فاجعة الكاظمية في ١٩٣٥

وفي معرض البحث عن الوزارة الهاشمية الثانية (ياسين الهاشمي) وتعداد أعمالها ، والحوادث التي وقعت في أيامها ، يتطرق المستر لونكريك

في (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠)[1] الى حادثة مؤسفة وقعت في الكاظمية فذهبت ضحيتها أرواح بريئة . وكان ذلك ناتجاً عن تحريكات حزبية لا تستهدف الصالح العام على ما قيل يومذاك . لكنه يقول : « .. وقد وقعت حادثة في الكاظمية أريقت فيها الدماء على أثر اصطدام وقع بين الشرطة وجمهور كبير من الناس خرجوا يتظاهرون احتجاجاً على نبش مقبرة من المقابر ، ولم يكن لها معنى سياسي فأمكن تسويتها من دون ان يتسع تأثيرها . » على أن المفهوم من الأخبار المدونة في المراجع العربية ان وزارة ياسين الهاشمي الثانية بينما كانت منهمكة في تهدئة الأحوال في الفرات الأوسط ، بعد ان ساءت على عهد وزارة علي جودت الأيوبي من قبل . وقعت حادثة مؤسفة في يوم ٢٣ مارث ١٩٣٥ فكان لها أسوأ الأثر في النفوس . وخلاصة هذه الحادثة ان الحكومة كانت تقوم بتشييد دائرة جديدة للبرق والبريد في بلد الكاظمية . على أرض مقبرة قديمة مهجورة كانت قد انتُخبت لها من قبل . وحينما تألفت الوزارة الجديدة استغل البعض سخط الكاظميين على هذا العمل الصادر من الحكومة . وحرّض على تنظيم مظاهرة خرجت في ذلك اليوم وقصدت المبنى الجديد فأخذت بتهديم ما بني منه وأشعلت النار فيه . فأدى ذلك الى اصطدام المتظاهرين بالشرطة ، فاتصل القائمقام شاكر سليم في الحال بمتصرف بغداد عبد الرزاق حلمي الذي توجه فوراً الى محل الحادث وفي صحبته مدير شرطة بغداد وجيه يونس . وقد استصحبا معهما سيارات مصفحة تقل عدداً من أفراد الشرطة كذلك . وحينما وصلا الى الكاظمية لم يستطيعا معالجة الموقف بالحكمة والتعقل وعمدا الى استعمال الرشاشات بكل تهور لتفريق المتظاهرين . فأسفر الاصطدام بين الأهلين والشرطة عن عن وقوع عدد من القتلى والجرحى بطبيعة الحال . وكان عددهم ثلاثة عشر قتيلاً وما يزيد على الثمانين جريحاً . وهناك رواية أخرى تقول ان هذا العدد

(١) الص ٢٤١ .

من القتلى والجرحى قد سقط قبل وصول المتصرف ومدير الشرطة الى الكاظمية لأن القائمقام فشل في معالجة الموقف منذ البداية. غير ان البيان الآتي يذكر رقماً آخر عن القتلى والجرحى المذكورين :

بيان رسمي

وقع حادث مؤسف في قصبة الكاظمية صباح أمس (٢٣ الجاري) وتتلخص المعلومات الآتية الى الآن حول الحادث بما يلي :

كانت المقبرة الواقعة قرب المغيسل قد هجرت منذ مدة وبوشر الدفن في مقبرة جديدة أخرى ، الا أنه صباح أمس راجع بعض وجوه الكاظمية قائمقام القضاء مبينين عدم ملائمة المقبرة الجديدة فوعدهم بتلبية طلبهم. ولكن بعد خروجهم تجمهر قسم غير قليل من الناس حول المقبرة القديمة وباشروا بهدم دائرة البريد التي بوشر ببنائها بالقرب من المقبرة القديمة منذ أشهر ، ولما جاءت الشرطة وطلبت منهم الكف والتفرق قابلوها بالرمي بالحجارة ، ثم أوقد المتجمهرون النار في البناء المذكور. ولما أنذرتهم الشرطة باستعمال القوة اذا لم يتفرقوا أجابوها بطلقات نارية ، واستعمال أسلحة جارحة أدت الى جرح أحد المفوضين واستمروا على اطلاق النار على الشرطة. وقد اطلقت الشرطة طلقة في الفضاء بغية إنذارهم ، ولكنهم رغم ذلك استمروا على اطلاق الرصاص على الشرطة مما اضطرها الى استعمال السلاح لتفريقهم. فوقع بسبب هذه الحادثة من المتجمهرين سبعة قتلى وتسعة جرحى ، ومن الشرطة قتيل شرطي واحد ، وجرح أربعة اثنان منهم مفوضان واثنان شرطيان ثم تفرق المتجمهرون وأعيد الأمن الى نصابه. وانتشرت دوريات الشرطة لمحافظة الأمن. والتحقيق جارٍ لمعرفة الأسباب التي أدت الى هذه الحادثة المؤسفة. ٢٤-٣-١٩٣٥

وتمهيداً لاجراء التحقيق عمدت الشرطة الى توقيف البعض من أشراف الكاظمية ووجوهها بتهمة التحريض على تنظيم المظاهرات ، واستمر توقيفهم

ثلاثة أشهر حكم بنتيجتها على سبعة من الموقوفين بالحبس الشديد المؤبد (يوم ٢٢ حزيران ١٩٣٥) وأفرج عن الباقين : غير ان الحكومة أصدرت في ٤ أيلول ١٩٣٥ عفواً خاصاً عن المحكومين لتهدئة الخواطر وانتهت الفتنة .

حوادث الرميثة

ويستطرد المستر لونكريك في كتابه (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠[1]) في سرد ما وقع على عهد الوزارة الهاشمية الثانية عام ١٩٣٥ فيذكر ما يأتي :



الشيخ احمد اسد الله

.. لقد وقعت أول حركة ثورية في مايس ، وكان قد قام بها بنو زريج بالقرب من الرميثة مركز الحركات والزعازع التقليدي . فبوجود عوامل الاختلاف المشوب بالانتقام على الأراضي بين العشائر ، وتشجيع بعض الساسة غير المقيمين في المنطقة ، أدى توقيف رجل روحاني من رجال الدين الى وقوع حركة ثورية . فقُطع خط سكة الحديد ، وتم الاستيلاء على دائرة حكومية ، وطلب العون والنجدة من سائر القبائل . لكن الحكومة بادرت الى العمل السريع في هذه المرة . فقد قصفت الثوار قوات عسكرية يقودها بكر صدقي وشتتت شملهم ، ثم ألقت القبض على خوام العبد العباس قائدهم ، ودخلت الرميثة .. لكن الحركة انتشرت في الجنوب ، فثارت بعض قبائل سوق الشيوخ وقطعة سكة الحديد في تل لحم ، وأحرقت سجلات الحكومة في عكيكة ، ثم تغلبت على الشرطة في معركة ضارية .

---

(١) المرجع الاخير ٢٤٢ .

اما علاقة هذه الحركات بالكاظمية فهي ان الرجل الروحاني المشار اليه . الذي قبضت عليه سلطات الديوانية وأوقفته كان رجلاً من أهالي الكاظمية يدعى الشيخ أحمد أسد الله ، وكان يقيم في الرميثة يومذاك [١] . وقد تم إلقاء القبض عليه بحجة أنه كان يحرض القبائل على العصيان وشق عصا الطاعة ضد الحكومة . فاستفز هذا العمل قبائل الرميثة وغيرها . وحسبت ان الحكومة أقدمت على هذا العمل بتحريض من الشيوخ الموالين لها ، واستغل هذا الاستياء الشيخ خوام العبد العباس فأعلن الثورة والعصيان كما جاء في نبذة المستر لونكريك المقتبسة أعلاه .

الكاظمية في حوادث ١٩٤١

وقد عثرنا على اسم الكاظمية في عدد من المراجع الغربية ، خلال بحثها في الحوادث التي وقعت في العراق سنة ١٩٤١ فأدت الى احتلال الجيوش البريطانية للكثير من المناطق العراقية واستخدامها لأغراض عسكرية لم يكن للعراق فيها ناقة ولا جمل طول أيام الحرب العالمية الثانية . فقد التجأ على أثر الحركة التي قام بها الجيش العراقي الوصي على عرش العراق الى عمه الأمير عبد الله . في الأردن ، وفي معيته عدد من ساسة العراق وأعوان ذلك العهد ، فاتفق الأمير عبد الله على مساعدة الجيوش البريطانية التي سيقت لانجاد الحبانية التي حاصرها الجيش العراقي . وانتُدب لهذه المهمة لواء من ألوية الجيش العربي في الأردن بقيادة كلوب باشا (ابو حنيك) فزحف على العراق مع جيوش بريطانية أخرى وأُنجدت الحبانية ففكّ الحصار عنها وأخذت الجيوش البريطانية دور المبادءة بعد ذلك وراحت تعد العدة للزحف على بغداد واسترجاعها لاعادة الوصي اليها . غير ان الجيش العراقي كسر

---

(١) الشيخ احمد اسد الله هو عالم الرميثه وقد درس في النجف وهو اليوم من العلماء الفضلاء بطهران وقد كان وكيلاً للامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء فنفذ في عصيانه وثورته اوامر الامام الشيخ.
الخليلي

ضفاف الأنهر وأغرق مساحات شاسعة من الأرض لاعاقة تقدم الانكليز ، فارتأى كلوب باشا مهاجمة بغداد من الشمال بعد اجتياز الجزيرة من الفلوجة الى حيث تمتد سكة حديد بغداد ـ الموصل من شمال الكاظمية . فتم له ذلك ووصل الى خان المشاهدة فصار يهدد العهد الذي كان قائماً في بغداد يومذاك من الجهة الشمالية .

ويقول لونكريك (الص ٢٩٤) في (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) ان ثلةً من الجيش العربي (الاردني) عبرت الجزيرة ، وقطعت خط القطار الصاعد الى الموصل فيما يقرب من سامراء ثم عادت . وعبرت الى دجلة مرةً ثانية مع قوات أخرى فاحتلت المشاهدة ، ثم توجهت جنوباً في اتجاه بغداد . وقد صادفت هذه القوة مقاومة من العدو بالقرب من التاجي ، فاتخذت لها موقعاً بين معامل الطابوق القريبة من الكاظمية . وقد أُلقي القبض في الطريق العام على متصرف بغداد (جلال خالد) وأُطلق سراحه فأُعيد الى أهله .

على ان هذه الحركات ، والاشتباكات العنيفة التي شهدتها منطقة الكاظمية بالقرب من معامل الطابوق يأتي عليها بالتفصيل كلوب باشا في كتابه الموسوم «قصة الجيش العربي» [١] . وخلاصة ما في هذه الصفحات ان ثلةً من الجيش العربي التي كان يقودها كلوب باشا رافقت لواء ال(هاوس هولد) الذي عبر الجزيرة ما بين الفرات ودجلة من قرب الرمادي وتقدمته فاحتلت المسافة المحيطة بخان المشاهدة وقطعت سكة حديد بغداد ـ الموصل الى ضفة دجلة . ثم زحفت القوة بكاملها جنوباً في اتجاه بغداد فلقيت مقاومة عنيفة من الجيش العراقي بالقرب من التاجي ، فاضطرت الى التوقف هناك واستحكمت في وسط معامل الطابوق في الكاظمية مدة من الزمن ، بعد

---

(١) Glubb, Brigadier John Bagot - Story of the Arabo Legion (London 1952) الص ٢٨٦ – ٣٠٠ .

ان أخفقت في هجومين عامين شنتهما على القوات العراقية المدافعة . ويبدأ المستر كلوب بوصف الزحف قائلاً « .. ومن محطة المشاهدة تقدم الرتل بسرعة نحو الجنوب على طول الطريق المؤدي الى بغداد . وكان يمتد على بعد عدة مئات من الياردات يميناً خط سكة حديد بغداد — الموصل فوق سدة واطئة . وعلى بعد ميل واحد من اليسار كانت تمتد ضفاف دجلة المكسوة ببساتين النخيل . وفي الأفق الممتد أمامنا كانت تلوح لنا من بعيد منائر وقباب الجامع الأكبر المذهبة في الكاظمية ، ضاحية بغداد الشمالية » . ويقول في مكان آخر « .. وكان رتل الهاوس هولد كافلري قد شن هجوماً مركزاً وقت الفجر فتقدم ثلاثة أميال . اما الآن فقد أوقف تقدمه بالمقاومة العنيفة التي أبداها العدو في منطقة معامل طابوق الكاظمية ، وبذلك فشل في هجومه الثاني » .

بعد حوادث ١٩٤١

هذا ولم نعثر في المراجع الغربية على ذكر يستحق التدوين للكاظمية بعد سنة ١٩٤١ ، الا في بعض النتف التي تذكر عرضاً . فقد جاء في كتاب لونكريك (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) [١] ان شغباً سببه في الكاظمية حزب التحرر الوطني غير المجاز فأدى الى الاصطدام بالشرطة ، على عهد الوزارة السعيدية التاسعة التي ألفها نوري السعيد في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٦ . والمعروف ان هذه الوزارة قد تألفت على أثر إرغام أرشد العمري على الاستقالة بعد ان فشل في تسيير دفة البلاد ، وخاب في معالجة الوضع الراهن يومذاك بحكمة وتعقل . وقد عمد نوري السعيد الى حل مجلس النواب الذي جاء به سلفه في نفس اليوم الذي تولى فيها أعمال وزارته واتخذ ما يلزم لاجراء انتخابات جديدة . لكن الانتخابات سرعان ما أخذت تقاومها بعض الفئات ،

(١) الص ٣٤٠ .

ومنها الأحزاب الشيوعية غير المجازة ، والجماعات التي تشايعها مثل جماعة التحرر الوطني التي يشير اليها لونكريك فيسميها حزباً .

وحينما تولت الحكم وزارة السيد الصدر في يوم ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ ، على أثر الحوادث التي أعقبت تصديق معاهدة بورتسموث وسقوط وزارة صالح جبر بسببها ، عمدت الوزارة الجديدة الى إلغاء المعاهدة التي لم يمر على تصديقها الا أيام معدودة ، وحلت مجلس النواب ، ثم اتخذت تدابير أخرى مهمة أخرى . غير ان هذه الوزارة اصطدمت بمشاكل وصعوبات لم تفسح لها المجال التام للعمل ، وحينما بدأت عملية الانتخابات للمجلس النيابي الجديد ، التي قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة يوم ٢١–٣–٤٨ البدء بها ، وقعت حوادث مؤسفة عديدة في عدة جهات ومنها الكاظمية . ويقول المستر لونكريك[١] في هذا الصدد « .. وقد اجتمع المجلس في يوم ٢٦ حزيران ، بعد انتخابات بذلت فيها الأحزاب المجازة وغير المجازة أقصى الجهود ، فكانت سبباً في وقوع معارك شوارع في الكاظمية وبغداد والسليمانية . فحصل حزب الاستقلال على أربعة مقاعد ، والحزب الوطني الديمقراطي على مقعدين ، وحزب الأحرار على مقعد واحد فقط . » وتذكر بعض المراجع[٢] العربية ان حادث الكاظمية كادت تقع فيه مجزرة بين الأهلين لولا لطف الله وعنايته ، وان حوادث مؤسفة قد وقعت في الصويرة والعمارة أيضاً ، وان ما وقع في بغداد قد أدى الى مقتل سبعة أشخاص وجرح سبعة وأربعين في جانب الكرخ من جماعة الحاج مظهر الشاوي التي كانت تساند شاكر الوادي .

وجاء في كتاب (العراق[٣] لمؤلفيه المستر لونكريك والمستر فرانك

---

(١) العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠ ، الص ٣٤٨ .

(٢) تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٢٧ ، الص ٣١١ .

(٣) Lougrigg, S. H & Stoakes, F — Iraq (London 1958) الص ٢٨ .

ستوكس ١٩٥٨) ، خلال البحث عن سكان العراق وطبقاتهم ، قول المؤلفين « .. لكن علماء النجف والكاظمية وكربلا وسامراء لم يعودوا يكوّنون العائق غير الموالي للحكومة المنظمة كما كان بوسعهم ان يكونوا في أوائل العشرينات من القرن الحالي » . ولا يخفى ان هذه وجهة نظر البريطانيين الذين شهدوا اندلاع نيران الثورة العراقية التي لعب فيها العلماء الأعلام دوراً قيادياً أدى إلى إرباك الخطط الانكليزية وقلبها رأساً على عقب ، كما سبق ان بينا في مبحثي النجف وكربلا من هذه الموسوعة .

ويتطرق الكتاب نفسه (كتاب لونكريك وستوكس) الى ذكر الكاظمية في مناسبة أخرى (الص١٣٢) ويقول « .. وما زالت النجف ، والكاظمية وكربلا ، وسامراء ، مراكز كبرى للزيارة يقصدها الزوار الشيعة من كل مكان في العالم الإسلامي ، ولا سيما من ايران .. » .

هذا وقد عثرنا على ذكر للكاظمية كذلك في كتاب امريكي ظهر في ١٩٥٨ بعنوان (العراق ، سكانه ومجتمعه وحضارته) لمؤلفه المستر جورج هاريس[١] . فهو يقول (الص ٣٨) : « .. وان معظم هؤلاء الفلاحين لا يتميزون بشيء عن عرب خوزستان الواقعة في ايران ، ويعمل على تقوية الرابطة الموجودة بين الطرفين وجود عتبات شيعية مقدسة في العراق مثل النجف ، والكاظمية ، وكربلا ، وسامراء » . ويذكر المستر هاريس في مكان آخر من كتابه هذا ايضاً ، اي في معرض التطرق الى ذكر الأجانب الموجودين في العراق (الص ٤٥) ، ان حوالي الف شيعي أفغاني يعيشون في المدينتين المقدستين الكاظمية والنجف . وان هؤلاء يتصلون اتصالاً وثيقاً بالجالية الايرانية من حيث اللغة والعقيدة . » ويأتي في بحث شؤون الزوار على موضوع يلاحظ ذكره وتكراره على الدوام في المراجع الغربية ،

---

(١) Harris, George L - Iraq, its People, its Society, its Culture (New Havent 1958).

لا سيما المراجع الانكليزية التي كتبت في عهد الاحتلال الانكليزي الأوّل وما بعده . وهو « .. ان توارد الزوار بكثرة من ايران على الكاظمية ، والنجف ، وكربلا وسامراء ، وكان يتيح للسلطات السنية خلال عقود عدة من السنين الفرصة لمضايقة الشيعة بطرق تختلف ما بين الابتزاز ووضع العراقيل في متطلبات الحجر الصحي والتأشيرة على الجوازات وما أشبه . وكان الزوار الشيعة على طول الطرق الممتدة بين المدن يتعرضون الى تعسف أصحاب الخانات والحمالين ، وحتّى العاملين حول العتبات المقدسة نفسها . وقد تركت هذه المضايقات العامة والخاصة أثرها السيء من المرارة والحقد في النفوس »[1] . والغريب في الأمر اننا لاحظنا ان من جملة المشتغلين مع مؤلف الكتاب هذا ، والمساعدين له في جمع المعلومات رجل عراقي مسلم يدعى مختار العاني .

---

(١) المرجع الاخير ، الص ٩٦ و ٩٧ .

فهرست







